## الدور الثاني:

# اجتهاد الصحابة والتابعين وظهور المراكز الفقهيّة من وفاة الرسول إلى الثلث الأوّل من القرن الثاني الهجري ـ عصر الصحابة والتابعين ـ

**تمهيد:**

ما إن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتّى وجد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أنفسهم أمام وقائع جديدة ونوازل طارئة تتطلّب حلولاً، ولمّا كان الدور الأوّل الذي هو دور التأسيس القائم على الوحي الإلهي قد انقضى، وحلّ هذا الدور الذي هو دور عصر الصحابة والتابعين، كان لا بدّ من اللجوء إلى الاجتهاد الذي كان الرسول قد درّب عليه أصحابه استعداداً لتحمّل أمانة التبليغ من بعده.

ذلك أنّ الحوادث كانت تستجدّ بلا انقطاع كما هو الحال في كلّ مجتمع ينمو ويتشكّل في ضوء ظروف متغيّرة وأحداث متجدّدة.

هذه الوقائع كانت تستجدّ أحياناً نتيجة عوامل عاديّة تعرفها الحياة الهادئة، وأحياناً نتيجة عوامل غير عاديّة كحروب الردّة وحروب المتنبّئين، وكذلك الفتن الداخليّة مثل مقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، وحروب الخليفة الراشدي الرابع عليّ بن أبي طالب في مواقع الجمل وصفّين وغيرهما، وما خلّفته من آثار مسّت جميع مستويات الحياة الفرديّة منها والجماعيّة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة منها والسياسيّة.

ولمّا لم يجد الصحابة فيما بين أيديهم من النصوص القرآنيّة والنبويّة المتناهية ما يفي بالغرض لاستيعاب جميع تلك الحوادث والنوازل، لم يكن أمامهم إلاّ الاجتهاد سبيلاً للإحاطة بما نزل بهم من وقائع.

فانبرى الصحابة الذين اشتهروا بالإفتاء على عهد الرسول ﷺ في التصدّي لهذه الوقائع، فأدرجوا من أعيان الأحداث الجزئيّة ما ينضوي تحت أصولها وألحقوا الفروع الجزئيّة بأصولها الكليّة في محاولة منهم لاستيعاب الطوارىء الجديدة.

وبهذا الشكل أخذ الفقه يخطو خطواته الأولى نحو النموّ والاتّساع، ونحو البناء والتشييد.

وقد ارتأينا أن نقسّم هذا الدور إلى مرحلتين اثنتين تختصّ كلّ مرحلة منهما بخصائص وسمات معيّنة.

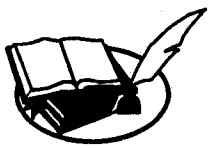

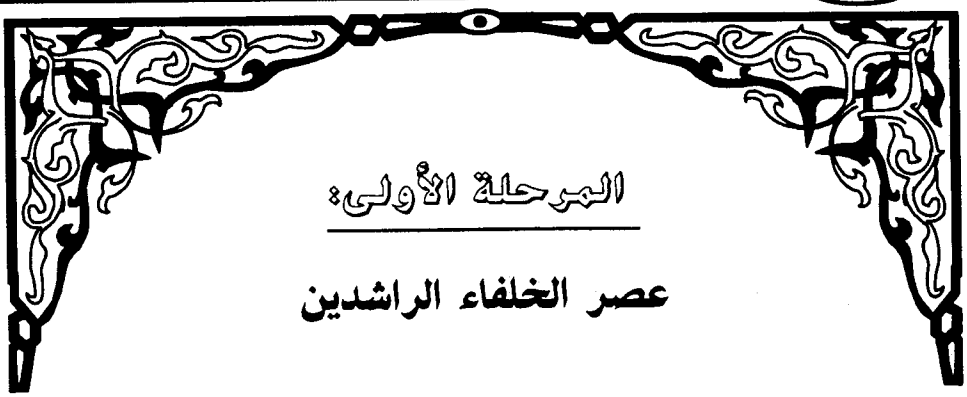

# المرحلة الأولى:

## عصر الخلفاء الراشدين

واجه المسلمون على إثر وفاة الرسول ﷺ مشكلة من أعوص المشاكل، بدت في أوّل الأمر تنذر بشرّ مستطير ثمّ انتهت بفضل الله نهاية محمودة، تلك هي مسألة خلافة رسول الله ﷺ في تسيير شؤون الدولة ورعاية شؤون المسلمين التي انتهت بتولية أبي بكر الصديق حيث بويع بيعة خاصّة في اجتماع سقيفة بني ساعدة ثمّ بويع البيعة العامّة في المسجد النبوي الشريف.

ولم يكد أبو بكر الصديق يتقلّد خلافة المسلمين حتّى قام المرجفون والذين في قلوبهم مرض ممّن كان إسلامهم على غير يقين وحسبوا أنّ الفرصة سانحة للقضاء على دين الله فهبّوا في ثورة عارمة معلنين الردّة، واستشرى خطرهم حتّى عمّ أطراف بلاد الإسلام في جزيرة العرب، وممّا زاد الأمر سوءً انتحال بعض أصحاب الردّة ورؤوسها صفة النبوّة وكان أشدّهم خطرا في ذلك مسيلمة الكذّاب.

ومن لطف الله بعباده وبلاده أن مكّن لأبي بكر الصديق في الأرض، فواجه هذا الخطب العظيم بحزم وشدّة استطاع من خلالها أن يعيد كامل الجزيرة العربية إلى سيطرة المسلمين.

وبعد أن استقرّت الأوضاع الداخليّة شرع في تسيير الجيوش إلى البلاد البعيدة، ولمّا أدرك أنّ أجله قد حان، أوصى من بعده لعمر بن الخطاب.

وفي عهد الفاروق اتّسعت الفتوحات وعمّ عدله بلاد الشام والعراق وإيران ومصر واستقرّ أمر المسلمين على أفضل حال، حتّى إذا طعن بخنجر الغدر وأشرف على الموت حمّل أمانة الخلافة من بعده إلى مجلس شورى يتألّف من ستّة شخصيات من أعيان الصحابة ممّن توفّي الرسول وهو عنهم راض، فانعقد الأمر لذي النورين عثمان بن عفان.

وفي عهد عثمان استقرّت الأحوال أعواماً على ما كانت عليه زمن أبي بكر وعمر وفتحت أرمينية وإفريقية وقبرص وقرعت أبواب القسطنطينية ذاتها ووصلت الجيوش إلى طبرستان وسجستان وخراسان ومرو وكرمان، وبلغت السودان والحبشة في الجنوب، والهند والصين في الشرق.

ثمّ حدث أن أغرت سياسة الخليفة الراشدي عثمان بن عفان حفيظة الكثيرين من المتمرّدين الذين أشعلوا نار الفتنة بين المسلمين وتمكّنوا من زرع روح الخلاف الداخلي، فعظم الخطب حتّى طالبوا الخليفة بالتنحّي عن منصبه واشتدّ الحال على المسلمين وانتهى باقتحام بيت الخليفة وقتله.

فآلت الخلافة إلى عليّ بن أبي طالب وقد أُثخنت بالجراح وأُثقلت بالخلافات والانشقاقات، فواجهته فتن عظيمة وأحداثٌ رهيبة في الشام والعراق تفرّق على إثرها المسلمون إلى شيع وأحزاب، وكانت أشدّ هذه الأحزاب وقعاً على المسلمين وأعظمها خطباً فرقة الخوارج التي لم يتورّع أنصارها من تكفير مخالفيهم بل ذبحهم أحياناً وبقر بطونهم.

وقد أجمع ثلاثة من الخوارج على التخلّص من عليّ بن أبي طالب خليفة المسلمين ومعاوية بن أبي سفيان قائد جيوش الشام وعمرو بن العاص نصير معاوية فلم ينجح في هذه المهمّة الشنيعة إلاّ عبدالرحمٰن بن ملجم الذي طعن الخليفة بسيف مسموم فألحقه بالشهداء الأبرار.

إنّ هذه الأحداث الداخليّة التي عصفت بالبلاد الإسلاميّة وما خلّفته من جراحات وآلام في جسم الأمّة من ناحية، وتلك الفتوحات الخارجيّة التي أدّت إلى احتكاك المسلمين بالعالم الخارجي وتفتّح عيونهم على عادات وتقاليد البلاد المفتوحة وتلاحمهم مع ما يستجدّ من مشاكل تلك

البلاد وتطوّراتها من ناحية ثانية، كلّ هذه الأحداث الإيجابية منها والسلبية التي عرفتها البلاد وعايشها العباد قد أثّرت بلا شكّ تأثيرا عميقا في صياغة الفقه الذي كان في هذه المرحلة ينمو ويتّسع بنموّ الحياة واتّساعها خاصّة وأنّ حياة الناس كانت مصطبغة بدون أدنى شكّ بصبغة دينيّة متينة لا تكاد تنفكّ عنها في كلّ جزئية من جزئيات الحياة.

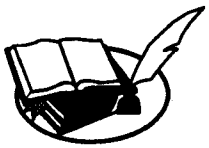

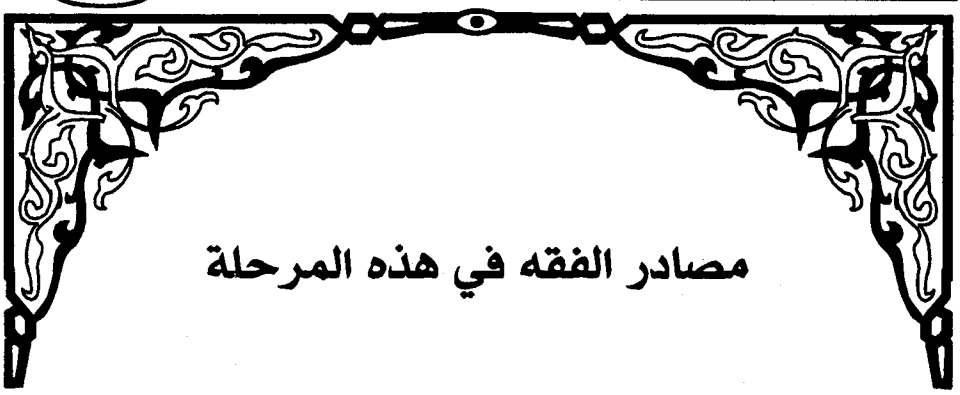

# مصادر الفقه في هذه المرحلة

## ـ ١ ـ القرآن الكريم:

لقد كان لحروب الردّة وحروب المتنبّئين من الوقع العظيم على عهد أبي بكر ما لا يخفى على دارس على الرغم من الحزم الذي أبداه أبو بكر الصديق في معالجة هذه القضيّة المصيريّة وعلى الرغم من الشدّة التي اتّسم بها في حربه لهم.

فعلى الرغم من كلّ ذلك فقد كانت هذه الحروب شديدة على المسلمين استشهد فيها ما يقرب من السبعين من خيار الصحابة وحفّاظ كتاب الله تعالى، الأمر الذي جعل الخليفة الراشدي أبا بكر الصديق يوافق على اقتراح عمر بن الخطاب في جمع القرآن العظيم كلّه بين دفّتي مصحف واحد، بعد أن كان متردّداً من قبل.

فقد روي عن عبيد بن السبّاق أنّ زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّ عمر أتاني فقال إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر إنّك رجل شاب عاقل لا نتّهمك

وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتّى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] حتّى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثمّ عند عمر حياته ثمّ عند حفصة بنت عمر[2].

وممّا يلحظ في هذا الجمع أنّ زيد بن ثابت قد انتهج فيه طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبّت بالغ وحذر دقيق وتحرّيات شاملة، فلم يكتف بما حفظ قلبه ولا بما كتب بيده ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبّع ويستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين: أحدهما ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ، والثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال، وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنّه لم يقبل شيئاً من المكتوب حتّى يشهد شاهدان عدلان أنّه كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

وبذلك لم يعتمد زيد على الحفظ وحده بدليل ما ورد في الحديث السابق أنّه لم يجد آخر سورة براءة إلاّ مع أبي خزيمة، والمقصود أنّه لم يجدها مكتوبة إلاّ مع أبي خزيمة وإلاّ فإنّ زيدا كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة ممّن جمعوا القرآن ولا يزالون على قيد الحياة يحفظونها، ولكنّه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثّق ومبالغة في

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن.

وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتّى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] حتّى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثمّ عند عمر حياته ثمّ عند حفصة بنت عمر[2].

وممّا يلحظ في هذا الجمع أنّ زيد بن ثابت قد انتهج فيه طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبّت بالغ وحذر دقيق وتحرّيات شاملة، فلم يكتف بما حفظ قلبه ولا بما كتب بيده ولا بما سمع بأذنه، بل جعل يتتبّع ويستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين: أحدهما ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ، والثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال، وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنّه لم يقبل شيئاً من المكتوب حتّى يشهد شاهدان عدلان أنّه كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

وبذلك لم يعتمد زيد على الحفظ وحده بدليل ما ورد في الحديث السابق أنّه لم يجد آخر سورة براءة إلاّ مع أبي خزيمة، والمقصود أنّه لم يجدها مكتوبة إلاّ مع أبي خزيمة وإلاّ فإنّ زيدا كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة ممّن جمعوا القرآن ولا يزالون على قيد الحياة يحفظونها، ولكنّه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثّق ومبالغة في

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن.

الاحتياط[١].

فتمّ بتوفيق الله وعونه جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق بين دفتي مصحف واحد، وبقي هذا المصحف عند أبي بكر حتّى توفّاه الله ثمّ عند الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، فلمّا توفّي احتفظت به عندها أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر.

وفي عهد عثمان بن عفان تجدّد الداعي إلى جمع القرآن ثانية والعودة إلى الصحف المحتفظ بها عند حفصة، حيث وقع اختلاف بين المسلمين في قراءة القرآن أفزع الصحابة.

فعن أنس بن مالك أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثمّ نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبيّر وسعيد ابن العاص وعبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانهم[٢]، ففعلوا حتّى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق[٣].

واستجاب الصحابة رضوان الله عليهم لخليفة المسلمين عثمان بن

---

(١) مناهل العرفان ٢٤٥/١.

(٢) قال ابن شهاب الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه التابوت فإنّه نزل بلسان قريش (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن.

عفّان فحرّقوا مصاحفهم وصحفهم التي كانت بين أيديهم[١]، وأصبح مصحف عثمان الذي عرف بمصحف الإمام، المصحف المعوّل عليه دون غيره من المصاحف.

## ـ ٢ ـ السنّة النبويّة:

رأينا كيف أنّ النبيّ ﷺ قد نهى في أوّل الأمر عن كتابة الحديث خوف اختلاطه بالقرآن أو لئلاّ يُتّخذ مع القرآن كتاب يضاهيه في التلاوة والقراءة، ثمّ نسخ النهي عن الكتابة إلى الإباحة والإذن بالتدوين بعد زوال أسباب المنع.

وثبت أنّ هناك من دوّن في عهد الرسول ﷺ سواء كان بإذن خاص من النبيّ كعبدالله بن عمرو بن العاص، أو بعد الإذن العام.

ورغم ما روي عن رسول الله في إذنه بتدوين حديثه، ورغم ما كتب في عهده ﷺ من أحاديث فإنّ الصحابة رضوان الله عليهم نراهم في هذا الدور يحجمون عن تدوين الأحاديث ويكتفون في تناقلها بالرواية اعتمادا على ما وعته عقولهم وما حفظته صدورهم.

فهذا عمر بن الخطاب يعزم في أيّام خلافته على تدوين أحاديث رسول الله ويستخير الله شهراً كاملاً ثمّ يعدل عن ذلك، فعن عروة بن الزبيّر أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبيّ ﷺ في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنت أريد أن أكتب السنن وإنّي ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب ـ لا أنسى ـ كتاب الله بشيء أبداً.

---

(١) إلاّ ما كان من عبدالله بن مسعود فإنّه قال: يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلّوها فإنّ الله يقول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فألقوا الله بالمصاحف، قال ابن شهاب الزهري: فبلغني أنّ ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبيّ ﷺ (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن).

وعن يحيى بن جعدة أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنّة ثمّ بدا له أن لا يكتبها ثمّ كتب في الأمصار: من كان عنده شيء فليمحه.

وعن ابن وهب قال سمعت مالكاً يحدّث أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب الأحاديث أو كتبها ثمّ قال: لا كتاب مع كتاب الله، قال مالك: ولم يكن القوم يكتبون إنّما كانوا يحفظون، فمن كتب منهم الشيء فإنّما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه[١].

وإنّما كره الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الكتابة في هذا الدور حتّى لا يتّخذ مع القرآن كتاباً يُضاهى به كما مرّ بيانه، ولئلاّ يتّكل الكاتب على ما كتب فلا يحفظ فيقلّ الحفظ، خاصّة وأنّ العرب كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك[٢].

*** منهج الصحابة في رواية الحديث:**

**ـ ١ ـ الإقلال من الرواية:**

ثمّ مع كراهتهم للكتابة والتدوين كانوا قد نهجوا نهج الإقلال من رواية الحديث فقد روي عن عمر بن الخطاب أنّه كان يقول: أقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ.

وروي عن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فشيّعنا عمر إلى صرار ثمّ دعا بماء فتوضّأ ثمّ قال لنا: أتدرون لمّ خرجت معكم؟ قلنا أردت أن تشيّعنا وتكرمنا، قال إنّ مع ذلك لحاجة خرجت لها، إنّكم تأتون بلدة لأهلها دويّ بالقرآن كدويّ النحل فلا تصدّوهم بالأحاديث عن رسول الله ﷺ فتشغلوهم، جوّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، امضوا وأنا شريككم، فلمّا قدم قرظة قالوا: حدّثنا، قال: نهانا عمر بن الخطاب.

---

(١) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ٧٧/١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٨٢/١ ـ ٨٣.

ولذلك كان أبو هريرة يمسك عن التحديث زمن عمر بن الخطاب ويقلّ من رواية الحديث، ولم يحدّث ويكثر من ذلك إلاّ بعدما طال به العمر واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم وكان يقول: لقد حدّثتكم بأحاديث لو حدّثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني بالدرّة[١].

وكان ابن مسعود يقول: إنّ هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره[٢].

وكان سفيان بن عيينة يقول وقد نظر إلى أصحاب الحديث: لو أدركنا وإيّاكم عمر بن الخطاب لأوجعنا ضرباً[٣].

والظاهر أنّ هذا النهج الذي انتهجه الصحابة في الإقلال من رواية الحديث إنّما كان لقرب عهدهم بالرسول ﷺ، ولكون أغلب الصحابة الذين سمعوا من رسول الله لا يزالون على قيد الحياة فلم تكن هناك حاجة متأكّدة لرواية الحديث، والاعتناء به على سبيل السماع والتحصيل والحفظ خاصّة وأنّ عمر بن الخطاب قد ألزم أصحاب رسول الله بالبقاء بجواره بالمدينة إلاّ من كان منهم قد خرج في مهمّة فرخّص له ذلك.

وقد حمل ابن عبدالبرّ منهج عمر في الإقلال من رواية الحديث على وجوه منها:

* أنّه كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشي عليهم الاشتغال بغيره عنه إذ هو الأصل لكلّ علم.

* وأنّه كان خوف مواقعه الكذب على رسول الله ﷺ وخوف الاشتغال عن تدبّر السنن والقرآن، لأنّ المكثر لا تكاد تراه إلاّ غير متدبّر ولا متفقّه فعاب عليهم الإكثار خوفا من أن يرتفع التدبّروالتفهّم.

ولا يجب أن يحمل منهجه في الإقلال من الحديث على الإطلاق

---

(١) المصدر السابق ١٤٧/٢ ـ ١٤٨.
(٢) نفس المصدر ٨٠/١.
(٣) نفس المصدر ١٥٩/٢.

**- ٢ - التحرّي والاحتياط في النقل:**

وكما سار الصحابة رضي الله عنهم في هذا العصر على نهج الإقلال من رواية الحديث ساروا كذلك على نهج التحرّي والاحتياط في نقل الحديث، ورغم أنّ أصحاب رسول الله كانوا جميعاً عدولاً فيما بينهم لا يُتّهمون في دينهم ولا في تقواهم فقد كانوا يتثبّتون فيما يرويه بعضهم ويتحرّون فيما ينقلون ويحتاطون فيما يسمعون ويطالبون بالشاهد على روايتهم.

وكانت الطريقة المتّبعة لدى أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب مع قلّة روايتهما للحديث رغم تقدّم صحبتهما وملازمتهما النبيّ ﷺ ألاّ يقبلا حديثاً إلاّ إذا شهد بسماعه عن الرسول ﷺ اثنان من الصحابة.

فروى ابن شهاب الزهري عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدّة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها فقال: ما أعلم لك في كتاب الله شيئاً، ولا أعلم لك في سنّة رسول الله ﷺ من شيء حتّى أسأل الناس، فسأل فقال المغيرة بن شعبة: سمعت رسول الله جعل لها السدس، فقال: من يشهد معك أو من يعلم معك، فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ذلك، فأنفذه لها[1].

وروي عن أبي موسى الأشعري أنّه جاء يستأذن على عمر بن الخطاب فاستأذن ثلاثاً ثمّ رجع، فأرسل عمر بن الخطاب في أثره فقال: ما لك لم تدخل؟ فقال أبو موسى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **الاستئذان ثلاث فإن أذن لك فادخل وإلاّ فارجع**، فقال عمر: ومن يعلم هذا؟ لئن لم تأتني بمن يعلم ذلك لأفعلنّ بك كذا وكذا، فخرج أبو موسى حتّى جاء مجلساً في المسجد يقال له مجلس الأنصار، فقال: إنّي أخبرت عمر بن الخطاب أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث فإن أذن لك

---

(١) أخرجه أحمد في مسند الشاميين.

فادخل وإلاّ فارجع، فقال: لئن لم تأتني بمن يعلم هذا لأفعلنّ بك كذا وكذا، فإن كان سمع ذلك أحد منكم فليقم معي، فقالوا لأبي سعيد الخدري: قم معه، وكان أبو سعيد أصغرهم، فقام معه، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فقال عمر بن الخطاب لأبي موسى: أمّا إنّي لم أتّهمك ولكن خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله ﷺ[١].

وروى حسين بن أبي وقّاص قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: ما يمنعني أن أحدّث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعى أصحابه عنه، ولكنّي أشهد لسمعته يقول: من قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار[٢].

وكانت طريقة عليّ بن أبي طالب في قبول الرواية أن يحلّف كلّ من يسمعه حديثاً لم يبلغه عن رسول الله حتّى يطمئنّ إلى صدقه، فعن أسماء بن الحكم الفزاري أنّ عليّ بن أبي طالب قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله بما شاء منه، وإذا حدّثني عنه غيره استحلفته، فإذا حلف صدّقته، وإنّ أبا بكر حدّثني وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضّأ فيحسن الوضوء ثمّ يصلّي ركعتين ويستغفر الله إلاّ غفر له**»[٣].

ورغم هذا النهج العام الذي سار عليه الصحابة في الإقلال من رواية الحديث والاحتياط في نقله فإنّ ذلك لم يمنع بعض صغار الصحابة من أمثال عبدالله بن العباس من الاعتناء بسماعه والسعي في سبيل تحصيله وحفظه.

فعن عكرمة عن ابن عباس قال: لمّا قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنّهم اليوم كثير، فقال:

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الاستئذان.

(٢) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، وأحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.

وعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك؟ قال ابن عباس: فترك ذلك وأقبلت أسأل، فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسّد ردائي على بابه يسفي الريح عليّ من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عمّ رسول الله ما جاء بك؟ هلّا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحقّ أن آتيك فأسأله عن الحديث، فعاش الرجل الأنصاري حتّى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فقال: هذا الفتى كان أعقل منّي.

وروى عبيدالله بن علي بن أبي رافع أنّ ابن عباس كان يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع النبيّ ﷺ يوم كذا ومع ابن عباس من يكتب ما يقول[١].

*** الرحلة في طلب الحديث:**

انقضى عصر أبي بكر وعمر وأعظم السنّة النبويّة الشريفة محفوظة في صدور أصحاب الرسول، غير شائعة بين الناس كثيراً، إذ أنّ منهج أبي بكر وعمر كان يقوم على الاعتناء بكتاب الله والاحتياط للسنّة النبويّة من التزيّد عليها والاحتراز لها حتّى من الوقوع في الخطأ والوهم غير المقصود، وكانت سياستهما تقوم على استبقاء كبار الصحابة وملازمتهم المدينة فلا يخرج منها إلاّ من دعت الحاجة الملحّة إلى خروجه.

فلمّا كان عهد عثمان بن عفان أذن لأصحاب رسول الله بمغادرة المدينة والانتشار في الأرض فتوزّعوا في الأمصار وعند كلّ واحد منهم مجموعة من الأحاديث التي كان قد سمعها من رسول الله أو سمعها من أصحابه وقد يتفرّد بعضهم برواية أحاديث لم يسمعها غيره، واحتاج الناس إلى ما عندهم من العلم والسنن فتصدّر كلّ صحابي أو أكثر بتعليم أهالي الإقليم الذي استقرّوا به، وانتشرت الأحاديث بانتشار الصحابة في الأمصار.

والأقاليم، فأصبح طلّاب الحديث من أبناء الصحابة ومن التابعين لا يستطيعون استيفاء الأحاديث من مركز واحد، ولا يبلغون الدرجة الحقيقيّة

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣٣١/٢ ـ ٣٣٢.

في الاعتناء بسماع الحديث وتحصيله وحفظه إلاّ إذا رحلوا في طلبه من بلد إلى آخر، فظهرت الرحلة في طلب الحديث وتركّزت الأنظار بعناية أعظم حول من بقي من أصحاب الرسول، واشتهر منهم سبعة بكثرة الرواية، وهم: أبو هريرة روى ٥٣٧٤ حديثاً، ثمّ عبدالله بن عمر بن الخطاب وعدد ما رواه ١٦٣٠ حديثاً، ثمّ أنس بن مالك وعدد أحاديثه ١٢٨٦ حديثاً، ثمّ عائشة أمّ المؤمنين وعدد ما روته ١٢١٠ حديثاً، ثمّ عبدالله بن عباس وعدد ما رواه ١٦٦٠ حديثاً، ثمّ جابر بن عبدالله وعدد ما رواه ١٥٤٠ حديثاً، ثمّ أبو سعيد الخدري وعدد ما رواه ١١٧٠ حديثاً.

ومضى الأمر على تلك الحال من طلب للحديث واعتناء به تحصيلا ورواية إلى أن رفعت الفتنة رأسها ونفثت بسمومها في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان فكانت تلك الفتنة بفظاعتها وخطورتها منعرجاً حاسماً في حياة المسلمين وتاريخهم الديني والسياسي.

## ـ ٣ ـ الاجتهاد والرأي:

احتاج الناس في هذا العصر إلى المجتهدين من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يكونوا رضوان الله عليهم كلّهم أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ من جميعهم وإنّما كانوا على اختلاف في درجة الإفتاء والفقه في الدين، فمنهم العامّة الذين لم يُعرفوا بفقه ولا دراية وإذا نزلت بأحدهم نازلة سأل فيها أهل الذكر، وكان منهم المجتهدون الأوّلون وهم الفقهاء من أصحاب الرسول الذين اجتهدوا في حياة الرسول.

وهؤلاء الصحابة كانوا ألين الأمّة قلوباً وأعمقها علماً وأقلّها تكلّفاً وأحسنها بياناً وأصدقها إيماناً وأعمقها نصيحة وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا كما شهد فيهم بعض التابعين: كالإخاذ الإخاذة تروي الراكب، والإخاذة تروي الراكبين، والإخاذة تروي العشرة، والإخاذة لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم[1] ـ أي أشبعتهم من الماء ـ وهؤلاء الذين تميّزوا من بين

(١) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١١/١ و١٦.

الصحابة بممارستهم الاجتهاد والإفتاء هم الذين عرفوا باسم القرّاء[١] كما قال ابن خلدون ـ أو الذين عرفوا باسم الفقهاء والعلماء من القرّاء فيما بعد[٢].

وبوفاة النبيّ ﷺ أصبح هؤلاء الذين مارسوا الاجتهاد بين يدي النبيّ وكان مرجعهم إليه، وتخرّجوا على ذلك في الاجتهاد بالنبيّ، أصبحوا بالطبع هم المرجع للناس.

وهؤلاء هم الذين اهتمّ العلماء بجمع أسمائهم فألّفت فيهم تآليف ونظّمت في إحصائهم منظومات، وقد كانوا ـ كما ذكر ابن حزم ونقله عنه ابن قيم الجوزيّة ـ متفاوتين في الإفتاء بين مكثر ومقلّ ومتوسّط، بحيث إنّ مجموعهم قد بلغ مائة ونيْفا وثلاثين[٣] اشتهر منهم سبعة اعتبروا هم المكثرون من الصحابة فيما روي عنهم من الفتيا، وعدّوا من الطبقة الأولى في العلم، وقد اختلف العادون في بعضهم فوضعوا واحداً مكان آخر.

فروى ابن سعد بإسناد صحيح قال: أصحاب الفتوى ستّة وهم: عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت[٤].

وروي عن مسروق أنّه قال: شافهت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستّة: عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وزيد بن ثابت رضي الله عنهم[٥].

---

(١) وفي الحديث عن عاصم، قال: سمعت أنسا يقول: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سريّة ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة، كانوا يدعون القرّاء (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

(٢) ابن خلدون: المقدّمة ص ٤٢٨.

(٣) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٨٧/٥، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١/ ١٢ ـ ١٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٦٢.

(٥) ابن عبدالبرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦٠/٤.

وفي رواية أخرى أنّه قال: شاممت أصحاب محمد ﷺ - أي بحثت عنهم - فوجدت علمهم ينتهي إلى ستّة، فذكر أبيّ بن كعب عوضاً عن معاذ بن جبل[١].

وقال الشعبي: ثلاثة يستفتي بعضهم من بعض، فكان عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت يستفتي بعضهم من بعض، وكان عليّ بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري يستفتي بعضهم من بعض[٢].

وقال مسروق: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة وعالم بالشام وعالم بالعراق، فعالم المدينة عليّ بن أبي طالب، وعالم العراق عبدالله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة ولم يسألهما[٣].

وقال الإمام الشعبي: قضاة هذه الأمّة: عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري.

وكان عبدالله بن مسعود يقول: إنّي لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم.

وقال سعيد بن المسيّب: كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[٤] - أي عليّ بن أبي طالب -

وكان ابن عباس يقول: أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وإنّه لأعلمهم بالعشر الباقي[٥].

---

(١) إعلام الموقعين ١٦/١.
(٢) المصدر السابق ١٥/١.
(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢.
(٤) إعلام الموقعين ١٦/١.
(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢.

وقال شهر بن حوشب: كان أصحاب محمد ﷺ إذا تحدّثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا إليه هيبة له.

وقال ابن أبي نجيح: كان أصحاب ابن عباس يقولون: ابن عباس أعلم من عمر بن الخطاب ومن عليّ بن أبي طالب ومن عبدالله بن مسعود ويعدّون ناسا فيثب عليهم الناس فيقولون: لا تعجلوا علينا إنّه لم يكن أحد من هؤلاء إلاّ وعنده من العلم ما ليس عند صاحبه، وكان ابن عباس قد جمعه كلّه[١].

والملاحظ من خلال هذه الروايات ـ وروايات أخرى أعرضنا عنها اختصارا ـ اختلاف القوم فيمن هو أعلم الصحابة، واختلاف النظر في هذا أمر طبيعي والأهمّ من هذا أنّ العلماء قد عدّوا سبعة من الصحابة هم سادة المفتين والعلماء والمكثرون من الفتيا وهم على الأشهر: عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وزيد بن ثابت وعائشة أمّ المؤمنين.

ثمّ المتوسّطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا وعددهم عشرون، وهم: أبو بكر الصديق وأمّ المؤمنين أمّ سلمة وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وعثمان بن عفان وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله ابن الزبير وأبو موسى الأشعري وسعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي وجابر بن عبدالله ومعاذ بن جبل وطلحة بن عبيدالله والزبيّر بن العوام وعبدالرحمٰن بن عوف وعمران بن حصين وأبو بكرة وعبادة بن الصامت ومعاوية بن أبي سفيان.

ثمّ المقلّون الذين لا يروى عن الواحد منهم إلاّ المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك فعددهم بعد التقصّي واحد وعشرون ومائة[٢].

---

(١) إعلام الموقعين ١٨/١ ـ ٢٠.

(٢) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٨٧/٥ ـ ٨٩، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١/ ١٢ ـ ١٤.

هؤلاء الصحابة الذين تخرّجوا بالنبيّ ﷺ بذاته فكانوا سادة الأمّة وأئمّتها وقادتها، كانوا في عهد أبي بكر وعمر مجتمعين في المدينة المنوّرة حيث تكوّنت الشريعة العمليّة وحيث نشأت نواة الاجتهاد الأولى، ثمّ سرعان ما اتّسعت الدولة الإسلاميّة وامتدّت الفتوحات في عهد عثمان بن عفان وأذن لهم بالسعي في أنحاء الدولة الممتدّة، فتوزّعوا في تلك البلاد الشاسعة بقصد تعليم الأمّة وإرشادها.

والحقّ يقال إنّ انتشار الصحابة في الأمصار المفتوحة لم يكن من سياسة عثمان بن عفان كما يتبادر للكثير أوّل الأمر، ولكنّ الناظر يرى أنّ هذه البعثات كانت تتمّ منذ عهد الرسول ﷺ، فقد بعث مثلاً معاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وبعث بغيرهما من الصحابة، وذاك أمر تتطلّبه مصلحة الدولة ويحتاج إليه المسلمون في تلك البلاد، فكان يرسل إلى الأنحاء المختلفة من سادات الصحابة من المفتين والعلماء ليتلقّى عنهم الناس الدين تلقّياً صحيحاً.

ولمّا توفّي الرسول ﷺ خرج بعض الصحابة من المدينة ونزلوا أماكن مختلفة فربّما استقرّوا بها واتّخذوها مقاماً وموطناً.

وحين تولّى عمر بن الخطاب الخلافة بعث عمّار بن ياسر وعبدالله بن مسعود إلى الكوفة وقال لأهلها: أمّا بعد فإنّي بعثت إليكم عمّاراً أميراً وعبدالله قاضياً ووزيراً... فاسمعوا لهما وأطيعوا فقد آثرتكم بهما على نفسي.

وروى أبو مسلم الخراساني أنّه دخل حمص - زمن خلافة عمر - فرأى حلّقة فيها اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب رسول الله[1].

ففي عهد عمر رضي الله عنه خرج كثير من الصحابة من المدينة بغاية الفتح والجهاد وبغاية التعليم والإرشاد أو بتكليف من الخليفة لتسيير شؤون ولاية من الولايات، توزّعوا في الأقاليم وسكنوا بلاداً شاسعة واستوطنوا

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٣، ٤٦.

وماتوا في أماكن شتّى، مثل عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وسهيل بن عمرو وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأبو عبيدة بن الجراح وأبو الدرداء وغيرهم كثير.

ورغم هذه البعثات التي اقتضتها مصلحة الإسلام والمسلمين فقد عُرف عن عمر أنّه كان لا يحبّذ خروج الصحابة من المدينة ولا يسمح لهم بذلك وخاصّة منهم من اشتهر بالإفتاء.

ولكن في عهد عثمان بن عفان كانت ظاهرة توزّع الصحابة في أنحاء البلاد قد شاعت وانتشرت حتّى عدّت بعد ذلك من سياسة عثمان بن عفان ونهجه في عدم إلزام أصحاب رسول الله بالمكوث إلى جواره بعد أن أذن لهم إذنا عامّا وسمح لهم بحريّة اختيار موطن الإقامة، فاختار بعضهم مكّة، ونزل بعضهم الشام وتوجّه بعضهم إلى البصرة وقصد البعض الآخر مصر وسائر بلاد الإسلام.

على أنّ الجمع الأعظم والعدد الأكبر من الصحابة قد لزم المدينة ولم يخرج منها ذلك أنّ النبيّ ﷺ قد ترك بالمدينة ما يقرب من اثني عشر ألفاً من الصحابة دفن منهم بالبقيع نحو عشرة آلاف وتفرّق منها وانجلى عنها ألفان في نواحي متفرّقة.

وهؤلاء الصحابة أهل الإيمان وجند الرحمٰن قد أنشأوا بتوزّعهم في الأمصار حركة اجتهاديّة في كلّ بلدة نزلوا بها، فتعدّدت مراكز الاجتهاد بتعدّد الأقاليم التي نزل بها الصحابة، وبعد أن كان الفقه فقه المدينة حيث يقيم أكثر الصحابة وأشهرهم فقها وعلماً، أصبحت المراكز عديدة، وغدا أتباع كلّ صحابيّ لا يعدلون به غيره، فكان أهل مكّة من أتباع ابن عباس يرون أنّ ابن عباس أعلم من عمر بن الخطاب ومن عليّ بن أبي طالب ومن عبدالله بن مسعود... وإنّه لم يكن أحد من هؤلاء إلاّ وعنده من العلم ما ليس عند صاحبه، وأنّ ابن عبّاس كان قد جمعه كلّه.

وكان أصحاب ابن مسعود يرون أنّه لو نزل به أهل الأرض لأشبعهم علماً، ولكن ذلك لم يكن يمنعهم من أن ينصفوا الصحابة من أهل العلم

ويقرّوا لهم بالفضل، فهذا مسروق من أعلام تابعي العراق ومن تلامذة ابن مسعود يشهد حين قدومه المدينة أنّ زيد بن ثابت من الراسخين في العلم[١].

وغير ذلك كثير ممّا يطول عرضه.

والتحق بهؤلاء الفقهاء من أصحاب الرسول في كلّ مركز من تلك المراكز وجوه من أعلام التابعين الذين نالوا شرف الإفتاء بحضور الصحابة، واقتصر كثير من التابعين بالتفقّه على الصحابة الذين نزلوا عندهم واشتهروا بالأخذ عنهم دون سواهم في حين رأى بعضهم أن يطوف البلاد ويسمع من غيرهم.

وهكذا انبثقت نواة المراكز الفقهيّة الأولى التي جرت فيما بينها حركة الاجتهاد في هذا الدور.

*** منهج الصحابة في استنباط الأحكام الفقهيّة:**

لقد كان المنهج الأمثل الذي قرّره الرسول الأكرم ﷺ في استنباط الأحكام هو الاعتماد على كتاب الله ثمّ على سنّة رسول الله ثمّ الاجتهاد على هذين الأصلين عند عدم النصّ، وقد دلّ على ذلك حديث معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله عاملاً على اليمن، قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء**»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله**»، قال: فبسنّة رسول الله، قال: «**فإن لم تجد في سنّة رسول الله ولا في كتاب الله**»، قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[٢].

هذا المنهج الذي أقرّه الرسول الأكرم في حياته سار عليه أصحابه بعد

---

(١) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١٦/١، ١٨، ١٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، وأحمد في مسند الأنصار، والدارمي في المقدّمة.

مماته، فهذا أبو بكر الصديق كان إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنّة رسول الله ﷺ، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أنّ رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء؟ فربّما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنّة سنّها النبيّ ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.

وكان عمر يفعل ذلك، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنّة سأل هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به وإلاّ جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رسالته المشهورة في القضاء، فممّا جاء فيها: الفهم الفهم فيما أدلي إليك ممّا ورد عليك ممّا ليس في قرآن ولا سنّة، ثمّ قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثمّ اعمد فيما ترى إلى أحبّها إلى الله وأشبهها بالحقّ.

ولمّا بعث عمر شريحاً على قضاء الكوفة قال له: انظر ما تبيّن لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبيّن لك في كتاب الله فاتّبع فيه سنّة رسول الله ﷺ، وما لم يتبيّن لك فيه السنّة فاجتهد فيه رأيك[1].

وعن عبدالرحمٰن بن يزيد قال: أكثر الناس يوماً على عبدالله بن مسعود يسألونه، فقال: أيّها الناس إنّه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي ولسنا هناك، ثمّ إنّ الله بلغنا ما ترون، فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيّه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيّه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل إنّي

(١) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقّعين ٦٢/١ ـ ٦٣ و٨٦/١.

أرى وإنّي أخاف فإنّ الحلال بيّن والحرام بيّن، وبين ذلك مشتبهات، فدع ما يريبك لما لا يريبك.

وفي رواية ثانية أنّه قال: فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيّه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقم ولا يستحي.

وعن عبدالله بن أبي يزيد قال: رأيت ابن عباس إذا سئل عن شيء هو في كتاب الله قال به، فإن لم يكن في كتاب الله وقاله رسول الله ﷺ قال به، فإن لم يكن في كتاب الله ولم يقله رسول الله وقاله أبو بكر أو عمر قال به، وإلاّ اجتهد رأيه[١].

وهكذا كان أصحاب رسول الله يسيرون وفق منهج أساسه استقراء القرآن العظيم وسنّة النبيّ الكريم فإن أعياهم الدليل من الكتاب والسنّة استأنسوا فيما لا نصّ فيه بآراء بعضهم وكانوا بفعلهم ذاك قد كوّنوا نواة الإجماع بمعناه الذي حدّده الأصوليون بعد ذلك، وربّما التجؤوا إلى معرفة الأمثال وقاسوا الأشباه بنظائرها وكانوا بفعلهم ذاك قد توسّعوا في استعمال القياس، وقد بلغ التواتر المعنوي عنهم باستعماله.

ولم يكن أعلام الصحابة من الفقهاء والمفتين على درجة واحدة في استعمال الرأي والاجتهاد، وإنّما كان منهم المتوسّع في ذلك الذي يجتهد ويقدم على ذلك كلما دعت الحاجة إليه، وكان منهم المقلّ في استعمال الرأي الذي يرى الخير كلّ الخير في التأخّر عن استعماله.

ولكن على الرغم من اختلاف مواقفهم في التوسّع في الاجتهاد أو عدم التوسّع فيه، فإنّهم لم يكونوا يجترئون على الفتوى، وكانوا يتدافعونها ويكرهون التسرّع فيها ويودّ كلّ واحد منهم أن يكفيه إيّاها غيره، فإذا رأى أنّها قد تعيّنت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها، يدلّ على ذلك ما روي

---

(١) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ٢/٧٠ ـ ٧٢، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقّعين ١/٦٢ ـ ٦٤.

عن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، أراه قال في المسجد، فما كان منهم محدّث إلاّ ودّ أنّ أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلاّ ودّ أنّ أخاه كفاه الفتيا[١].

## نماذج من فتاوى الصحابة واجتهاداتهم في هذه المرحلة:

- ١ - من اجتهادات أبي بكر:

* روي عن أبي بردة قال: لقيت مروان بن الحكم بالمدينة فقال: يا ابن أبي موسى، ألم أخبر أنّ الجدّ لا ينزّل منزلة الأب وأنت لا تنكر، فال: قلت ولو كنت أنت لم تنكر، قال مروان: فأنا أشهد على عثمان بن عفان أنّه شهد على أبي بكر أنّه جعل الجدّ أبا إذا لم يكن دونه أب[٢].

- ٢ - من اجتهادات عمر:

* إلغاؤه لسهم المؤلفّة قلوبهم من الزكاة: الوارد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾[٣]، ولقد كان اجتهاد عمر في هذا متعلّقاً بتحقيق المناط، فلقد رأى أنّ الإسلام وصل شأنه إلى القمّة في القوّة والمنعة سواء من الناحية المعنويّة المتعلّقة بسطوع حجته وبرهانه، أو من الناحية الماديّة المتعلّقة بكثرة أهله وسعة انتشاره، فظهر له أنّ مناط حقّ المؤلّفة قلوبهم في الزكاة لم يعد متحقّقاً في عهده لما أصبح عليه الإسلام من منعة وعزّة لا يحتاج معهما إلى أن يخطب ودّهم بالمال فألغى غطاءهم، وفي إلغائه لعطائهم موافقة لنصّ الآية التي ربطت حقّ عطائهم بتألّف المسلمين إيّاهم خلافاً لما قد يتوهّمه البعض من أنّ ذلك منه معارض للآية[٤].

---

(١) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ٢/٢٠٠، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١/٣٤.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الفرائض.

(٣) سورة التوبة - الآية ٦٠.

(٤) البوطي محمد سعيد رمضان: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلاميّة ص ١٤٣ - ١٤٤.

* عدم قطع يد السارق عام المجاعة: فقد كان ممّا رآه عمر رضي الله عنه أنّ السرقة أثناء مجاعة عامّة تتعلّق به شبهة حقّ فيما سرقه، وذلك أنّ المضطرّ يجوز له أن يأخذ من مال غيره ما يسدّ ضرورته ولو من دون إذنه[١].

وقد روي عن عمر أنّه قال: لا قطع في سنة[٢]، وثبت أنّ رجلاً جاء إلى عمر في ناقة، فقال له: هل لك في ناقتين عشراوين مرتعتين سمينتين بناقتك؟ فإنّا لا نقطع في عام السنة[٣].

وهذا على نحو قضيّة عمر في غلمان حاطب، فعن ابن حاطب أنّ غلمة لحاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة، فأتى بهم عمر فأقرّوا، فأرسل إلى عبدالرحمٰن بن حاطب فجاء فقال له: إنّ غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقرّوا على أنفسهم، فقال عمر: يا كثير بن الصّلت اذهب فاقطع أيديهم، فلمّا ولّى بهم ردّهم عمر ثمّ قال: أمّا والله لولا أنّي أعلم أنّكم تستعملونهم وتجيعونهم حتّى إنّ أحدهم لو أكل ما حرّم الله عليه حلّ له لقطعت أيديهم، وأيّم الله إذ لم أفعل لأغرمنّك غرامة توجعك، ثمّ قال: يا مزني بكم أريدت منك ناقتك؟ قال: بأربعمائة، قال عمر: اذهب فاعطه ثمانمائة[٤].

* قتل الجماعة بالواحد: فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ غلاماً قتل غيلة، فقال عمر: لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم، وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه: إنّ أربعة قتلوا صبيّا فقال عمر مثله[٥].

وعن سعيد بن المسيّب أنّ عمر بن الخطاب قتل نفرا خمسة أو سبعة

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٦.
(٢) ابن رشد: البيان والتحصيل ٣٢٤/١٦.
(٣) ابن حزم: المحلّى ٣٤٣/٨، المسألة ٢٢٧٧.
(٤) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١١/٣.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديّات.

برجل واحد قتلوه غيلة، فقال عمر: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا[١].

* إمضاء الطلاق ثلاثا بكلمة واحدة: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة - أي مُهلة - فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم[٢].

- ٣ - من اجتهادات عثمان:

* أمره بإخراج زكاة الدين: فعن السائب بن يزيد أنّ عثمان بن عفّان كان يقول: هذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤدّ دينه حتى تحصل أموالكم، فتؤدّون منه الزكاة[٣].

* توريث المبتوتة في مرض الموت: فعن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف أنّ عبدالرحمٰن بن عوف طلّق امرأته البتّة وهو مريض، فورّثها عثمان بن عفّان منه بعد انقضاء عدّتها[٤].

* قضاؤه في الضوال: فعن ابن شهاب الزهري أنّه كان يقول: كانت ضوال الإبل في زمان عمر بن الخطاب إبلا مؤبّلة تناتج، لا يمسّها أحد حتّى إذا كان زمان عثمان بن عفّان أمر بتعريفها ثمّ تباع، فإذا جاء صاحبها أعطي ثمنها[٥].

- ٤ - من اجتهادات عليّ:

* أقلّ الحمل ستّة أشهر: فقد ورد عن الإمام مالك بلاغا أنّ

---

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب العقول.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق.
(٣) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الزكاة، باب الزكاة في الدين.
(٤) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الطلاق، باب طلاق المريض.
(٥) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الأقضية، باب القضاء في الضوال.

عثمان بن عفّان أُتي بامرأة قد ولدت في ستّة أشهر فأمر بها أن ترجم، فقال عليّ بن أبي طالب: ليس ذلك عليها، إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[١]، وقال: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[٢] فالحمل يكون ستّة أشهر فلا رجم عليها[٣].

* حدّ شارب الخمر: فعن عكرمة أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار في الخمر يشربها الرجل، فقال عليّ بن أبي طالب: نرى أن تجلده ثمانين فإنّه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى[٤] فجعله عمر حدّ الفرية ثمانين، ووافقه عليه الصحابة.

* ومن ذلك أنّ عمر بن الخطاب أرسل في طلب امرأة فأجهضت بفزعها، فاستشار الصحابة، فقال له عثمان ابن عفان وعبدالرحمٰن بن عوف: إنّما أنت مؤدّب ولا شيء عليك، وأمّا عليّ بن أبي طالب فقال له: أمّا المأثم فأرجو أن يكون منحطّا عنك وأرى عليك الديّة، فاستحسن عمر اجتهاد عليّ وقال له: عزمت عليك أن لا تبرح حتّى تضربها على بني عديّ، يعني قومه[٥].

هؤلاء الخلفاء الأربعة هم أعظم المجتهدين وأكمل المفتين في هذه المرحلة، وهم أعلم الأمّة بأحوال النبيّ وأفقههم في تصرّفاته، فهم أسبق الناس إسلاما وأعرف القوم بسنّته، وهم الذين فتحوا للعلماء باب الاجتهاد ونهجوا لهم طريقه وبيّنوا لهم سبيله.

غير أنّ قلّة المسائل التي اجتهد فيها أبو بكر إنّما كان بسبب تقدّم

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٣) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم.
(٤) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب الأشربة، باب الحدّ في الخمر.
(٥) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ٥٥/٤، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ٢١٥/١.

وفاته وبقاء الحياة في عهده على بساطتها وعدم تشعّبها وقلّة طروء النوازل التي هي منشأ الاجتهاد، ثمّ إنّ أغلب الصحابة الذين حفظوا الدين والسنن وشهدوا الوحي والتنزيل ما زالوا على قيد الحياة وقد كفوه كلفة الاشتغال بالناس وإفتائهم وإقرائهم.

وكان غيرهم من الصحابة كذلك يستفتون فيفتون ويسألون فيجتهدون في هذه المرحلة، فكانوا ربّما اتّفقوا جميعا في الحكم ولو بعد اختلاف في وجهات النظر فيعدّ ذلك إجماعا منهم، وربّما اختلفوا فيسلّمون لوليّ الأمر فيهم برفع الخلاف واتّباع ما اختاره من حكم، أو ربّما اختلفوا فعمل كلّ منهم بما أدّاه إليه اجتهاده في المسألة، وكان بعضهم ربّما اجتهد في المسألة حيث لم يبلغه فيها الحديث، فيقضى فيها أو يفتي بغير السنّة، ثمّ يتراجع عمّا قال عندما يبلغه الحديث، فهذه أنواع أربعة نبرز حقيقتها بأمثلة توضّحها:

**- النوع الأوّل: ما اجتهد فيه الصحابة واتّفقت عليه كلمتهم ولو بعد اختلاف: وذلك مثل:**

* إجماع الصحابة على تقديم أبي بكر الصدّيق في الخلافة بعد اختلاف في ذلك بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة.

* إجماع الصحابة على كتابة المصحف وجمع القرآن في عهد أبي بكر بعد توقّف منه ومن زيد بن ثابت في فعل ما لم يفعله الرسول ﷺ.

* إجماع الصحابة على موافقة عثمان في جمع الناس على مصحف واحد وترتيب واحد وحرف واحد بعد نفور أبداه عبدالله بن مسعود حين قال: على قراءة من تأمروني أن أقرأ، فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنّي أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أنّ أحداً أعلم منّي لرحلت إليه[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

وقوله: يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلّوها فإنّ الله يقول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[١] فألقوا الله بالمصاحف، قال ابن شهاب الزهري: فبلغني أنّ ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبيّ ﷺ[٢].

ثمّ استجاب رضي الله عنه بعد ذلك لما اتّفق عليه الصحابة فحرّق الجميع مصاحفهم وصحفهم التي كانت بين أيديهم وبذلك أصبح المعوّل عليه دون غيره من المصاحف مصحف عثمان الذي عرف بمصحف الإمام.

* إجماع الصحابة على إلحاق الحدّ في الخمر بحدّ القذف بعد اجتهاد اجتهده عليّ بن أبي طالب وأقرّه عليه الصحابة.

* إجماع الصحابة على توريث الجدّ وإن اختلفوا في تعيين مصيره ونسبته المستحقّة ميراثاً في بعض الحالات، وعلى توريث ابن الابن والأعمام وبنوهم.

**- النوع الثاني: ما اجتهد فيه الصحابة واختلفوا ثمّ رفع أمر الإمام الخلاف: وذلك مثل:**

* رأيهم في المرأة المخيّرة: فقد ورد عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال: سألني أمير المؤمنين عمر عن الخيار، فقلت: إن اختارت زوجها فهي واحدة وهو أحقّ بها، وإن اختارت نفسها فهي واحدة بائنة، فقال: ليس كذلك، إن اختارت نفسها فهي واحدة وهو أحقّ بها، وإن اختارت زوجها فلا شيء، قال عليّ: فاتّبعته على ذلك، فلمّا خلص الأمر إليّ وعلمت أنّي أُسأل عن الفروج عدت إلى ما كنت أرى، فقال زاذان: لأمر جامعت عليه أمير المؤمنين وتركت رأيك له أحبّ إلينا من أمر انفردت به، فضحك

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن.

وقال: أمّا إنّه قد أرسل إلى زيد بن ثابت وخالفني وإيّاه، وقال: إن اختارت زوجها فهي واحدة، وزوجها أحقّ بها، وإن اختارت نفسها فهي ثلاث[١].

* تسوية الصدّيق بين الناس في العطاء واختيار عمر المفاضلة في ذلك: فقد رأى أبو بكر أن يسوّي في العطاء، رافضا أن يكون عطاؤهم هذا ثمنا لما يقومون به من أعمال هي لله خالصة، في حين كان عمر لا يرى رأيه بل يختار المفاضلة بين الناس، لذلك لمّا ولّي الخلافة فاضل بين المسلمين في الأعطية وكان يحلف على أيمان ثلاث ويقول: والله ما أحد أحقّ بهذا المال من أحد وما أنا بأحقّ به من أحد، والله ما من المسلمين أحد إلاّ وله في هذا المال نصيب إلاّ عبدا مملوكا، ولكنّا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت لهم ليأتينّ الراعي بحبل صنعاء حظّه من هذا المال وهو يرعى مكانه[٢].

* اختلافهم في قسمة الأرض المفتوحة: لمّا اتّسعت الفتوحات في زمن عمر سأله بعض الصحابة أن يقسم بينهم ما أفاء الله عليهم من العراق والشام كما كان يفعل أبو بكر حيث كان يقسم بينهم أيّام خلافته الأراضي المفتوحة ومضى العمل على ذلك في عهده، فلمّا ولّي عمر أبى عليهم ذلك ورأى أن تكون وقفاً يصرف خراجها في مصالح المسلمين، وقال لهم: قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء، ولئن بقيت ليبلغنّ الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه[٣].

---

(١) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ٢١٦/١.
(٢) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.
(٣) أبو يوسف: كتاب الخراج ص ٢٤.

وقال: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلاّ قسمتها بين أهلها ـ أي الفاتحين ـ كما قسم النبيّ خيبر[١].

وعلى رأي عمر سار الخليفتان عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب من بعده، ورغم معارضة عبدالرحمٰن بن عوف وعمّار بن ياسر والزبيّر بن العوّام وبلال بن رباح الذي كان أشدّ الناس معارضة لهذا الاجتهاد، حيث رأوا أن تخمّس الأرض كما قسّم الرسول أرض خيبر، غير أنّ أمر الإمام قد رفع الخلاف في المسألة ولزم الناس ما ألزمهم إيّاه.

* حكم من منع الزكاة ولم يجحد وجوبها: ذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أنّ حكمه حكم المرتدّ وبذلك حكم في مانعي الزكاة من العرب، فقاتلهم وسبى ذرّيتهم، ولمّا ولّي عمر الخلافة من بعده نقض حكم أبي بكر في هذه المسألة فأطلق من كان استرقّ منهم[٢]، وردّ ما سبي من نساء المرتدّين إلى أهليهنّ حرائر إلاّ من ولدت لسيّدها منهنّ، ومن جملتهنّ كانت خولة بنت جعفر الحنفيّة أمّ محمد بن الحنفيّة ولد الإمام عليّ رضي الله عنه.

**ـ النوع الثالث: اختلافهم في المسألة وعمل كلّ منهم بما أدّاه إليه اجتهاده:**

وهذا النوع من الاختلاف ـ كما بيّن الإمام الشاطبي ـ يظهر فيه وجه الموالاة والتحابب والتعاطف بين المختلفين في مسائل الاجتهاد، حيث لم يؤدّ بهم الاختلاف إلى أن يصيروا شيعاً ولا تفرّقوا فرقاً لأنّهم مجتمعون على طلب قصد الشارع، وحال اختلافهم كحال اختلاف المتعبّدين لله بالعبادات المختلفة، فرجل تقرّبه الصلاة، وآخر يقرّبه الصيام، وآخر تقرّبه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة وفرض الخمس عن زيد بن أسلم عن أبيه.

(٢) ابن رشد: بداية المجتهد ١/٢٥٠، وراجع في ذلك مناظرة أبي بكر وعمر في شأن قتال مانعي الزكاة: نيل الأوطار للشوكاني ٤/١٧٥ ـ ١٧٩.

الصدقة، إلى غير ذلك من العبادات، فهم متّفقون في أصل التوجّه لله المعبود وإن اختلفوا في أصناف التوجّه، فكذلك المجتهدون لمّا كان قصدهم إصابة مقصد الشارع صارت كلمتهم واحدة وقولهم واحداً والأقوال ليست مقصودة لأنفسها بل ليتعرّف منها المقصد المتّحد[١].

ومن أمثلة ما وقع بين الصحابة من أنواع هذا الاختلاف:

* التكبير في صلاة العيدين: فقد ذهب المغيرة بن شعبة وأنس بن مالك وعبدالله بن عباس إلى أنّ التكبير في صلاة العيد يكون تسعاً في كلّ ركعة، وروي عن عبدالله بن عمر وأبي هريرة أنّ التكبير في الأولى سبع مع تكبيرة الإحرام قبل القراءة، وفي الثانية ستّ مع تكبيرة القيام من السجود، وروي عن عبدالله بن مسعود أنّه كان يكبّر في الأولى ثلاثاً بعد تكبيرة الإحرام، وفي الثانية ثلاث تكبيرات بعد القراءة[٢].

* التنفّل قبل صلاة العيد وبعدها: ذهب عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبدالله إلى أنّه لا يتنفّل لا قبلها ولا بعدها، في حين ذهب أنس بن مالك وعروة بن الزبيّر إلى أنّه يتنفّل قبلها وبعدها، ولعبدالله ابن مسعود قول آخر: وهو أن يتنفّل بعدها ولا يتنفّل قبلها[٣].

* حكم الاعتمار: اختلف الصحابة في حكم العمرة، فروي عن عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس إلى أنّها واجبة كالحجّ، في حين روي عن عبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله إلى أنّها سنّة وتطوّع[٤].

* تخمير المحرم وجهه: بعد إجماع الصحابة على أنّ المحرم لا يخمّر رأسه اختلفوا في تخمير الوجه، فروي عن عبدالله بن عمر أنّ ما

---

(١) الشاطبي: الموافقات ٤/٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١/٢١٧ ـ ٢١٨.

(٣) المصدر السابق ١/٢٢٠.

(٤) ابن رشد: بداية المجتهد ١/٣٢٢ ـ ٣٢٣.

فوق الذقن من الرأس لا يخمّره المحرم، وروي عن زيد بن ثابت وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عباس وسعد بن أبي وقاص أنّ للمحرم أنّ يخمّر وجهه إلى الحاجبين[١].

* وقت وقوع الطلاق في الإيلاء: ذهب عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن عمر إلى أنّه إذا آل الرجل من زوجه ومضت أربعة أشهر فإنّه يوقف بعد انقضاء الأربعة أشهر، فإمّا أن يفيء أو يطلّق، وذهب عبدالله بن مسعود إلى أنّ الطلاق يقع بانقضاء الأربعة أشهر إلاّ أن يفيء فيها[٢].

* أكل ذوات الحافر الإنسيّ: وهي الخيل والبغال والحمير، وقد ورد عن جمهور الصحابة تحريمها وخالف في ذلك عبدالله بن عباس وعائشة أمّ المؤمنين فكانا يبيحانها[٣].

هذا، ولقد استدركت عائشة رضي الله عنها في كثير من المسائل على أعلام الصحابة حتّى إنّ الإمام الزركشي قد صنّف في ذلك مؤلّفا سمّاه الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ضمّنه ما تفرّدت به الصدّيقة رضي الله عنها أو خالفت فيه سواها برأي منها أو كان فيه سنّة بيّنة أو زيادة علم متقنة أو أنكرت فيه على علماء زمانها أو رجع فيه إليها أجلّة من أعيان أوانها أو حرّرته من فتوى أو اجتهدت فيه من رأي رأته أقوى[٤].

**ـ النوع الرابع: الاجتهاد بما يخالف النصّ، ثمّ الرجوع عن ذاك الاجتهاد وتركه لحديث بلغه:**

ومن أمثلة ذلك:

* أنّ عمر بن الخطاب قضى بأنّ الديّة للعاقلة ولم يورّث المرأة من ديّة زوجها شيئاً، حتّى أخبره الضحّاك بن سفيان أنّ رسول الله ﷺ كتب

(١) المصدر السابق ١/٣٢٧ ـ ٣٢٨.
(٢) نفس المصدر ٢/١٠٠.
(٣) نفس المصدر ١/٤٦٩.
(٤) الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٢٧.

إليه أن يورّث امرأة أشيم الضبّابي من ديّة زوجها فرجع إليه عمر[١].

* وعن سعيد بن المسيّب أنّ عمر بن الخطاب قضى في الإبهام بخمس عشرة من الإبل، وفي التي تليها بعشر، وفي الوسطى بعشر، وفي التي تلي الخنصر بتسع، وفي الخنصر بستّ[٢] فكان قضاؤه رضي الله عنه في ديّة الأصابع أنّها مختلفة بحسب منافعها[٣] حتّى بلغه كتاباً كان عند عمرو بن حزم يذكر أنّه من رسول الله وفيه أنّ رسول الله قال: وفي كلّ إصبع ممّا هنالك عشر من الإبل[٤].

* وكذلك لم يكن عند عثمان بن عفّان علم بأنّ المتوفّى عنها زوجها تعتدّ في بيت الموت حتّى حدّثته الفريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري بقصّتها لمّا توفّي زوجها وأنّ النبيّ ﷺ قال لها: **«امكثي في بيتك حتّى يبلغ الكتاب أجله»**، وأنّها أعتدت فيه أربعة أشهر وعشراً فاتّبعه وقضى به[٥].

* وكان أبو هريرة يرى أنّ من أصبح جنباً فلا صوم له، حتّى بلغه حديث الرسول فرجع عن رأيه، فقد روي عن أبي بكر بن عبدالرحمٰن قال: سمعت أبا هريرة يقصّ ويقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم، قال: فذكرت ذلك لعبدالرحمٰن بن الحارث فذكره لأبيه فأنكر ذلك، فانطلق عبدالرحمٰن وانطلقت معه حتّى دخلنا على عائشة وأمّ سلمة، فسألها عبد الرحمٰن عن ذلك فقال: فكلّمناها، فقالت: كان النبيّ ﷺ يصبح جنبا من غير طُهر ثمّ يصوم، فانطلقنا حتّى دخلنا على مروان فذكر

---

(١) الشافعي: الرسالة ص ٤٢٦.
(٢) المصدر السابق ص ٤٢٢.
(٣) ابن تيمية: رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ١٣.
(٤) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب العقول، والنسائي في سننه، كتاب القسامة، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة بزيادة لفظ: والأصابع سواء، والدارمي في كتاب الديات بزيادة لفظ: في كلّ إصبع من أصابع اليد.
(٥) أخرجه مالك في الموطّأ، وأصحاب السنن الأربعة والدارمي في كتاب الطلاق عن زينب بنت كعب.

ذلك له عبدالرحمٰن فقال مروان: عزمت عليك إلاّ ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كلّه، فذكر له عبدالرحمٰن، فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم، قال: هما أعلم، ثمّ ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن عباس، قال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من النبيّ ﷺ، قال: فرجع أبو هريرة عمّا كان يقول في ذلك[١].

* وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه يرى بأن لا تصدر[٢] المرأة قبل طواف الوداع لما سمعه من النهي أن يصدر أحد من الحاج حتّى يكون آخر عهده بالبيت، وكانت الحائض عند زيد من الحاج الذين يشملهم النهي، فلمّا أفتاها ابن عباس بالصدر إذا كانت قد زارت بعد النحر، أنكر عليه زيد وقال له: تفتي أن تصدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت؟ فقال له ابن عباس إمّا لا، فسل فلانة الأنصارية ـ قيل هي أمّ سليم بنت ملحان ـ هل أمرها بذلك رسول الله ﷺ ؟ فسألها زيد فأخبرته فصدّق زيد المرأة ورأى عليه حقّا أن يرجع عن خلاف ابن عباس، فرجع زيد بن ثابت إلى ابن عباس يضحك ويقول: ما أراك إلاّ قد صدقت[٣].

* وعن هزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى الأشعري عن بنت وابنة ابن وأخت، فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وائت ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى، فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى رسول الله ﷺ، للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام.

(٢) الصدر هو رجوع المسافر من مقصده.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحجّ، والإمام الشافعي في الرسالة ص ٤٤٠ ـ ٤٤٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض.

فهذه وغيرها من الأمثلة الكثيرة جدّا الموجودة في كتب السنّة تؤكّد بوضوح موقف أصحاب الرسول من الاجتهاد، وكيف أنّهم لم يتردّدوا في استفراغ الوسع وبذل الجهد وإعمال الرأي وهم أتقى الأمّة وأفضلها، وذلك كلّما وضعتهم الظروف أمام نوازل ووقائع تطلّبت منهم استنباط الأحكام المناسبة لتلك الوقائع.

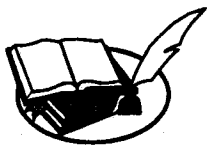

## المرحلة الثانية:

# عصر صغار الصحابة وكبار التابعين

نُوزع الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة حتى جرّد السيف فما صفت له وقتل بسيف الغدر، فلمّا استشهد بايع أهل الكوفة ابنه الحسن بن عليّ سبط رسول الله ﷺ وريحانته، فأقام فيهم ستّة أشهر، ثمّ بعث إليه معاوية بن أبي سفيان يبذل له تسليم الأمر إليه، فأجابه إلى ما طلب ونزل له عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين، واصطلحا على ذلك سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأوّل، فظهرت به المعجزة النبويّة، فقد روى أبو بكرة قال: قال رسول الله ﷺ للحسن بن عليّ: «**إنّ ابني هذا سيّد وإنّي أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمّتي**»، وفي رواية: «**ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين**»[1].

وارتحل الحسن بن علي عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها حتّى توفّي بفعل سمّ دسّ له.

وكان معاوية يعلم أنّ دولته لم يرض عنها كثير من المؤمنين، فحين قدم المدينة جلس في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبدالرحمٰن بن أبي بكر فأعرض عنه ابن عباس فقال معاوية: أنا أحقّ بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمّه - أي عليّ بن أبي طالب - فقال ابن عباس: ولِمَ؟ أَلِتقدم في الإسلام؟ أم سابقة مع رسول الله أو قرابة منه؟ قال معاوية:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنّة.

ولكنّي ابن عمّ المقتول، قال: فهذا ابن أبي بكر أحقّ به، قال: إنّ أباه مات موتاً ـ أي طبيعيّاً ـ قال: فهذا أحقّ ابن عمر به، قال: إنّ أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجّتك أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمّك فقتلوه.

وحين كتب معاوية إلى الأمصار في أخذ البيعة وولاية العهد لابنه يزيد، وقرأ مروان بن الحكم ـ عامل معاوية على المدينة ـ كتاب معاوية فقال: إنّ الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر فقام عبدالرحمٰن بن أبي بكر وقال: سنّة هرقل وقيصر، إنّ أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته.

فلمّا مات معاوية بايع أهل الشام يزيد ثمّ بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة فأبى الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير أن يبايعاه وخرجا من ليلتهما إلى مكّة.

وكان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين بن عليّ يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبى، فلمّا بويع يزيد جدّد أهل العراق إلى الحسين الرُّسُل والكتب يدعونه إليهم، فأقام على ما هو مهموما يجمع الإقامة مرّة ويريد المسير إليهم أخرى، فأشار عليه عبدالله بن الزبير بالخروج، في حين أشار عليه ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبدالله وأبو سعيد الخدري وجمع من الصحابة بالمكوث في المدينة، ولكنّه اختار المسير إلى العراق، فخرج من مكّة ومعه طائفة من آل بيته، وكتب يزيد إلى واليه بالعراق بقتاله فوجّه إليه جيشاً قوامه أربعة آلاف، فإذا بأهل الكوفة يخذلونه كما خذلوا أباه من قبله، فقُتل في كربلاء، وفي كيفيّة قتله شناعة فظيعة لا يحتمل قلب المؤمن وصفها.

ولمّا قُتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه أظهر أهل الكوفة التحسّر والندم وطالبوا بدمه وهم أولى من يطالب به، وبعث ابن عبيدالله بن زياد عامل العراق برأس الحسين وبني أبيه إلى يزيد.

واعتصم عبدالله بن الزبير بمكّة ودعا لنفسه بالخلافة واستمرّ على ذلك إلى أن تغلّب عليه عبدالملك بن مروان حيث جهّز لقتاله الحجّاج بن يوسف الثقفي في أربعين ألفاً، فلمّا حوصرت مكّة ورميت بالمنجنيق، خذله ابن الزبير أصحابه حتّى ظفر به الحجّاج فقتله وصلبه.

ومقت المسلمون جرّاء هذه الأحداث حكم بني أميّة رغم ما كان لدولتهم من فضل في توسيع رقعة بلاد الإسلام وفتحهم فتوحات عظيمة.

وممّا زاد في بغض الناس لهم ما اشتهر به بعض خلفائهم من أمثال يزيد بن معاوية (٦٤هـ) من شرب للخمور وإتيان للمنكرات وترك للصلاة وإسراف في المعاصي حتّى قال بعضهم ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء.

وما اشتهر به الوليد بن يزيد بن عبدالملك (١٢٦هـ) من ظلم واستبداد وفسق وانتهاك للحرمات واستخفاف بأمر الله.

وفضلاً عن ذلك فإنّ بعض عمّالهم من أمثال الحجّاج بن يوسف وغيره كانوا يعمدون إلى الاستخفاف بمن بقي من الصحابة وإذلالهم، فكان الحجّاج يهينهم ضرباً وشتماً وحبساً وروي أنّه ختم في أعناق الصحابة وأيديهم كأنس بن مالك وجابر بن عبدالله وسهل بن سعد الساعدي وغيرهم، وقتل الكثير من كبار التابعين حتّى قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: كان الوليد بالشام والحجّاج بالعراق وعثمان بن جبارة بالحجاز وقرّة بن شريك بمصر، امتلأت الأرض والله جوراً[1].

هذه الأحداث وغيرها كان لها بلا ريب الأثر الخطير على الأمّة الإسلاميّة التي تفرّقت إلى أحزاب وشيع كلّ منها يرى أنّ الحقّ إلى جانبه، كما كان لها الأثر العميق على سير الفقه، ولا شكّ أنّ الاستبداد يمحو الاجتهاد، ذلك أنّ الاستبداد والاجتهاد ضدّان لا يجتمعان.

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣، ٢٠٦ ـ ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٠.

ولنا في ذلك حادثتان:

**الأولى**: وقعت في زمن معاوية بن أبي سفيان: فقد روى أسيد بن حضير الأنصاري أنّه كان عاملاً على اليمامة وأنّ مروان كتب إليه أنّ معاوية كتب إليه أنّ أيّما رجل سرق منه سرقة فهو أحقّ بها حيث وجدها، ثمّ كتب بذلك مروان إليّ، قال: فكتبت إلى مروان أنّ النبيّ ﷺ قضى بأنّه إذا كان الذي ابتاعها من الذي سرقها غير متّهم يخيّر سيّدها، فإن شاء أخذ الذي سرق منه بثمنها، وإن شاء اتّبع سارقه، ثمّ قضى بذلك أبو بكر وعمر وعثمان، فبعث مروان بكتابي إلى معاوية فكتب معاوية إلى مروان: إنّك لست أنت ولا أسيد تقضيان عليّ ولكنّي أقضي فيما وُلّيت عليكما، فأنفذ لما أمرتك به، فبعث مروان بكتاب معاوية، فقلت: لا أقضي به ما ولّيت بما قال معاوية[١].

**الثانية**: وقعت في زمن عبدالملك بن مروان: فقد روي عن ابن جريج عن أبيه قال: خطبنا عبدالملك بن مروان بالمدينة بعد قتل الزبير عام حجّ سنة خمس وسبعين فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أمّا بعد فلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ولا الخليفة المأفون، ألا وإنّ من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وإنّي لا أداوي أدواء هذه الأمّة إلاّ بالسيف حتّى تستقيم لي قناتكم، تكفلوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم؟ فلن تزدادوا إلاّ عقوبة حتّى يحكم السيف بيننا وبينكم... والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه، ثمّ نزل[٢].

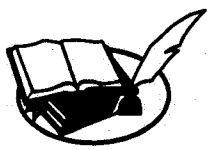

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب البيوع، باب الرجل يبيع السلعة فيستحقّها مستحقّ.
(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

# مصادر الفقه في هذه المرحلة

## ـ ١ ـ القرآن الكريم:

نسخت المصاحف العثمانيّة في عهد الخليفة الراشدي الثالث خالية من الشكل والنقط[١] ذلك أنّ سلامة لغتهم وصفاء سليقتهم كان يغنيهم عن شكل الحروف وإعجامها.

وظلّ الناس يقرؤون القرآن على الرسم العثماني دون ما حاجة منهم إلى الشكل والإعجام ما يقرب من أربعين سنة.

وفي خلافة عبدالملك بن مروان بدأ اللّبس والإشكال يدخل على المسلمين في قراءة المصاحف من جرّاء فساد لسانهم، حتّى يروى أنّ الوليد بن عبدالملك كان لحّانا فقال على منبر المسجد النبوي: يا أهل المدينة ـ برفع المنادى ـ، وقرأ مرّة قوله تعالى: ﴿ياليتها﴾ ـ بضمّ التاء ـ ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ وتحت المنبر عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن عبدالملك، فقال سليمان: وددتها والله[٢].

---

(١) ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنّ الإعجام كان معروفا قبل الإسلام، وأنّ الصحابة لم يثبتوه في المصاحف حتّى يبقى احتمال قراءة الكلمة بوجوه القراءات الموجودة فيها، ومنهم من ذهب إلى أنّ الإعجام لم يعرفه العرب إلاّ في خلافة عبدالملك بن مروان.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٢٣.

واختلف العلماء في أوّل من نقّط القرآن على هذا العهد، وتردّدت في هذا الموضوع روايتان:

* الرواية الأولى: تؤكّد أنّ أوّل من نقّط المصحف هو قاضي البصرة أبو الأسود الدؤلي، فقد روي أنّ زيادا والي البصرة لعهد عبدالملك بن مروان بعث إلى أبي الأسود الدؤلي أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً يُعرف به كتاب الله عزّ وجلّ، فاستعفاه أبو الأسود من ذلك حتّى سمع قارئاً يقرأ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[١] بجرّ اللاّم من كلمة «رسوله» فقال أبو الأسود: ما ظننت أنّ أمر الناس يؤول إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أفعل ما أمر به الأمير، فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول، فأتي به، فقال أبو الأسود إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحروف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط بين يدي الحروف، وإن كسرت فاجعل النقط من تحت، ففعل ذلك[٢].

ويميل البعض إلى أنّ أبا الأسود الدؤلي إنّما نقّط القرآن بأمر عبدالملك بن مروان[٣]، ولا تضارب في ذلك إذ من الممكن أن يكون عبدالملك قد أرسل بأمره إلى واليه على البصرة زياد، فقام هذا الوالي بتنفيذ أمر الخليفة واختار أبا الأسود الدؤلي للقيام بهذه المهمّة وتابع الأمر بنفسه.

* الرواية الثانية: تؤكّد أنّ هذه المهمّة الجليلة تحمّل أعباءها التابعيان الجليلان: يحيى بن يعمر العدواني ونصر بن عاصم الليثي، وذلك أنّ عبدالملك بن مروان كلّف واليه الحجّاج بن يوسف أن يُعنى بهذا الأمر، فندب له يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم فأعجما المصحف لأوّل مرّة[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.
(٢) اليافعي: مرآة الجنان ص ٢٣٣.
(٣) السيوطي: الإتقان ١٧١/٢.
(٤) الزرقاني: مناهل العرفان ٤٠٦/١.

وقيل إنّ محمد بن سيرين كان له مصحف منقوط نقطه له يحيى بن يعمر، وورد أيضاً أنّ نصر بن عاصم أوّل من نقّط المصاحف، وكان يقال له نصر الحروف[١].

ولا تعارض بين القولين الأخيرين والرواية الثانية، فلا مانع من اعتبار أنّ كلاّ منهما هو أوّل من نقّط المصحف باعتبار أنّ الحجاج قد ندبهما معاً للقيام بهذه المهمّة.

ويمكن كذلك الجمع بين الروايتين الأولى والثانية، بأنّ أبا الأسود الدؤلي هو أوّل من جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الضمّة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة الكسر نقطة أسفل الحرف، فجعل الشكل بالنقط، ثمّ استبدل بعد ذلك نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر طريقة الشكل بالنقط، إلى طريقة الضبط بالحركات فاتّخذا رسوماً وأشكالاً جديدة هي الفتحة والضمّة والكسرة المتعارف عليها إلى اليوم بين أهل اللغة، ويبدو أنّ الذي دعاهما إلى هذا التغيير بل واضطرّهما إليه أنّه لو أُبقي الشكل بالنقط، ثمّ الإعجام بالنقط كذلك، لحصل الخلط واشتبه الأمر على قارىء القرآن، فلذلك فصلا بين الإعجام الذي هو بالنقط، وبين الشكل الذي هو بالحركات.

## ـ ٢ ـ السنّة النبويّة:

إنّ الإحاطة بجميع أحاديث الرسول ﷺ لم تكن لأحد من الأمّة، ولا يمكن ادّعاؤه لواحد قطّ ولو كان من الصحابة الذين هم أعلم الأمّة بأحوال رسول الله وسنّته، ذلك أنّ النبيّ ﷺ كان يحدّث أو يفتي أو يقضي أو يفعل الشيء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً ويبلّغه أولئك أو بعضهم لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء من

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١/٢٥٠ ـ ٢٥١.

العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ثمّ في مجلس آخر قد يحدّث أو يفتي أو يقضي أو يفعل شيئاً ويشهده بعض من كان غائبا عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم، فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء، وإنّما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم كثرة العلم أو جودته[١].

وفي هذه المرحلة من هذا الدور حيث الكثرة الكاثرة من أعلام التابعين تركّزت الأنظار بعناية أكبر حول القلّة من صغار الصحابة الذين تصدّروا هذه المرحلة، فاجتهد الناس للرحلة في طلب الحديث منهم والتفقّه عليهم والأخذ عنهم.

فعن كثير بن قيس قال: كنت جالساً عند أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنّك تحدّث به عن النبيّ ﷺ، قال: فما جاء بك تجارة؟ قال لا، قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا، قال: فإنّي سمعت رسول الله يقول: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقا إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنّ طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتّى الحيتان في الماء، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنّما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر»**[٢].

وكان سعيد بن المسيّب يقول: إن كنت لأسير الليالي والأيّام في طلب الحديث الواحد، ويروى أنّ مسروقاً رحل في حرف، وقد كان كثير

---

(١) ابن تيميّة: رفع الملام عن الأئمّة الأعلام ص ١١.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة، باب فضل العلم والحثّ على طلبه.

الترحال في طلب الحديث حتّى قال الشعبي: ما علمت أنّ أحداً من الناس كان أطلب لعلم في أفق من الآفاق من مسروق.

وعن بسر بن عبيدالله الحضرمي قال: إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه.

وكان الشعبي يقول: لو أنّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أنّ سفره ضاع[١].

ولم تكن الرحلة في طلب الحديث مقتصرة على التابعين للنهل من معارف من بقي من الصحابة، بل إنّنا لنجد في هذه المرحلة أنّ بعض الصحابة كانوا يتحمّلون أعباء السفر للتثبّت من حديث أو سماعه ممّن انفرد بروايته.

فقد روى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله (٧٤هـ) قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثمّ سرت إليه شهراً حتّى قدمت الشام فإذا عبدالله بن أنيس الأنصاري (٥٤هـ)، فأتيت منزله وأرسلت إليه أنّ جابراً على الباب فرجع إليّ الرسول فقال: جابر بن عبدالله؟ فقلت: نعم، فخرج إليّ فاعتنقته واعتنقني، قال: قلت حديث بلغني عنك أنّك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه أنا منه، قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: **«يحشر الله تبارك وتعالى العباد أو قال الناس ـ شكّ الراوي ـ وأومأ بيده حفاة عراة غرلاً بهما قال: قلنا ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب: أنا الملك الديّان لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتّى اللّطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنّة يطلبه بمظلمة حتّى اللطمة، قال: قلنا له كيف؟ وإنّما نأتي الله عزّ وجلّ حفاة عراة غرلا، قال: بالحسنات والسيّئات»**[٢].

---

(١) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ١/١١٣ ـ ١١٤.

(٢) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ١/١١١ ـ ١١٢.

وثبت أنّ الصحابي الجليل أبا أيّوب الأنصاري (٥٠هـ) رحل إلى عقبة بن عامر، فلمّا قدم مصر أخبروا عقبة، فخرج إليه، قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيرك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر مؤمناً على خزية ستر الله عليه يوم القيامة**»، قال: فأتى أبو أيّوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حلّ رحله[١].

وعلى هذا النهج كان أصحاب رسول الله وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحد الأيّام العديدة، حتّى أصبح طلب الحديث والرحلة في سماعه غاية العلماء ومقصد الطلّاب، فكان لتلك الرحلات عظيم الأثر في انتشار السنّة ومعرفة أسباب ورودها والمحافظة عليها وجمعها.

ومضت الأيّام والسنون وكلّ رواة السنّة إمّا صحابيّ ثقة، عدل، أو تابعي كبير يتحرّى الصدق ويتثبّت في قبول الرواية، وقد يقع لبعضهم أحياناً عن غير عمد منهم خطأ أو نسيان، فينقدون في بعض ما رووا، ثمّ ظهر في أوائل المائة الثانية من الرواة من يروي المرسل والمنقطع، ومن كثر خطؤه ومن كان منهم قليل الضبط رغم عدالته.

وإذا كانت المرحلة الأولى من هذا الدور مرحلة تعايش صغار الصحابة وكبار التابعين مع كبار الصحابة وأعلامهم حيث كان الكبار يتولّون التحديث، والصغار منهم والتابعون يتحمّلون عنهم ويتلقّون ما يسمعون منهم دون ورود احتمال الكذب، فإنّ هذه المرحلة التي هي مرحلة تعايش صغار الصحابة وكبار التابعين قد تكدّر فيها صفو الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة بفعل الآثار التي خلّفتها الفتنة الكبرى وما أعقبها من تفرّق الأمّة إلى أحزاب وشيع، فاستغلّ الزنادقة وأصحاب الأهواء ومن غلب عليه الجهل أو التعصّب لحزب ما، هذه الظروف الجديدة وبدأوا يضعون

(١) النووي: مقدمة شرح صحيح مسلم ص ٨٠ ـ ٩٢.

الأحاديث ويختلقون الأقوال وينسبونها إلى الرسول بهتاناً وزوراً لخدمة أغراضهم المختلفة.

غير أنّه سرعان ما كان أمرهم يفتضح لوجود بقيّة باقية من الصحابة وكبار التابعين الذين كانوا يعرفون المتزيّدين الذين يدسّون الأحاديث أو يغيّرونها كما كانوا يعرفون من اشتهر من العدول الأمناء.

فعن طاوس قال: جاء بشير بن كعب إلى ابن عبّاس فجعل يحدّثه، فقال له ابن عبّاس: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له ثمّ حدّثه، فقال له: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كلّه وأنكرت هذا، أم أنكرت حديثي كلّه وعرفت هذا، فقال له ابن عبّاس: إنّا كنّا نحدّث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يُكذب عليه، فلمّا ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنّه قال: كنّا نحفظ الحديث والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ، فأمّا إذ ركبتم كلّ صعب وذلول فهيهات.

وعن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدّث ويقول قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عبّاس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عبّاس مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدّثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع، فقال ابن عباس: إنّا كنّا مرّة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله ﷺ: **«ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا»**، فلمّا ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلاّ ما نعرف[١].

ولمّا قيل لعبدالله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة، قال: يعيش لها الجهابذة[٢].

وهكذا بعد أن كانت مهمّة العلماء من الأمّة مركّزة على الاهتمام

---

(١) القاري: شرح نخبة الفكر لابن حجر ص ١٢٧.

(٢) القاري: شرح نخبة الفكر ٨٢ ـ ٨٤ و٨٧ ـ ٨٨.

بالنظر في متن الحديث واستنباط ما أمكن استنباطه من أحكام، أصبحت مهمّتهم تتطلّب قبل استخراج الحكم، العناية بسند الحديث والعودة به إلى مصدره الأصلي الذي أخذ عنه، أي النظر في الإسناد، وتتبّع الرواة وتاريخ حياتهم وكشف النقاب عن سيرهم وأحوالهم لمعرفة الثقة العدل الضابط من غيره.

**فأمّا في شأن إسناد الحديث**: فقد روي عن محمد بن سيرين ـ من أعلام التابعين ـ أنّه قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلمّا وقعت الفتنة، قالوا سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

وكان عبدالله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وكان يقول: بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد.

وهكذا بدأ في هذه المرحلة أعلام الحديث كالحسن البصري وطاوس بن كيسان اليماني وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعبي وغيرهم من أعلام التابعين يتكلّمون في الأسانيد.

**وأمّا في خصوص نقد الرواة** فقد اعتنى أعلام هذه المرحلة بتتبّع تاريخ الرواة وأحوالهم، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم مانع من بذل ما في وسعهم للتنقيب في أغوار سِيرهم وتجريح الراوي إذا كان فيه ما يدعو إلى تجريحه سواء من حيث عدالته أو من حيث ضبطه.

فقد أتي ابن عباس بكتاب فيه قضاء عليّ رضي الله عنه فمحاه إلاّ قدر، وفي رواية: فجعل يكتب منه أشياء ويمرّ به الشيء فيقول: والله ما قضى بهذا عليّ إلاّ أن يكون ضلّ، حتّى روي عن بعض أصحاب عليّ أنّه قال: قاتلهم الله أيّ علم أفسدوا، وذلك لما أدخلته الروافض والشيعة في علم عليّ رضي الله عنه وحديثه، وما تقوّلوه عليه من الأباطيل وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة وخلطوه بالحقّ، حتّى قيل

لم يكن يصدق على عليّ في الحديث عنه إلاّ من أصحاب عبدالله بن مسعود[١].

ولذلك كان محمد بن سيرين يقول: إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم.

وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: أدركت بالمدينة مائة كلّهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال ليس من أهله.

وكان سفيان الثوري يقول: إنّي أحبّ أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه، حديث أكتبه أريد أن أتّخذه دينا وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحبّ أن أعرفه ولا أعبأ به[٢].

وهكذا احتاط العلماء في نقل الحديث فلم يقبلوه إلاّ من أهله، فكانت هذه المرحلة عبارة عن وضع الأسس الأولى الكفيلة بتمييز الحديث الموضوع من الحديث الصحيح عبر التثبّت في الإسناد ثمّ نقد الرواة.

ومن لطف الله بعباده أنّه تولّى حفظ هذا الدين بذاته فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[٣] فشمل حفظ الذكر الحفظ من التلاشي والحفظ من الزيادة والنقصان فيه بأن يسّر تواتره وأسباب ذلك وسلّمه من التبديل والتغيير حتّى حفظته الأمّة من حياة النبيّ ﷺ وصار حفّاظه بالغين عدد التواتر في كلّ مصر[٤]، وكأنّه أراد أنّه من جملة حفظ لفظ الذكر حفظ معناه، ومن جملة معانيه الأحاديث النبويّة الدالّة على توضيح مبانيه، ومن مقتضيات حفظ اللّه لكتابه وسنّة نبيّه أن أقام من عباده من يجدّد أمر هذا الدين في كلّ قرن بل في كلّ زمان[٥].

---

(١) القاري: شرح نخبة الفكر ٨٤ و٨٧ ـ ٨٨.
(٢) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ٩١/١.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢١/١٤.
(٥) القاري: شرح نخبة الفكر ص ١٢٧.

ولمّا كانت آخر المائة الأولى ورأس المائة الثانية دعت الحاجة إلى ضرورة الاحتياط في حماية السنّة بتعقّب أحاديث الرسول وجمعها ثمّ تدوينها.

وتكاد الروايات تجمع على أنّ أوّل من قام بهذا العمل هو التابعي الجليل إمام العدل والهدى والخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبدالعزيز حيث كتب إلى أبي بكر بن حزم الأنصاري عامله وقاضيه على المدينة المنوّرة: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلاّ حديث النبيّ ﷺ ولتفشّوا العلم ولتجلسوا حتّى يعلّم من لا يعلم فإنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرًّا[١].

قال ابن حجر: يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ، فلمّا خاف عمر بن عبدالعزيز من ذهاب العلم بموت العلماء رأى أنّ في تدوينه ضبطاً له وإبقاءً.

والظاهر أنّ الخليفة عمر بن عبدالعزيز لم يخصّ بهذه المهمّة الجليلة عامله على المدينة دون سائر عمّاله، بل أرسل كذلك إلى سائر ولاته في جميع الأمصار يطلب منهم جمع السنن، يؤكّد ذلك ما نقله ابن حجر من رواية أبي نعيم في تاريخ أصبهان أنّ عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الآفاق: انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه[٢].

وعن سعد بن إبراهيم قال: أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كلّ أرض له عليها سلطان دفتراً[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم.
قال ابن حجر: والمحتمل أنّ قول عمر إلى قوله ذهاب العلماء، وأنّ ما بعده ليس من كلام عمر، وبه صرّح أبو نعيم في المستخرج (فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٤٦/١).

(٢) فتح الباري ٢٤٥/١ ـ ٢٤٦.

(٣) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ٩١/١ ـ ٩٢.

ويبدو أنّ عمّال الأمصار قد بدؤوا في جمع السنّة، ولكن الخليفة عمر قد مات قبل أن يصله شيء من ذلك ولكن قد يكون محمد بن شهاب الزهري حاز السبق في هذا المجال بعمل فردي قرّ به عين الخليفة قبل وفاته وهذه المحاولات الأولى التي تمّت في عهد عمر بن عبدالعزيز يمكن أن تعتبر أوّل عمل رسمي في سبيل جمع السنّة وحفظها من الضياع وحمايتها من التزيّد عليها.

ولذا تردّدت عبارات العلماء على أنّ ابتداء تدوين الحديث وقع على رأس المائة الأولى في خلافة عمر بن عبدالعزيز ثمّ كثر التدوين والتصنيف، وحصل بذلك خير كثير(١).

ولا غرابة في أن يكون الإمام الزهري هو صاحب الجهد الفريد فهو أوّل من دوّن العلم وكتبه(٢)، وله نحو من تسعين حديثاً يرويه ولا يشاركه فيه أحد بأسانيد جياد حتّى قال أعلام عصره: لولا الزهري لضاعت كثير من السنن.

والذي يظهر أنّ تدوين الإمام الزهري للسنّة لم يكن كالتدوين الذي قام به البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الحديث لاحقا، وإنّما كان عبارة عن تدوين كلّ ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوّب على أبواب العلم، وربّما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كلّ أمر جديد(٣).

يؤكّد ذلك ما روي عن صالح بن كيسان قال: كنت أنا وابن شهاب ونحن نطلب العلم فاجتمعنا على أن نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبيّ ﷺ، ثمّ قال: نكتب ما جاء عن أصحابه، فقلت: لا ليس بسنّة، وقال هو: بل هو سنّة، فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيّعت.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ٢٦٢/١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٨٨/١ و٩١.

(٣) السباعي: السنّة ومكانتها في التشريع ص ١٠٥ و٢١١.

وما روي عن أبي الزناد قال: كنّا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلّ ما يسمع، فلمّا احتيج إليه علمت أنّه أعلم الناس[١].

## ـ ٣ ـ الاجتهاد والرأي:

لمّا توفيّ رسول الله ﷺ ترك بالمدينة المنوّرة حوالي اثني عشر ألف صحابي، مات منهم نحو عشرة آلاف بالمدينة، وتفرّق ألفان في شتّى أنحاء بلاد الإسلام استقطبت العراق العدد الأكثر منهم، فنزل بالكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر وتوجّه البقيّة إلى مصر وإلى الشام وإلى إفريقية وإلى خراسان وما وراءها وإلى سائر بلاد الإسلام.

فكان عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وجابر بن عبدالله ورافع بن خديج وسلمة بن الأكوع وأبو واقد الليثي وعبدالله بن بحينة مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ﷺ يفتون ويحدّثون بالمدينة عن رسول الله من لدن توفّي عثمان بن عفّان إلى أن توفّوا[٢].

وكان بالكوفة من فقهاء الصحابة سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود وخبّاب بن الأرت وسهل بن حنيف وأبو قتادة بن ربعي وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري والبرّاء بن عازب والنعمان بن بشير والمغيرة بن شعبة وعدي بن حاتم الطائي وعبدالله بن أبي أوفى مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله سكنوا الكوفة وأكثرهم دفنوا بها[٣].

وكان بالشام من أعلام الصحابة عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس ومعاوية بن أبي سفيان والضحّاك بن قيس والمقدام بن معدي كرب وحبيب بن مسلمة وعوف بن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٨٨/١، ٩٢.
(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٢/٢.
(٣) الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص ١٩١.

مالك الأشجعي مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله نزلوا الشام واستقرّوا بها.

وكان بمكّة من فقهاء الصحابة حبر الأمّة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس وعتاب بن أسيد وعبدالله بن السائب المخزومي قارىء الصحابة بمكّة، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ممّن نزلوا مكّة وأقاموا بها.

وكان ممّن نزل البصرة من فقهاء الصحابة أنس بن مالك وعثمان بن أبي العاص وعبدالله بن سرجس وعمران بن حصين وعبدالرحمٰن بن سمرة والأقرع بن حابس مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم[١].

وكان بمصر عمرو بن العاص وابنه عبدالله وأبو ذرّ الغفاري والزبير بن العوّام وغيرهم، وكان بإفريقية عقبة بن عامر الجهني ومعاوية بن حديج وأبو لبابة الأنصاري وأبو زمعة البلوي وغيرهم.

وهكذا الأمر في سائر الأمصار حيث استقرّت كلّ مجموعة من الصحابة في بلد من البلدان وانتصبوا للإفتاء بها وكانت فتاويهم متّحدة ومتوافقة في بعض الأحيان، ومختلفة في أغلب الأحيان، ومن هنا جاء مجال الاجتهاد الذي قضى بنتيجة الاختلاف.

وانقرض عصر الصحابة ما بين تسعين إلى مائة إذ أنّ آخر من مات من الصحابة بالكوفة عبدالله بن أبي أوفى سنة ٨٦هـ، وآخر من مات بالمدينة من الصحابة سهل بن سعد الساعدي سنة ٩١هـ وهو ابن مائة سنة، وآخر من مات من الصحابة بالبصرة أنس بن مالك سنة ٩١هـ، وقيل ٩٣هـ، وهو ابن مائة وسبع سنين وآخر من مات بالشام من الصحابة عبدالله بن بسر سنة ٨٨هـ، وكان أبو الطفيل عامر بن واثلة رأى النبيّ وكان آخر من رآه موتاً، مات بعد سنة مائة[٢].

---

(١) الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٢ ـ ٥٣.

وعن طريق هذه الطبقة المتخرّجة بالنبيّ ﷺ بذاته، والتي تكوّنت تكوّنا اجتهاديّاً غير معصوم متأثّراً باجتهاد المعصوم، تكوّن فقهاء التابعين حيث التفّ حول كلّ فقيه من فقهاء الصحابة أو حول كلّ طائفة في مصر من الأمصار جماعة ممّن قصدوا في التفافهم حوله أن يسلكوا مسلكه وأن يتعوّدوا على طريقته وأن يتخرّجوا بالوصول إلى غايته في مقدرته على الإفتاء وتقرير الأحكام الفقهيّة، فتخرّجوا تخرّجا عمليّا بالمخالطة والممارسة أثّر فيهم انطباع السلائق والطباع التي كانت للفقهاء من الصحابة الذين التفّ حولهم هؤلاء الفقهاء الناشئون من التابعين، وقد تكوّنت فيهم ملكات من هذه المخالطة والممارسة بمقتضاها أصبح كلّ واحد يستطيع الفتوى ويتمكّن منها على نحو ما كان قدوته يستطيع الفتوى ويتمكّن منها، ومع تأثّره بالطبع الخاص والعوامل التي كان يسلك بها[1].

وعلى ذلك تكوّن فقهاء التابعين، فظهر فقهاء المدينة السبعة المشهورون الذين اتّبعوا في الأكثر أقضية أبي بكر وعمر وعثمان وفتاوى زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وأمّ المؤمنين عائشة وروايات أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، ولمع فقهاء العراق من أمثال الأسود النخعي ومسروق بن الأجدع وشريح القاضي والشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي الذين اتّبعوا في الأكثر أقضية عليّ بن أبي طالب وفتاوى عبدالله بن مسعود، ونبغ فقهاء مكّة من أمثال عطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وعكرمة مولى ابن عبّاس الذين اتّبعوا في الأكثر فتاوى عبدالله بن عباس، وظهر بالبصرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين ومسلم ابن يسار وأبو قلابة الذين أخذوا في الأغلب عن أنس بن مالك، وكذا الحال في سائر الأمصار.

وهكذا سار أعلام التابعين على نفس مناهج من كان عندهم من الصحابة متكوّنين بهم تكوّن ملكات، يسيرون بطريقة سليقة انطباعيّة ترجع إلى الملكات على النحو الذي كان يسير عليه الأساتذة العظام من فقهاء

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: محاضرات ص ٥٥.

الصحابة الجلّة الذين تكوّنوا بهم وتخرّجوا[١].

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أنّ المدينة المنوّرة والكوفة قد اشتهرتا بالفقه، في الوقت الذي اصطبغت فيه مكّة بسمة التفسير أخذاً عن ابن عباس ترجمان القرآن، وعرفت الشام بالتضلّع في السِير والمغازي، الأمر الذي أدّى إلى تزعّم كلّ من المدينة والكوفة لحركة الفقه وتطوّرها.

فكان سعيد بن المسيّب ـ وهو من فقهاء المدينة السبعة ـ أعلم الناس بالحلال والحرام، فإذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: لا تسألوني عن ذلك، واسألوا من يزعم أنّه لا يخفى عليه منه شيء ـ ويعني عكرمة مولى ابن عباس ـ[٢].

وكان القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ من الفقهاء السبعة ـ لا يتصدّران لتفسير القرآن[٣].

وكان مجاهد ـ من أعلام التابعين بمكّة ـ قد قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة.

وشهد الشعبي ـ من أعلام التابعين بالكوفة ـ أنّه ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة[٤].

ولمّا سئل الإمام مالك عن مسألة وأجاب فيها، قال له السائل: إنّ أهل الشام يخالفونك فيها فيقولون كذا وكذا، فقال مالك: ومتى كان هذا الشأن ـ يعني الفقه والفتوى ـ بالشام، إنّما هذا الشأن وقف على أهل المدينة والكوفة[٥].

ولمّا كانت المدينة المنوّرة سليمة من ظهور البدع، وإن كان بها من

---

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: محاضرات ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) الطبري: مقدمة تفسير الطبري ٢٩/١.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٧/٥ و٢٠٠.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٥/٩، ٢٤٥.
(٥) ابن عبدالبرّ: جامع بيان العلم وفضله ١٩٤/٢.

هو مضمر لذلك فكان عندهم مهاناً مذموماً[١] حيث تميّزت باستقرار وهدوء ضمنا لها التفرّد والريادة في العلم والفقه على سائر البلاد، فكان الأعلام من المراكز الأخرى يعودون إلى أعلامها في كثير من مسائل الفقه والفتوى، حتى روي عن الخليفة الراشدي عمر بن عبدالعزيز أنّه كان يكتب إلى الأمصار يعلّمهم السنن والفقه، ويكتب إلى المدينة يسألهم عمّا مضى ويعلمونه بما عندهم.

وسئل حبيب بن أبي ثابت: أيّما أعلم بالسنّة ـ أو بالفقه ـ أهل الحجاز أم أهل العراق؟ فقال: أهل الحجاز.

وكان كلّما رحل إليها العلماء ونزلوها استبان فضلهم عمّا سواهم إذا عادوا إلى أمصارهم حتّى إنّ مجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وغيرهما من أعلام مكّة قالوا في شأن قرينهم عطاء بن أبي رباح: لم يزل شأننا متشابها متناظرا، حتّى خرج عطاء إلى المدينة، فلمّا رجع إلينا استبان فضله علينا.

ولذلك اعتبر بعض العلماء أنّ كلّ حديث ليس له أصل بالمدينة وإن كان منقطعا ففيه ضعف، وأنّ ما أدرك عليه الناس بالمدينة فلا يشكّ فيه، وهو الحقّ.

وكان أبو بكر بن عمر بن حزم يقول: إذا وجدت أهل المدينة قد أجمعوا على شيء فلا يكن في قلبك منه شيء[٢].

ومن هذا المنطلق رأى أهل الحجاز أنّ أحاديثهم مقدّمة على أحاديث من سواهم من أهل العراق والشام لبقاء المدينة بمنأى عن الفتن والتشيّع والإرجاء والاعتزال وبدع النسّاك، وذهب المذهب ببعض أعلام المدينة إلى تنزيل حديث أهل العراق منزلة حديث أهل الكتاب فلا يصدّقونهم ولا يكذّبونهم حتّى اشتهرت العراق بأنّها دار الضرب وأنّ الحديث يخرج من المدينة شبراً فيعود من العراق ذراعاً.

---

(١) ابن تيميّة: مجموع الفتاوى ٣٠٢/٢٠.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٦٢/١ ـ ٦٣.

ولمّا كان ذاك هو واقع العراق وحالها، تشدّد فقهاؤها في قبول الحديث واشترطوا شروطاً وإن كانت تضمن سلامة الحديث من التزيّد والاختلاق، فإنّه لا يسلم معها إلاّ القليل.

ومع قلّة الاعتماد على السنّة وضبط الأحاديث وحفظها ظهرت الحاجة في العراق إلى الاجتهاد وإعمال الرأي.

وهكذا كانت الظروف السياسية والمواقع الإقليميّة ـ بحسب البعد عن الدار النبويّة ـ[1] من العوامل المساعدة على ظهور نمطين من الاجتهاد، نمط اعتدّ بالأثر بعد إحكام ضبط السنّة، وجمع مادة فقهيّة خصبة عن طريق الأخذ والرواية، ونمط عوّل على الرأي وأكثر من القياس لا لجهل بالحديث ولكن لكمال الضبط فقلّت الرواية عنده.

وقد تزعّم النمط الأوّل أعلام المدينة المتمسّكون بالسنّة الواقفون عند حدود الأثر، فسمّيت مدرستهم بحسب منهجهم في الاجتهاد وطريقتهم في استنباط الأحكام: مدرسة الحديث أو مدرسة الأثر، وبحسب الموقع: مدرسة المدينة أو الحجاز، في حين تزعّم النمط الثاني أعلام الكوفة وفقهاؤها، وسمّيت مدرستهم بحسب منهجهم وطريقتهم في الاجتهاد: مدرسة الرأي، وبحسب الموقع: مدرسة العراق.

غير أنّ الملفت للنظر أنّ مدرسة الحديث لم تُعدم من وجود أصحاب الرأي ضمن أعلامها من الذين كانوا لا يتهيّبون من استعمال الرأي والإكثار منه، مثل ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن صاحب المعضلات بالمدينة البصير بالرأي والقياس حتّى عرف بذلك وسمّي بربيعة الرأي، كما أنّ مدرسة الرأي بدورها لم تُعدم من كبار المحدّثين من أمثال عامر بن شرحبيل الشعبي محدّث الكوفة وعالمها الذي أدرك خمسمائة من الصحابة أو أكثر وما رئي أحد أعلم بسنّة ماضية مثله، وكان إذا عرضت له فتوى لم يجد فيها نصّا انقبض ولم يفت، وكان يقول: عليك بآثار السلف وإن رفضك

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٠١/٢٠.

الناس، وإيّاك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول[١].

وهكذا تبدو مسألة الاعتماد على الرأي وعلى الأثر ـ في هذه المرحلة من هذا الدور ـ بل وفي كلّ مرحلة ودور من أدوار الفقه مرتبطة أشدّ الارتباط بالخيط الطويل المتماسك من طرفيه اللذين هما الأثر والنظر.

والعلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسيّة متفاعلة لا غنى لطرف منهما عن الآخر، بحيث أنّ افتقاد أيّ منهما أو استغناؤه عن الآخر لا ينشأ عنه فقهاً مرتبطاً بأصوله التي هي مدارك الشريعة.

فلا يمكن لأيّ عمل من الأعمال الفقهيّة أن يستقلّ فيه الأثر على النظر استقلالاً تامّاً بحيث لا يكون للنظر مدخل بحال في العمل الفقهي الذي هو استنتاج، كما لا يمكن أن يستقلّ النظر بحيث لا يكون للأثر أيّ اتّصال بذلك العمل الاستنتاجي لأنّ الاستنتاج حينئذ يخرج عن حقيقة الاجتهاد إلى حقيقة الهوى، ولذلك كان العنصران ضروريين ـ كلّ منهما ـ لكلّ عمل فقهيّ.

فليس من المقبول بعد ذلك أن يفرض أنّ فقيهاً من الفقهاء يكون فقهه غير قائم على الأثر وأن نعتقد أنّه من الجائز أن يكون الفقهاء الذين اعتبروا أهل رأي بمعزل عن الأثر، وليس من المقبول كذلك أن يفرض أنّ فقيهاً من الفقهاء يكون فقهه غير مستند إلى النظر ولا أن نعتبر الفقهاء الذين اعتبروا أهل حديث بمعزل عن النظر، وإنّما الأمر يرجع إلى تصنيفهم كما هو الواقع داخل هذين الصنفين باعتبار أنّ أحد الصنفين هو الصنف الذي يكون للعمل الأثري عنده غالبيّة نسبيّة على العمل النظري، وأنّ الصنف الآخر بالعكس هو الذي يكون للعمل النظري عنده غالبيّة نسبيّة على العمل الأثري[٢].

وخير ما نختم به هذا العنصر منافسة استدلاليّة بين علمين من أعلام

---

(١) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١٥٢/٤.

(٢) ابن عاشور محمد الفاضل: محاضرات ص ٨٣، ٨٤، ٨٦، بتصرّف.

المدرسة الحجازيّة تبرز بوضوح غالبيّة النظر على الأثر عند أحدهما، وغالبيّة الأثر على النظر عند الآخر:

فعن ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن أنّه قال: سألت سعيد بن المسيّب: كم في إصبع المرأة؟ فقال: عشر من الإبل، فقلت: كم في إصبعين؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: كم في ثلاث؟ فقال: ثلاثون من الإبل، فقلت: كم في أربع؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: حين عظم جرحها واشتدّت مصيبتها نقص عقلها؟ فقال سعيد: أعراقيّ أنت؟ فقلت: بل عالم متثبّت أو جاهل متعلّم، فقال سعيد: هي السنّة يا ابن أخي[١].

وهذا مثال حيّ للفرق بين المنهج الذي يكون فيه للأثر غالبيّة على النظر، وبين المنهج الذي يكون فيه للنظر غالبيّة على الأثر.

وقد أدرك ربيعة الرأي هذا الفرق بين المنهجين وما بينهما من تفاوت بحسب كثرة غالبيّة الأثر أو النظر حتّى بين أعلام المدرسة الواحدة فيما بينهم، فقد روي عن الإمام مالك قوله: كان ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن يقول لابن شهاب الزهري: إنّ حالي ليست تشبه حالك، فقال ابن شهاب: وكيف ذاك؟ قال ربيعة: أنا أقول برأئي من شاء أخذه فاستحسنه وعمل به ومن شاء تركه، وأنت في القوم تحدّث عن النبيّ ﷺ فيحفظ[٢].

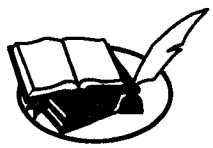

(١) أخرجه مالك في الموطّأ، كتاب العقول، باب ما جاء في عقل الأصابع.

(٢) الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص ٦٢.

# مراكز الفقه في هذا الدور وأشهر القائمين عليها من الصحابة والتابعين

أنشأ أصحاب رسول الله ﷺ حين توزّعوا في بلاد الإسلام المترامية الأطراف حركة اجتهاديّة بفعل ما روي عنهم من فتاوى وأقضية مختلفة في الغالب، فتكوّنت بهم مدارس اجتهاديّة مثّلت النواة الأولى لما عرف عند الفقهاء بالأمصار التي هي المراكز الفقهيّة الأولى.

وتخرّج على أيدي هؤلاء الأعلام من الصحابة في كلّ مركز من تلك المراكز الفقهيّة تلاميذ هم أبناء الصحابة والتابعون سلكوا مسلكهم في الاجتهاد وتعوّدوا على طريقتهم في الاستنباط، ولمع منهم مجموعة قاموا على تلك المراكز وسطع نجمهم في حياة أساتذتهم من الصحابة وبعد مماتهم.

ونستطيع أن نردّ هذه المراكز في هذا الدور إلى تسعة:

**المركز الأوّل: المدينة المنوّرة:**

هي دار الإيمان وأرض هجرة الرسول ووهي مبدأ الحلال والحرام وبها نزلت أغلب الأحكام، وهي التي وردت في شأنها الآثار في اختصاصها بفضل العلم والسنّة والقرآن، وفي فضل علم أهلها وترجيحه على علم غيرهم واقتداء السلف بهم، وهي مركز الجمهور الأعظم من الصحابة وكبار التابعين.

وأصل هذا المركز الفقهي فتاوى أبي بكر الصديق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب قبل انتقاله إلى الكوفة، وفتاوى زيد بن ثابت وعائشة أمّ المؤمنين وأبي هريرة، ومن صغار الصحابة عبدالله ابن عمر وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن عبّاس قبل انتقاله إلى مكّة، وأشباه لهم ممّن هيّأ الله لهم البقاء بالمدينة.

غير أنّ أكثر أقضية وفتاوى هذا المركز كانت في الأغلب تعتمد على أقضية عمر بن الخطاب وفتاوى زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعائشة أمّ المؤمنين، وأكثر روايات هذا المركز كانت في الأغلب تعتمد على روايات أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

فانحصر بذلك غالبيّة التأثير على هذا المركز في هؤلاء الستّة، وفيما يلي لمحة عن علمهم وفضلهم:

*** عمر بن الخطّاب[1]:**

هو أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزى، يجتمع في نسبه مع الرسول ﷺ في كعب بن لؤي بينه وبين عمر ثمانية آباء.

كان من أجلّاء فقهاء الصحابة وعظمائهم ومن الذين يفتون على عهد الرسول، ومن قضاة هذه الأمّة.

وكان رضي الله عنه يرى الرأي فينزل به القرآن وما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلاّ جاء القرآن بنحو ما يقول عمر، وقد نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر وذكر أبو عبدالله الشيباني في كتاب فضائل الإمامين أنّ عمر وافق ربّه في أحد وعشرين موضعاً.

---

(١) اليافعي: مرآة الجنان ١١٥/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٣٨ ـ ٣٩، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١٦/١، ٢٠، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٢٢ ـ ١٢٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٥٤/١ ـ ٥٥، ابن عبدالبرّ: الاستيعاب ٤٦٤/٢.

ومن أقضيته التي تدلّ على عمق فهمه وسداد رأيه إلغاؤه سهم المؤلّفة قلوبهم من الزكاة، ووقف قطع يد السارق عام المجاعة، وقضاؤه بقتل الجماعة بالواحد، وإلزامه المطلّق ثلاثاً بلفظ واحد بما التزم به أي ثلاث طلقات وغير ذلك من القضايا التي تدلّ على دقّة فهمه وشدّة فطنته وكثرة علمه ممّا يتحيّر فيه كلّ فاضل، ويتعجّب من حسنه كلّ عاقل[١].

ومن نظر في فتاويه على التفصيل وتأمّل معاني قوله على التحصيل وجد في كلامه من دقيق الفقه ما لا يجد في كلام أحد، ولو لم يكن له إلاّ الفصول التي ذكرها في كتابه إلى أبي موسى الأشعري لكفى ذلك في الدلالة على فضله.

*** شهادة الرسول له بالفضل والعلم:**

عن أبي ذرّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّ الله وضع الحقّ على لسان عمر يقول به»**[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه»**[٣].

وعن ابن عمر أيضاً أنّ النبيّ ﷺ قال: **«بينا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت فيه بلبن فشربت منه حتّى إنّي لأرى الريّ يجري في أظفاري ثمّ أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»**، قالوا: فما أوّلت يا رسول الله؟ قال: **«العلم»**[٤].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ إلى الثدي ومنها**

---

(١) تقدّم تفصيل الكلام في هذه الأقضية.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، وابن ماجة في سننه، المقدّمة، والإمام أحمد في مسند الأنصار.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

**دون ذلك، وعرض عليّ عمر بن الخطّاب وعليه قميص يجرّه»**، قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: **«الدين»**[١].

وعن سعد بن أبي وقّاص أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر: **«يا ابن الخطّاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجًّا قطّ إلاّ سلك فجًّا غير فجّك»**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدّثون فإن يك في أمّتي أحد فإنّه عمر»**.

وفي رواية ثانية: **«لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمّتي منهم أحد فعمر»**[٣].

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإنّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما»**[٤].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كان بعدي نبيّ لكان عمر بن الخطّاب»**[٥].

*** شهادة الصحابة له بالفضل والعلم:**

قال عبدالله بن عمر: ما نزل بالناس أمر قطّ فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلاّ نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر[٦]، وفي رواية أخرى عن ابن عمر أيضاً أنّه قال: وما كان عمر يقول لشيء إنّي لأراه كذا إلاّ كان كما يقول،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب وكتاب الأدب.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

وعن قيس بن طلق قال: كنّا نتحدّث أنّ عمر ينطق على لسان ملك[١].

وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما نبعد أنّ السكينة تنطق على لسان عمر[٢].

وكان عبدالله بن مسعود يقول: لو أنّ علم عمر وضع في كفّة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفّة لرجح علم عمر.

ورغم أنّ ابن مسعود كان له أتباع قد حرّروا فتياه ومذاهبه في الفقه، فقد كان يترك مذهبه وقوله لقول عمر وكان لا يكاد يخالفه في شيء من مذاهبه ويرجع من قوله إلى قوله، وكان عبدالله لا يقنت، ويقول: لو قنت عمر لقنت عبدالله، ويقول: لو سلك الناس واديا وشعبا وسلك عمر واديا وشعبا لسلكت وادي عمر وشعبه، وكان يقول: لمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة.

وقال حذيفة بن اليمان: كأنّ علم الناس مع علم عمر دسّ في حجر، وكان معاذ بن جبل يقول: إنّ أعلم الناس بفريضة وأقسمهم لها عمر بن الخطّاب.

ولمّا استشهد عمر وُضع على سريره فدخل عليه عليّ بن أبي طالب فترحّم عليه ثمّ قال: ما خلّفت أحداً أحبّ إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظنّ أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنّي كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[٣].

وقال ابن مسعود: لقد مات عمر فذهب بتسعة أعشار العلم.

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٥٤/١.
(٢) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب.

*** شهادة التابعين له بالفضل والعلم:**

روي أنّ عبدالله بن الحسن مسح على خفّيه فقيل له: تمسح؟ قال: نعم مسح عمر بن الخطّاب ومن جعل عمر بن الخطّاب بينه وبين الله فقد استوثق. وكان الشعبي ـ من أعلام التابعين بالكوفة ـ يقول: إذا اختلف الناس في شيء فخذوا بما قال عمر بن الخطّاب، ومثل ذلك قال مجاهد ـ من أعلام التابعين بمكّة ـ: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر فخذوا به.

وكان سعيد بن المسيّب ـ من أعلام التابعين بالمدينة ـ يقول: ما أعلم أحداً بعد رسول الله ﷺ أعلم من عمر بن الخطّاب، ومناقبه أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

دامت خلافته عشر سنين فكانت أيّامه باهجة زاهرة وسيرته الحسنى محمودة فاخرة والعناية مؤيّدة له ناصرة، واستشهد سنة ٢٣هـ بعد مرجعه من الحج، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، ودفن مع صاحبيه في حجرة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها بعد أن استأذنها في حياته وأوصى أن تستأذن أيضاً بعد مماته، فأذنت.

*** زيد بن ثابت[1]:**

هو زيد بن ثابت النجاري، كاتب الوحي للنبيّ ﷺ وجامع المصحف على عهد أبي بكر وناسخ المصاحف زمن عثمان، وهو أحد فقهاء الصحابة الجلّة الفرّاض وأحد أصحاب الفتوى، وأحد قضاة هذه الأمّة، قد غلب الناس على اثنتين: القرآن والفرائض، حتّى قيل إنّه كان رأسا في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض بالمدينة، وكان إمام الناس بها بعد عمر بن الخطّاب.

---

(١) ابن حجر: الإصابة ٥٦١/١ ـ ٥٦٢، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١٥/١ ـ ١٦، ١٨، ٢١، الاستيعاب ٥٥٢/١ ـ ٥٥٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٩٣/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٦، اليافعي: مرآة الجنان ١٥٤/١ ـ ١٥٥.

وقد قيل: إنّ عبدالله بن عمر وجماعة ممّن عاشوا بعده بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ إنّما كانوا يفتون بمذاهب زيد بن ثابت[١]، وما كانوا أخذوا عنه ممّا لم يكونوا حفظوا فيه عن رسول الله ﷺ قولاً.

وكان عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان يستخلفانه على المدينة، ولا يقدّمان عليه أحداً في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة.

*** شهادة الرسول له بالرسوخ في علم الفرائض:**

عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: أرحَم أمّتي بأمّتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ، ولكلّ أمّة أمين، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح[٢].

*** شهادة الصحابة له بالفضل والعلم:**

خطب عمر بن الخطّاب الناس يوماً فقال: من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت.

وكان عبدالله بن عباس يأتي بابه وينتظره حتّى يخرج ليسمع منه العلم، فإذا خرج قال: يا ابن عبّاس هلاّ كنت آتيك أنا، فيقول: العلم يؤتى ولا يأتي، فإذا ركب أخذ بركابه، فيقول: ما هذا يا ابن عبّاس: فيقول: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، وفي رواية: هكذا نفعل بالعلماء والكبراء فيأخذ زيد بن ثابت كفّه ويقبّلها ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا.

اختلف في سنة وفاته والأغلب أنّه توفّي سنة ٤٥هـ.

---

(١) وقد ثبت أنّه روى عنه جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن عمر وأنس بن مالك وسهل بن سعد وسهل بن حنيف وعبدالله بن يزيد الخطمي (الإصابة ٥٦١/١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وابن ماجة في سننه، المقدّمة.

وحين مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمّة، وعسى الله أن يجعل في ابن عبّاس منه خلفا، وقال عبدالله بن عمر: مات عالم الناس اليوم.

وقال ابن عبّاس وهو قائم على قبره: هكذا يذهب العلم، وقال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أنّ زيد بن ثابت كان من الراسخين في العلم.

ورثاه شاعر الرسول حسّان بن ثابت بقوله:

ومن للقوافي بعد حسّان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت

وعلى الجملة فزيد بن ثابت غصن مجد في أعلى ذروة المعاني ثابت.

*** عبدالله بن عمر[1]:**

هو عبدالله بن عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي، الفقيه المحدّث القدوة، من أئمّة الدين ومن زهّاد الصحابة وأكثرهم اتّباعا للسنن، ومن فقهاء الصحابة وأعيانهم.

كان إمام الناس بالمدينة بعد زيد بن ثابت، ومن أعلم الصحابة بالمناسك بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه، مولعا بالحجّ لا يتركه، وروي أنّه اعتمر أكثر من ألف عمرة، أقام بعد النبيّ ﷺ ستّين سنة يفتي الناس في الموسم.

كان من روّاة الحديث المكثرين عن النبيّ ﷺ، وروى أيضاً عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذرّ الغفاري ومعاذ بن جبل وعائشة أمّ المؤمنين وغيرهم، وروى عنه من الصحابة جابر بن عبدالله وعبدالله بن عبّاس وغيرهما.

---

(١) مرآة الجنان ١٨٥/١ ـ ١٨٦، الإصابة ٢/ ٣٤٩، شذرات الذهب ١٤٩/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٠، الإصابة ٣٤٧/٢ ـ ٣٤٩، إعلام الموقعين ١٨/١، الاستيعاب ٣٤٢/٢ ـ ٣٤٥ الذهبي: تذكرة الحفّاظ ٣٨/١ ـ ٣٩.

كان يتحفّظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ، فكان يتّبع آثاره في كلّ مسجد صلّى فيه، وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ.

ومن ذلك ما ورد عن عبيد بن جريج أنّه قال لعبدالله بن عمر: يا أبا عبدالرحمٰن رأيتك تصنع أربعا لم أر أحداً من أصحابك يصنعها، قال: وما هي يا ابن جريج، قال: رأيتك لا تمسّ من الأركان إلاّ اليمانيين، ورأيتك تلبس النعال السبتيّة، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكّة أهلّ الناس إذا رأوا الهلال، ولم تهلّ أنت حتى كان يوم التروية، فقال عبدالله بن عمر: أمّا الأركان فإنّي لم أر رسول الله ﷺ يمسّ منها إلاّ اليمانيين، وأمّا النعال السبتيّة فإنّي رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعل التي ليس فيها شعر ويتوضّأ فيها، فأنا أحبّ أن ألبسها، وأمّا الصفرة فإنّي رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحبّ أن أصبغ بها، وأمّا الإهلال فإنّي لم أر رسول الله ﷺ يهلّ حتى تنبعث به راحلته[1].

ورغم كثرة مروياته عن الرسول ﷺ، فقد كان شديد الاتقاء للحديث عن رسول الله، شديد التحرّي والاحتياط والتوقّي في فتواه وكلّ ما يأخذ به نفسه، وإذا سئل أحياناً قال: لا أدري، أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورا في جهنّم تقولون: أفتانا بهذا ابن عمر، حتى أنّ ابن عبّاس قال مرّة: عجبا لابن عمر وردّه الناس، ألا ينظر فيما يشكّ فيه، فإن كانت مضت به سنّة قال بها، وإلاّ قال برأيه.

*** شهادة الرسول له بالصلاح:**

عن حفصة أمّ المؤمنين أنّ النبيّ ﷺ قال لها: «**إنّ أخاك رجل**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء وكتاب اللباس، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجّ، ومالك في الموطّأ، كتاب الحجّ.

**صالح، أو قال: إنّ عبدالله رجل صالح»**[١].

وعن نافع عن ابن عمر قال: إنّ رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصّونها على رسول الله ﷺ فيقول فيها رسول الله ما شاء الله، وأنا غلام حديث السنّ، وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلمّا اضطجعت ذات ليلة قلت: اللّهمّ إن كنت تعلم فيّ خيراً فأرني رؤيا» فرأى رؤيا، قال: فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: «**إنّ عبدالله رجل صالح لو كان يصلّي من الليل**»، قال نافع: فلم يزل بعد ذلك يكثر من الصلاة[٢] فكان.

يصلّي ما قدّر له ثمّ يأوي إلى فراشه، فيغفي إغفاء الطائر ثمّ يقوم فيتوضّأ ويصلّي ثمّ يرجع، فكان يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمساً، وكان قبل ذلك إذا نام لم يقم حتى يصبح.

*** شهادة الصحابة له بالفضل:**

كان ثلّة من الصحابة يرون أنّه ليس أحد فيهم على الحالة التي فارق عليها النبيّ ﷺ إلاّ ابن عمر.

وكان جابر بن عبدالله رضي الله عنه يقول: ما منّا من أحد أدرك الدنيا إلاّ مالت به، ومال بها غير عبدالله ابن عمر.

*** شهادة التابعين له بالعلم والورع:**

قال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من ابن عمر، وقال: ما رأيت أفقه من ابن عمر.

وقيل لنافع: ما كان عبدالله بن عمر يصنع في منزله، قال: الوضوء لكلّ صلاة، والمصحف فيما بينهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير.

وكان محمد بن سيرين يقول: اللّهمّ أبقني ما أبقيت ابن عمر أقتدي به.

وقال ابن المسيّب يوم مات ابن عمر: ما في الأرض أحد أحبّ إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منه وقول سعيد بن المسيّب هذا، نحو ما قال عليّ بن أبي طالب في عمر بن الخطّاب، ـ كما تقدّم ـ.

توفي سنة ٧٤هـ وهو المشهور، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وأوصى حين حضرته الوفاة أن يدفن ليلاً ولا يعلموا الحجّاج لئلاّ يصلّي عليه.

*** عائشة أمّ المؤمنين[١]:**

هي الصدّيقة الفقيهة المحدّثة الفصيحة ذات التحقيق أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصدّيق، الصادقة ابنة الصدّيق البريئة المبرّأة حبيبة حبيب الله، ذات المحاسن الحميدة والمناقب العديدة، وحيدة عصرها في الفقه والطبّ والشعر[٢].

---

(١) مرآة الجنان ١٦١/١ ـ ١٦٢، الاستيعاب ٣٥٨/٤، الإصابة ٣٦٠/٤ ـ ٣٦١، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ١٧/١، ٢١، ٢٢، شذرات الذهب ١١١/١ ـ ١١٢، السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطّأ ص ٤٩، الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٣٣، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٦، الاستيعاب ٣٥٨/٤، طبقات ابن سعد ٣٧٥/٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) فعن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة: إنّي لأتفكّر في أمرك فأعجب، أجدك من أفقه الناس فقلت ما يمنعها؟ زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، وأجدك عالمة بأيّام العرب وأنسابها وأشعارها فقلت: وما يمنعها وأبوها علاّمة قريش؟ ـ وذلك أنّ أبا بكر كان أعلم الناس بأنساب العرب وأخبار قبائلها، وأنباء بطونها ـ ولكن إنّما أعجب أن وجدتك عالمة بالطبّ، فمن أين؟ فأخذت بيدي وقالت: يا عريّة إنّ رسول الله ﷺ كثر من أسقامه فكان أطبّاء العرب والعجم ينعتون له فتعلّمت ذلك » أخرجه البزار في مسنده وقال: هذا الحديث لا نعلمه مرويًّا عن عائشة إلاّ بهذا الإسناد، وأورده أبو نعيم في الحلية، وورد عند الحاكم النيسابوري مثله، وقال صحيح الإسناد، وقال الذهبي في مختصره: على شرط الصحيحين (الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٤٩ ـ ٥٠).

وكانت رضي الله عنها مقدّمة في العلم والفرائض والأحكام والحلال والحرام، وكانت من أكثر الصحابة حفظا وفتيا، فكان مشيخة أصحاب رسول الله يسألونها عن الفرائض.

استقلّت بالفتوى منذ زمن أبي بكر وعمر وهلمّ جرّا، وكانت تفتي في زمن عمر وعثمان وما بعد ذلك إلى أن ماتت.

وكان الأكابر من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها فيجدون علمه عندها، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كلّ ما تعلّق بأحكام النساء أو بأحوال النبيّ البيتيّة، لا يضارعها في هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا من النساء، وعليها تتلمذ مشيخة المهاجرين والأنصار[١]، وإلى قولها رجع فقهاء الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه عبدالله وأبي هريرة وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن الزبيّر وجابر بن عبدالله وغيرهم[٢].

روي لها عن النبيّ ﷺ ١٢١٠ حديثاً، اتّفق البخاري ومسلم منها على ١٧٤ حديثاً، وانفرد البخاري بـ ٥٤، ومسلم بـ ٦٨، فلم يرو عن النبيّ امرأة أكثر منها.

وروى عنها الحديث كثير من الصحابة منهم: أبوها أبو بكر وعمر بن الخطاب وابنه عبدالله وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري وعبدالله بن عباس وعمرو بن العاص وغيرهم.

وحمل عنها من الفقه ما لم يحمل عن أحد سواها.

ومن أخصّ مناقبها ما علم من حبّ رسول الله ﷺ لها، وشاع من تخصيصها عنده، ونزول القرآن في عذرها وبراءتها والتنويه بقدرها، وما نزل بها أمر تكرهه إلاّ جعل الله فيه للمؤمنين فرجاً ومخرجاً كما في نزول آية التيمّم عند انحباس الناس عن السفر بسببها لالتماس عقدها حين

---

(١) مقدمة محقّق كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٥ ـ ٦.

(٢) انظر: الباب الثاني من كتاب الإجابة في استدراكها على أعلام الصحابة.

ضاع، حتى قال لها أسيد بن حضير: ما هي بأوّل بركتكم يا آل أبي بكر، ووفاة رسول الله بين سحرها ونحرها، ونزول الوحي في بيتها وهو في لحافها، وغير ذلك من بركتها.

*** شهادة الرسول لها بالفضل:**

فعن أبي موسى الأشعري أنّ رسول الله ﷺ قال: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**[١].

وقوله ﷺ: **«يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام»**، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد النبيّ ﷺ[٢].

*** شهادة الصحابة لها بالعلم بالفضل:**

عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه أنّه قال: لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة.

وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل على أصحاب رسول الله ﷺ شيء فسألنا عنه عائشة إلاّ وجدنا عندها منه علماً[٣].

*** شهادة التابعين لها بسعة المعرفة وغزارة العلم وفصاحة اللسان:**

قال ابن شهاب الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس وأعلم الناس رأيا في العامّة.

وقال عروة بن الزبيّر ـ ابن أخت عائشة ـ: كانت عائشة أعلم الناس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء والمناقب والأطعمة، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق والاستئذان، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وقال: حديث حسن صحيح.

بالحديث، وأعلم الناس بالقرآن، وأعلم الناس بالشعر، وقال: ما جالست أحداً قطّ كان أعلم بقضاء، ولا بحديث بالجاهليّة، ولا أروى للشعر، ولا أعلم بفريضة، ولا طبّ من عائشة، وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطبّ ولا بشعر من عائشة، وقال كذلك: ما كان ينزل بها شيء إلاّ أنشدت فيه شعرا.

وعن موسى بن طلحة قال: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة[١].

ومن فصاحتها رضي الله عنها ما رواه محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب والخلفاء كلّهم هلمّ جرّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من عائشة» أخرجه الحاكم في مستدركه، ومن فصاحتها ما روي أنّه لمّا توفيّ الصدّيق رضي الله عنه، وقفت عائشة على قبره فقالت: نضّر الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزّا بإقبالك عليها، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله رزوّك، وأعظم المصائب بعده فقدك، إنّ كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك، وأنا أستنجز موعود الله فيك بالصبر، وأستقضيه بالاستغفار لك، أمّا لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا، لقد قمت بأمر الدين لمّا وهى شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه، فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ولا رازية على القضاء فيك[٢].

توفيت رضي الله عنها ليلة ١٧ رمضان من سنة ٥٨هـ كما أثبته الأكثر، وقيل ٥٧هـ، وأوصت أن تدفن ليلاً، فدفنت بعد الوتر بالبقيع وصلّى عليها أبو هريرة، ونزل قبرها عبدالله وعروة ابنا الزبير، والقاسم وعبدالله ابنا محمد بن أبي بكر، وعبدالله بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٥٠.

* أبو هريرة[١]:

اختلف في اسمه واسم أبيه على أكثر من ثلاثين قولاً والأشهر أنّ اسمه عبدالرحمٰن بن صخر الدوسي.

لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ بعد إسلامه، فلم يفارقه في حضر ولا سفر ـ ولم يفارقه إلاّ حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ـ، فكان أحرص شيء على سماع الحديث منه وتفقّه عنه، وكان يلزمه على شبع بطنه، فروى عن رسول الله الكثير الطيّب وكان من حفّاظ الصحابة، بل كان أحفظ أصحاب الرسول ﷺ وأحفظ من روى الحديث في دهره، وأكثرهم رواية على الإطلاق، حيث بلغ عدد ما روى ٥٣٧٤ حديثاً، اتّفق البخاري ومسلم منها على ٣٢٥ حديثاً، وانفرد البخاري بـ ٩٣ حديثاً، في حين انفرد مسلم بـ ١٨٩ حديثاً.

روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم، فممّن روى عنه من الصحابة عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع.

وقد كان من الصدق والديانة والعبادة والزهادة والحفظ والعمل الصالح على جانب عظيم، كثير الذكر والتسبيح حسن الأخلاق، له فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمّة.

غير أنّ فئة من الناس ممّن لا وازع لهم من خلق أو دين، من أرباب الأهواء المبتدعين ممّن لم يذوقوا للعلم طعما، ولم يعرفوا للإسلام قدراً، قد تحاملوا على هذا الصحابي الجليل وحرصوا على التشكيك في صدقه وزهده وورعه وطعنوا في حفظه وقوّة ذاكرته بكذب واضح وتحريف لبعض الحقائق في تاريخ حياة هذا الصحابي، ممّا لا يستند إلى بحث

---

(١) الاستيعاب ٢٠٢/٤ ـ ٢١٠، الإصابة ٢٠٤/٤ ـ ٢١٠، إسعاف المبطأ ص ٤٦، البداية والنهاية ١٠٣/٨ ـ ١١٤، شذرات الذهب ١١٣/١، مرآة الجنان ١٦٢/١، إعلام الموقعين ٢٣/١.

تاريخي ولا سند علمي، وإنّما اعتمادهم في ذلك إمّا على روايات مكذوبة أو ضعيفة وإمّا على تأويلات باطلة خسيسة فجاءوا بمزاعم باطلة وأقوال زور تافهة يريدون بها هدم ركن شامخ من أركان الدين وقسط وافر من سنّة سيّد المرسلين بالطعن في ما رواه أبو هريرة راوية الإسلام الأوّل، وأكثرهم أحاديث عن رسول ربّ العالمين.

ومن لطف الله تعالى أن هيّأ لأمثال هؤلاء المشكّكين المأجورين من أدعياء العلم التافهين، جنوداً من عباده المؤمنين يذودون عن أصحاب رسول الله ﷺ، ويزيحون الستار عن خبث النفوس، ويردّون كيد الكائدين[١].

ومن مناقبه أنّ الرسول الأكرم ﷺ دعا له ولأمّه فقال: «**اللّهمّ حبّب عبيدك هذا** - يعني أبا هريرة - **وأمّه إلى عبادك المؤمنين، وحبّب إليهم المؤمنين**»[٢].

*** شهادة الرسول له بالحفظ والحرص على العلم:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحَدٌ أوّل منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلاّ الله خالصا من قلبه أو من نفسه**»[٣].

وعن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال: «**من يبسط رداءه حتى أقضي**

---

(١) انظر: الفصل السابع من كتاب السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي، وفيه يردّ على ما نسج حول أبي هريرة من افتراءات، وانظر كذلك كتاب الحديث والمحدثون للدكتور محمد محمد أبو زهو ص ١٥٣ - ١٧٢ حول أبي هريرة وما قيل فيه، حيث يذكر بعض الطعون والجواب عنها بإيجاز.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم وكتاب الرقاق.

**مقالتي ثمّ يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه منّي**، وبسطت بردة عليّ حتى قضى حديثه ثمّ قبضها إليّ فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً بعد أن سمعته منه[١].

وروي أنّ زيد بن ثابت قال: بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا فسكتنا، فقال: عودوا للذي كنتم فيه، قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله ﷺ يؤمّن على دعائنا، ثمّ دعا أبو هريرة فقال: «**اللّهمّ إنّي أسألك ما سألك صاحباي وأسألك علماً لا ينسى**»، فقال رسول الله ﷺ: «**آمين**»، فقلنا: يا رسول الله: ونحن نسأل الله تعالى علماً لا ينسى، فقال: «**سبقكم بها الغلام الدوسي**»[٢].

*** شهادة الصحابة له بالحفظ والعلم:**

قال طلحة بن عبيدالله ـ أحد العشرة المبشّرين بالجنّة ـ: لا أشكّ أنّ أبا هريرة سمع من رسول الله ما لم نسمع[٣].

وعن عبدالله بن عمر أنّه قال لأبي هريرة: يا أبا هريرة أنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه[٤]، وفي رواية: وأعلمنا لحديثه[٥]، وقال أيضاً: أبو هريرة خير منّي وأعلم بما يحدّث.

وروي أنّ رجلاً جاء إلى زيد بن ثابت يسأله، فقال له زيد: عليك بأبي هريرة.

ولمّا توفّي أبو هريرة مشى عبدالله بن عمر أمام جنازته وكان يترحّم عليه ويكثر من ذلك ويقول: كان ممّن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، وأحمد في مسنده واللفظ له.
(٢) أخرجه النسائي في سننه، باب العلم، بسند جيّد.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٥) أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

*** شهادة التابعين له بالرواية والحفظ:**

كان سعيد بن المسيّب ـ صهر أبي هريرة، زوّجه أبو هريرة ابنته ـ إذا رأى أبا هريرة قال: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنّة، ولهذا أكثر عنه من الرواية.

وقال أبو الزعيزعة ـ كاتب مروان بن الحكم أمير المدينة على عهد معاوية بن أبي سفيان ـ أرسل مروان إلى أبي هريرة فجعل يحدّثه، وكان أجلسني خلف السرير أكتب ما يحدّث به حتّى إذا كان في رأس الحول أرسل إليه فسأله وأمرني أن أنظر، فما زاد ولا نقص، ولا غيّر حرفاً عن حرف.

توفّي على المشهور من الأقوال سنة ٥٩هـ وقيل سنة ٥٨هـ وقيل سنة ٥٧هـ.

*** أبو سعيد الخدري[1]:**

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم، ومن أعيان الصحابة وفقهائهم الذين كانوا يفتون بالمدينة ويحدّثون عن رسول الله ﷺ منذ توفّي عثمان بن عفان إلى أن توفّوا.

من الحفّاظ المكثرين العقلاء، حفظ عن النبيّ سننا كثيرة وعلماً جمًّا، فهو أحد السبعة المكثرين من رواية الحديث الذين جاوزوا الألف، فعدد ما رواه ١١٧٠ حديثاً، اتفق الشيخان منها على ٤٦ حديثاً، وانفرد البخاري بـ ١٦ حديثاً، ومسلم بـ ٥٢ حديثاً.

ولبعضهم:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا ... من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس ... صدّيقة وابن عبّاس كذا ابن عمر

---

(١) البداية والنهاية ٣/٩ ـ ٤، إسعاف المبطأ ص ٤٤، شذرات الذهب ١٤٩/١، مرآة الجنان ١٨٦/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥١، الاستيعاب ٨٩/٤، الإصابة ٣٥/٢.

روى عن الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وغيرهم، وروى عنه من الصحابة عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله ومحمود بن لبيد وأبو أمامة بن سهل وأبو الطفيل.

لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري.

له مشاهد محمودة، وهو ممّن بايع رسول الله ﷺ على الموت يوم الحديبية، ومن الذين بايعوه على أن لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهو الذي روى عن النبيّ ﷺ: **«لا يمنعنّ أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحقّ إذا شهده أو علمه»، قال أبو سعيد: فحملني على ذلك أنّي ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثمّ رجعت**[(١)].

توفي سنة ٧٤هـ وقيل قبل ذلك.

هؤلاء الستّة من الصحابة هم سادة المفتين وأئمّة الفقه الذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة في هذا الدور وعليهم دار علم أهل المدينة، وعلى أيديهم تخرّج الفوج الأوّل من نجباء وفضلاء التابعين المدنيّين.

وقد عُدّ من فضلاء التابعين وأعلامهم من أهل المدينة مائة وسبعون، اشتهر منهم ثلّة من الفقهاء خصّوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، أشهرهم:

الفقهاء السبعة، وسمّوا بذلك لأنّهم كانوا بالمدينة في عصر واحد وعنهم انتشر العلم والفتيا، أو لأنّ الفتوى بعد الصحابة صارت إليهم وشهروا بها.

وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين، فقال[(٢)]:

ألا كلّ من لا يقتدي بأئمّة ... فقسمته ضيزى عن الحقّ خارجة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) مرآة الجنان ٢١٧/١، مخلوف: شجرة النور الزكيّة ص ٢٠، البداية والنهاية ١١٦/٩.

وخـذهـم عـبيـد الله عـروة قـاسـم سعيـد أبو بكـر سليمـان خـارجة

وقال غيره[١]:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجه
فقل هم: عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

ونظّم عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود شعرا في امرأة من هذيل، ذكر فيه أقرانه من الفقهاء الستّة، وهو سابعهم، فقال[٢]:

أحبّك حبّا لا يحبّك مثله قريب ولا في العاشقين بعيد
وحبّك يا أمّ الصبيّ مدلّهي شهيدي أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدي قاسم بن محمّد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفي سليمان علمه وخارجة يبدي بنا ويعيد
متى تسألي عمّا أقول تخبّري فللّه عندي طارف وتليد

وروي عن أبي الزناد عن أبيه قال: أدركت من فقهائنا الذين ينتهى إلى قولهم: سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبيّر والقاسم بن محمد وأبو بكر بن عبدالرحمٰن وخارجة بن زيد وعبيدالله بن عبدالله وسليمان بن يسار، هم أهل فقه وصلاح وفضل.

وقال الحاكم النيسابوري: فأمّا الفقهاء السبعة من أهل المدينة فسعيد بن المسيّب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبيّر وخارجة بن زيد بن ثابت وأبو سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وسليمان بن يسار، فهؤلاء الفقهاء السبعة عند الأكثر من علماء الحجاز[٣].

---

(١) إعلام الموقعين ١/٢٣.
(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦١، شذرات الذهب ١/٢٠٧.
(٣) معرفة علوم الحديث ص ٤٣.

فذكر أبا سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف بدل أبي بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام، ورأى أنّ ذلك هو قول الأكثر، ورام هذا القول صاحب شجرة النور الزكيّة[١].

وقد ذكر سالم بن عبدالله أيضاً في الفقهاء السبعة بدلاً عن أبي بكر بن عبدالرحمٰن، وأبي سلمة بن عبدالرحمٰن[٢] فكان عبدالله بن المبارك يقول: فقهاء المدينة سبعة، فذكر فيهم سالم بن عبدالله بن عمر ابن الخطاب، ولم يذكر أبا بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام، ولا أبا سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف[٣].

والخلاصة أنّ هؤلاء التسعة هم من أكابر التابعين من أهل المدينة الذين منهم الفقهاء السبعة، مع خلاف في تحديد أسماء الفقهاء السبعة منهم، فرأى الحافظ النيسابوري أنّ ما ذكره هو رأي الأكثر من علماء الحجاز، غير أنّ عبدالله بن المبارك جعل سالم بن عبدالله بدل أبي سلمة، وجعل أبو الزناد بدلهما أبا بكر ابن عبدالرحمٰن[٤].

وعن يحيى بن سعيد القطّان أنّه قال: فقهاء المدينة عشرة، فلم يذكر أبا بكر بن عبدالرحمٰن وذكر أبان بن عثمان، وقبيصة بن ذؤيب[٥].

وذكر ابن قيّم الجوزيّة المفتين من التابعين بالمدينة فذكر إضافة إلى التسعة المتقدّمين: أبان بن عثمان ابن عفّان ونافع مولى ابن عمر وعلي بن الحسين بن أبي طالب[٦].

---

(١) مخلوف: شجرة النور الزكية ص ٢٠.
(٢) معرفة علوم الحديث ص ٤٣.
(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦١.
(٤) معرفة علوم الحديث ص ٤٣، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٢، السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ص ٢٤٠/٢.
(٥) البداية والنهاية ٢٣٤/٩.
(٦) إعلام الموقعين ٢٣/١.

وإذا أضفنا إلى هؤلاء: سيّدة التابعيّات عمرة بنت عبدالرحمٰن[١]، والحسن بن محمد بن الحنفيّة وباقر العلوم أبا جعفر محمد بن علي[٢] أصبح عددهم ستّة عشر، فللنو عنان القلم، ولنذكر نبذة من أنوار حياتهم تنير درب كلّ من أراد أن يجمع من حياة الأفذاذ والأبطال بعض الحكم.

*** ١ *: سعيد بن المسيّب[٣]:**

هو سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي (٩٣هـ) المقدّم في فقهاء المدينة السبعة، المجمع على جلالته وديانته وأمانته، أفضل التابعين وسيد فقهائهم، ليس في التابعين أنبل منه.

كان أعلم أهل المدينة بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وقضايا عمر وقضايا عثمان وأعلمهم بما مضى عليه الناس.

وكان يقال: ليس أحد أعلم بكلّ ما قضى به عمر وعثمان من سعيد بن المسيّب، وقال هو عن نفسه: ما بقي أحد أعلم بكلّ قضاء قضاه رسول الله ﷺ، وكلّ قضاء قضاه أبو بكر، وكلّ قضاء قضاه عمر، وكلّ قضاء قضاه عثمان منّي، جمع بين الحديث والتفسير والفقه والورع، وكان يقال له راوية عمر وحامل علمه.

كان سعيد صهر أبي هريرة، زوّجه أبو هريرة ابنته، ولهذا أكثر عنه من الرواية، فكانت جلّ روايته المسند عن أبي هريرة، وكان أثبت التابعين في أبي هريرة.

---

(١) تدريب الراوي ٢/٢٤٢.

(٢) أبناء عليّ بن الحسين زين العابدين ستّة منهم حدّثوا وهم: محمد وعبدالله وزيد وعمر وحسين وفاطمة، وليس فيهم تابعي غير محمد هذا (معرفة علوم الحديث ص ٤٧).

(٣) مرآة الجنان ١/٢١٤ ـ ٢١٥، تدريب الراوي ٢/٢٤٠، مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٢، إسعاف المبطأ ص ١٧، البداية والنهاية ٩/١٠٠، إعلام الموقعين ١/٢٢ ـ ٢٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ص٥٧ ـ ٥٨، شذرات الذهب ١/١٩١ ـ ١٩٢، البداية والنهاية ٩/٩٩ ـ ١٠١.

أخذ سعيد علمه عن زيد بن ثابت وجالس عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص، ودخل على أزواج النبيّ ﷺ: عائشة وأمّ سلمة، وأخذا عنهما، وسمع عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب وصهيبا ومحمد بن مسلمة.

وروى الحديث عن عن أبيه وعن عمر بن الخطاب واختلف في سماعه منه، كما روى عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وعن جماعة من الصحابة وحدّث عن جماعة من التابعين.

وقد وفّق الله الدكتور هاشم جميل إلى إخراج مصنّف قيّم في أربعة مجلّدات بعنوان «فقه سعيد بن المسيّب» استطاع أن يجمع فيه فقهه وآراءه ويقوم فيه بدراسة حياته وعصره.

*** من مناقب ابن المسيّب:**

كان سعيد يتّجر في الزيت، وكان من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا والكلام فيما لا يعني، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث.

وروي عنه أنّه قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ـ لمحافظته على الصفّ الأوّل.

ومن محاسنه وتواضعه وزهادته في الدنيا ومحبّته للفقراء أنّ عبدالملك بن مروان خطب ابنة سعيد لابنه ووليّ عهده الوليد بن عبدالملك، وكانت من أحسن نساء عصرها وأكثرهم أدبا وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، فأبى سعيد أن يزوّجه بها، وزوّجها على درهمين لكثير بن أبي وداعة وهو أحد الفقراء المشتغلين على سعيد بالعلم، فاحتال عليه عبدالملك حتى ضربه بالسياط، ولمّا جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيّام عبدالملك ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل وأطافه المدينة فرأته امرأة وهو على تلك الحال فقالت: ما هذا الخزي يا سعيد؟

فقال لها من الخزي فررنا إلى ما ترين، ومناقبه ومآثره أكثر من أن تحصر.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها إلاّ بمعصية الله، وقوله: من استغنى بالله افتقر الناس إليه، وقوله: الدنيا نذلة وهي إلى كلّ نذل أميل، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها، ويقول: ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلاّ وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، وقوله: ما يئس الشيطان من شيء إلاّ أتاه من قبل النساء.

*** شهادة الصحابة والتابعين وتابعيهم له بالعلم والفضل:**

قال عبدالله بن عمر لرجل سأله عن مسألة: ائت ذاك ـ يعني سعيد بن المسيّب ـ فاسأله ثمّ ارجع إليّ وأخبرني، ففعل ذلك وأخبره، فقال ابن عمر: ألم أخبرك أنّه أحد العلماء؟.

ومرّ سعيد بن المسيّب بعبدالله بن عمر فسلّم عليه ومضى، فالتفت ابن عمر إلى أصحابه وقال: لو رأى رسول الله ﷺ هذا لسرّه، وكان يقول: سعيد أحد المتقنين.

وكان ابن عمر يرسل إلى سعيد بن المسيّب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه.

وقال القاسم بن محمد ـ أحد الفقهاء السبعة ـ : هو سيّدنا وأعلمنا.

وقال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه: سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفضلهم في رأيه.

وقال ابن شهاب الزهري: جالسته سبع حجج وأنا لا أظنّ عند أحد علماً غيره.

وقال مكحول وقتادة والزهري وغيرهم: ما رأينا أعلم من ابن المسيّب.

وسئل ابن شهاب الزهري ومكحول من أفقه من لقيتما؟ فقالا: سعيد بن المسيّب.

وقال مكحول: طفت الأرض في طلب العلم، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيّب.

وقال قتادة: ما جمعت علم الحسن إلى علم أحد من العلماء إلاّ وجدت له عليه فضلاً، غير أنّه إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيّب يسأله.

وعن قتادة أيضاً أنّه قال: ما رأيت أحداً قطّ أعلم بالحلال والحرام من سعيد.

وقال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع منه علماً، وإذا قال سعيد مضت السنّة فحسبك به، وهو عندي أجلّ التابعين.

وكانت وفاته بالمدينة سنة ٩٤هـ على أحد الأقوال، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها منهم.

*** ٢ *: عروة بن الزبير[١]:**

هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي (٩٤هـ) من سادات التابعين وأعلامهم وصالحيهم، وكان من فقهاء المدينة المعدودين، كثير الحديث حافظاً للعلم حجّة، جامعاً بين السيادة والعلم والعبادة، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه، وكان أروى الناس للشعر، عالماً بالسير، وهو أوّل من صنّف المغازي، وقد نشره الأعظمي سنة ١٤٠١هـ.

روى عن أبيه الزبير بن العوام ـ أحد العشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنّة ـ وعن أمّه أسماء بنت أبي بكر ـ ذات النطاقين ـ وعن أخيه عبدالله

---

(١) شجرة النور الزكية ص ٢٠، مرآة الجنان ٢١٦/١ ـ ٢١٨، البداية والنهاية ١٠١/٩ ـ ١٠٣، شذرات الذهب ١٩٢/١ ـ ١٩٣، إسعاف المبطأ ص ٢٩، إعلام الموقعين ٢٢/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٨ ـ ٦٠.

وعن عليّ بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين وعن زيد بن ثابت وسعيد بن زيد والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأمّ سلمة وغيرهم من الصحابة.

وكان من الآخذين عن خالته عائشة الذين لا يكادون يتجاوزون قولها المتفقّهين بها، وكان يقول هو عن نفسه: لقد رأيتني قبل أن تموت عائشة بأربع سنين وأنا أقول: لو ماتت عائشة لما ندمت على شيء إلاّ كنت سألتها عنه، فكان بحرصه ذاك أعلم الناس بحديثها، وفي ذلك يقول قبيصة بن ذؤيب: كان عروة بن الزبير يغلبنا بدخوله على عائشة، ولذلك تبوّأ عروة المكانة السامية بين أقرانه واشتهر بالعلم والفتوى وأصبح من الذين ينتهى إلى قولهم، ومن جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبدالعزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة.

*** من مناقب عروة:**

كان عروة صوّاما قوّاما حتى روي أنّه مات وهو صائم، وكان يقرأ كلّ يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل، وممّا اشتهر عنه أنّه كان أيّام الرطب يفتح منفذا في بستانه للناس فيدخلون ويأكلون، فإذا ذهب الرطب أغلق المنفذ، وكان كلّما دخل بستانه ردّد قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1] حتى يخرج منه.

وممّا يروى في صبره على كوارث الزمان أنّه أصيب في رجله ـ وهو في سفر صحبة ابنه محمد أحبّ أولاده إليه ـ فأشاروا عليه بقطعها، فقال لهم: إن كان ولا بدّ فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة، فإنّي لا أحسّ بذلك ولا أشعر به، فلمّا تهيّأ للصلاة وكبّر قطعوا رجله فما تحرّك ولا اختلج، فلمّا أتمّ صلاته رفع يديه بالدعاء قائلاً: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم أمش بها إلى سوء قطّ، اللّهمّ لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت، فلك الحمد

(١) سورة الكهف ـ من الآية ـ ٣٩.

على ما أخذت وعلى ما عافيت، فلمّا قام من موضعه أخبروه أنّ فرسا رفست ابنه محمد فمات، فرفع عروة يديه بالدعاء وقال: الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستّة ـ وفي رواية كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ـ فلئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت، ولمّا قضى حاجته من سفره رجع إلى المدينة، وما سمع أنّه ذكر رجله ولا ولده، ولا شكا ذلك إلى أحد حتى وصل المكان الذي أصيبت فيه رجله فتلا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾[1] فلمّا دخل المدينة المنوّرة أتاه الناس يسلّمون عليه ويعزّونه في رجله وولده.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

رأى عروة رجلاً يصلّي صلاة خفيفة، فقال له: يا أخي أما كانت لك إلى ربّك حاجة في صلاتك؟ إنّي لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح.

وكان يقول: ربّ كلمة ذلّ احتملتها أورثتني عزًّا طويلاً، وكان يقول لبنيه: إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أنّ لها عنده أخوات، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيّئة فاعلموا أنّ لها عنده أخوات، فإنّ الحسنة تدلّ على أختها والسيّئة تدلّ على أختها.

*** شهادة أقرانه من التابعين وتابعيهم له بالفقه وسعة العلم:**

قال أبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام ـ أحد فقهاء المدينة المعدودين ـ: العلم لواحد من ثلاثة، لذي حسب يزيّنه، أو لذي دين يسوس به دينه، أو مختلط بسلطان يتحفه بعلمه، ـ وفي رواية ـ ويتخلّص منه بالعلم فلا يقع في هلكة ـ ولا أعلم أحداً أشرط لهذه الخلال من عروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز، كلاهما حسيب ديّن من السلطان بإزاء.

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما أحد أعلم من عروة بن الزبير، ولذلك

---

(١) سورة الكهف ـ من الآية ٦٢.

كان عمر يرجع إليه في زمن ولايته على المدينة[١].

وقال ابن شهاب الزهري: عروة بحر لا تكدّره الدلاء، وقال: رأيت عروة بحرا لا ينزف.

وقال عراك بن مالك: عروة بن الزبيّر أغزر أهل المدينة حديثاً.

وكان عبدالملك بن مروان الأموي يقول: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى عروة بن الزبيّر.

عاش عروة بعد قطع رجله ثماني سنين، وكانت وفاته على أشهر الأقوال في سنة الفقهاء التي هي سنة ٩٤.

*** ٣ *: أبو بكر بن عبدالرحمٰن[٢]:**

هو أبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي (٩٤هـ) والمشهور أنّ اسمه وكنيته واحد، وأبوه الحارث من الصحابة، وهو أخو أبي جهل لأمّه.

كان من فقهاء المدينة المعدودين وأحد أئمّة المسلمين في عصره.

كان من الثقة والأمانة والفقه وصحّة الرواية على جانب عظيم، وكان يلقّب براهب قريش لعبادته وفضله، ولكثرة صلاته وصيامه.

روى عن أبيه وأبي مسعود الأنصاري وأبي هريرة وعائشة وأمّ سلمة،

---

(١) كان عمر بن العزيز في زمن ولايته على المدينة لا يقضي في أمر ولا يقطع برأي حتى يرجع بالنظر إلى عشرة من فقهاء المدينة في عصره اختصّهم بالفتوى لما عرفوا به من الفضل والصلاح وهم: عروة بن الزبيّر وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود وأبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد وسالم بن عبدالله بن عمر وأخوه عبيدالله بن عبدالله بن عمر وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة وعبدالله بن عامر بن ربيعة (انظر: البداية والنهاية ٩/٧١ و١٠٢).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٩، إسعاف المبطأ ص ٤٣، البداية والنهاية ٩/١١٥ - ١١٦، شذرات الذهب ١/١٩٣، مرآة الجنان ١/٢١٨.

وروى أيضاً عن عمّار بن ياسر وأسماء بنت أبي بكر وغيرهم.

والصحيح أنّه توفي في سنة الفقهاء التي هي سنة ٩٤هـ، وقيل في التي قبلها، وقيل في التي بعدها.

*** ٤ *: أبو سلمة بن عبدالرحمٰن[١]:**

هو أبو سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف الزهري، قيل اسمه عبدالله وقيل اسمه إسماعيل، وقيل اسمه كنيته.

وهو أحد فقهاء المدينة وأحد الأئمّة الكبار ومن أعيان التابعين وفقهائهم وساداتهم.

كان واسع العلم، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وعدّ من المشهورين بالرواية عن أبي هريرة.

روى عن أبيه عبدالرحمٰن بن عوف ـ أحد العشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنّة ـ وروى عن عثمان بن عفّان وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وعائشة وأمّ سلمة وغيرهم.

قال الشعبي: قدم أبو سلمة الكوفة وكان يمشي بيني وبين رجل، فسئل: من أعلم من بقي؟ فتمنّع وتزجّر ساعة، ثمّ قال: رجل بينكما.

وقال ابن شهاب الزهري: أربعة وجدتهم بحورا: سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبيّر وأبو سلمة بن عبدالرحمٰن وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود.

توفّي بالمدينة في سنة الفقهاء التي هي سنة ٩٤هـ وقيل بعد ذلك.

---

(١) إسعاف المبطأ ص ٤٥، شذرات الذهب ١٩٥/١، مرآة الجنان ٢٢٠/١، شجرة النور الزكيّة ٢٠، البداية والنهاية ١١٦/٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦١.

*** ٥ *: علي بن الحسين بن علي[١]:**

هو علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي (٩٤هـ) الإمام الرابع من أئمّة الشيعة الإماميّة، الملقّب بزين العابدين لكثرة عبادته، أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم للّه عزّ وجلّ.

روى الحديث عن أبيه الحسين وعمّه الحسن سيّدي شباب أهل الجنّة، وعن جابر بن عبدالله وابن عبّاس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفيّة وعائشة وأمّ سلمة أمّهات المؤمنين وكثير من الصحابة.

*** من مناقب علي بن الحسين:**

كان علي بن الحسين عالياً رفيعاً ورعاً، وكان ورده في اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات ومناقبه ومحاسنه كثيرة شهيرة، نقتصر منها على نبذة يسيرة.

روي أنّه كان كثير البرّ بأمّه، حتى قيل له: إنّا نراك من أبرّ الناس بأمّك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة، فقال: أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه.

وروي أنّه كان إذا توضّأ اصفرّ لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم؟.

ووقع حريق في بيت هو فيه، وهو ساجد وجعلوا يقولون يا ابن رسول الله، النار فما رفع رأسه، فقيل له في ذلك، فقال: ألهتني عنها النار الأخرى.

وروي أنّه تكلّم رجل فيه وافترى عليه، فقال له زين العابدين: إن كنت كما قلت فأستغفر الله، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل وقبّل رأسه، وقال: جعلت فداك لست كما قلت فاغفر لي، فقال:

---

(١) شذرات الذهب ١٩٤/١، مرآة الجنان ٢١٨/١ ـ ٢٢٠، البداية والنهاية ١٠٣/٩ ـ ١١٥، إسعاف المبطأ ص ٣٠، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٣.

غفر الله لك، فقال الرجل: «الله أعلم حيث يجعل رسالاته».

ولمّا حجّ أراد أن يلبّي فارتعد وقال: أخشى أن أقول لبّيك اللّهمّ لبّيك، فيقال لي: لا لبّيك، فشجّعه من كان معه على التلبية، فلمّا لبّى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة.

وكان يعول مائة أهل بيت بالمدينة لا يدرون من يعطيهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين فقدوا ذلك، فعرفوا أنّه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به، فكان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن الحسين، ولمّا مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين من فقراء أهل المدينة.

وخرج يوماً من المسجد فسبّه رجل فانتدب الناس إليه، فقال: دعوه، ثمّ أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحي الرجل، فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بمال، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: إنّك من أولاد الأنبياء، وكان إذا ناول المسكين الصدقة قبّله ثمّ ناوله.

وروي أنّ جارية له سكبت عليه ماء ليتوضّأ فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجّه، فرفع رأسه إليها، فقالت: إنّ الله يقول ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فقال: قد كظمت، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال: عفا الله عنك، فقالت ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] قال: أنت حرّة لوجه الله تعالى.

وروي أنّه كان جالسا في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثمّ رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الداعية؟ قال: نعم، فعزّوه وتعجّبوا من صبره، فقال: إنّا أهل بيت نطيع الله عزّ وجلّ فيما نحبّه، ونحمده على ما نكره.

ولمّا حجّ هشام بن عبدالملك في أيّام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن

---

(١) الآية ١٣٤ من سورة آل عمران.

يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنصب له منبر جلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، وبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين، وكان أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً وأشرفهم ذاتاً وطبعاً وأصلاً وفرعاً، فطاف بالبيت فلمّا دنا من الحجر ليستلمه تنحّى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه ـ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ـ وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه، فقال الشاميّ: من هذا يا أبا فراس؟ فأنشأ الفرزدق قصيدة في أكثر من عشرين بيتاً مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم

فغضب هشام بن عبدالملك من ذلك وأمر بحبس الفرزدق، فأنفذ له علي بن الحسين مالاً، فلم يقبله الفرزدق وقال: إنّما قلت ما قلت للّه عزّ وجلّ ونصرة للحقّ وقياماً بحقّ رسول الله ﷺ في ذرّيته، فأرسل إليه علي بن الحسين يقول: قد علم الله صدق نيّتك في ذلك، وأقسمت عليك بالله لتقبلنّه، فقبله منه[1].

وروي أنّ قوماً من أهل العراق ذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما، ثمّ ابتدؤوا في عثمان فقال لهم: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأوّلين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[2] قالوا: لا، قال: فهل أنتم من الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[3] قالوا: لا، فقال لهم: أمّا أنتم فقد

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٩ ـ ١٠٩، مرآة الجنان ٢٦٦/١ ـ ٢٦٧، شذرات الذهب ٢٥١/١ ـ ٢٥٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنّكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنّكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1] فقوموا لا بارك الله فيكم ولا قرّب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله.

وكان كثير البكاء فذكروا له ذلك فقال: إنّ يعقوب بكى حتى ابيضّت عيناه من الحزن على يوسف، ولم يعلم أنّه مات، وإنّي رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة، فتراهم حزنهم يذهب من قلبي أبدا؟.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: إنّ قوماً عبدوا الله عزّ وجلّ رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار، وآخرين عبدوه محبّة وشكراً فتلك عبادة الأحرار، وكان يقول: الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيّئاته.

وقال لابنه: يا بنيّ لا تصحب فاسقا فإنّه يبيعك بأكلة وأقلّ منها يطمع فيها ثمّ لا ينالها، ولا بخيلاً فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، ولا كذّابا فإنّه كالسراب يقرّب منك البعيد ويباعد عنك القريب، ولا أحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، ولا قاطع رحم فإنّه ملعون في كتاب الله.

وكان يقول: إنّما يجلس الرجل حيث ينتفع، وإنّ العلم يطلب حيث كان.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

وروي عنه أنّه كان يقول: سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الأتقياء.

ومات لرجل ولد فجزع عليه، فقال له الحسين بن علي: إنّ من وراء ابنك خلالا ثلاثا: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وشفاعة رسول الله، ورحمة الله عزّ وجلّ.

وكان يقول: إنّ الله يحبّ المؤمن المذنب التوّاب، وقال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره، إلاّ أن يتّقى منهم تقاه، قالوا: وما تقاه؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطغى.

*** شهادة الصحابة والتابعين وتابعيهم له بالفضل والعلم والفقه:**

عن زر بن حبيش قال: كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب.

وروي عن سعيد بن المسيّب وأسلم ـ مولى عمر بن الخطاب ـ وجماعة من السلف أنّهم قالوا: لم يكن في أهل البيت مثل علي بن الحسين، وقال سعيد: وما رأيت أورع منه.

وقال ابن شهاب الزهري: كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أفقه منه، وقال: ما رأيت قرشيّاً أورع منه ولا أفضل.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: عليّ بن الحسين أفضل هاشميّ أدركته.

وقال زيد بن أسلم: ما رأيت مثل علي بن الحسين قطّ.

واختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها زين العابدين علي بن الحسين، والمشهور أنّه توفي في سنة الفقهاء التي هي سنة ٩٤هـ، وقيل، قبل ذلك بسنة وقيل بسنتين، ودفن بالبقيع.

*** ٦ *: القاسم بن محمد[١]:**

هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (١٠٧هـ) من كبار سادات التابعين، وأحد فقهاء المدينة السبعة الجلّة، المشهورين ومن أفضل أهل المدينة، وأعلم أهل زمانه.

نشأ في حجر عمّته عائشة رضي الله عنها فأكثر عنها من الرواية، وكان من الذين لا يكادون يتجاوزون قولها، وكان أعلم الناس بحديثها، وله روايات كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم وعن غيرهم.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والفقه:**

قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضّله على القاسم بن محمد، وعن أبي الزناد قال: ما رأيت فقيهاً أعلم من القاسم بن محمد، وقال الإمام مالك: كان القاسم بن محمد من فقهاء هذه الأمّة، وقال سفيان بن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه.

وعن عمر بن عبدالعزيز قال: لو كان أمر الخلافة إليّ ما عدلت عن القاسم، وذلك لأنّ سليمان بن عبدالملك عهد إلى عمر بالخلافة وليزيد من بعده.

اختلف في تاريخ وفاته، والأشهر أنّه توفّي سنة ١٠٧هـ.

*** ٧ *: سالم بن عبدالله[٢]:**

هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطّاب (١٠٦هـ) من سادات

---

(١) مرآة الجنان ٢٥٦/١، البداية والنهاية ٢٥٠/٩، شذرات الذهب ٢٣٩/١ ـ ٢٤٠، مرآة الجنان ٢٥٦/١، إعلام الموقعين ٢٢/١، إسعاف المبطأ ص ٢٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥.

(٢) شجرة النور الزكيّة ص ٢٠، مرآة الجنان ٢٥٥/١، شذرات الذهب ٢٣٦/١ ـ ٢٣٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦١، معرفة علوم الحديث ص ٤٣، تدريب الراوي ٢٤٠/٢، البداية والنهاية ٢٣٤/٩ ـ ٢٣٥، إسعاف المبطأ ١٥، طبقات ابن سعد ١٩٦/٥ إسعاف المبطأ ص ١٤.

التابعين وعلمائهم وثقاتهم، الفقيه العابد القدوة، أحد الأئمّة الفقهاء السبعة بالمدينة على رأي ابن المبارك.

كان من العبّاد الزهّاد خشن العيش متواضعا يخدم بيده ويقوم على أعماله بنفسه.

وكان له من الورع شيء كثير، ولا يقبل من الخلفاء عطاء، ومن مناقبه أنّ هشام بن عبدالملك، دخل الكعبة حاجّاً فرأى سالماً واقفاً، فقال له: سلني حوائجك، فقال سالم: إنّي لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلمّا خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له: الآن خرجت من بيت الله فسلني حاجتك، فقال سالم: من حوائج الدنيا أمن حوائج الآخرة؟ قال هشام: من حوائج الدنيا، قال سالم: إنّي ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها؟.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والفقه:**

كان أبوه عبدالله بن عمر يقبّله ويقول: ألا تعجبون من شيخ يقبّل شيخا، وكان يقول فيه:

يلومنني في سالم وألومهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

وكان سعيد بن المسيّب يقول: عبدالله أشبه ولد عمر به، وسالم أشبه ولد عبدالله به.

وقال ربيعة الرأي ـ شيخ مالك ـ: كان الأمر ـ يعني بالمدينة ـ إلى سعيد بن المسيّب، فلمّا مات أفضى الأمر إلى القاسم وسالم.

وقال الإمام مالك رضي الله عنه: لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه.

توفّي سنة ١٠٦هـ وقيل في التي بعدها.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الأعلام الثلاثة ـ علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله ـ الذين فاقوا أهل المدينة فقها وورعا

هم بنو خالة، وأمّهاتهم بنات ملك الفرس يزدجرد، سبين في عهد عمر بن الخطاب فحصلت واحدة لعبدالله بن عمر فأنجبت سالماً، والأخرى لمحمد بن أبي بكر فأنجبت القاسم والثالثة للحسين بن علي فأنجبت له عليّا زين العابدين[١].

*** ٨ *: عبيدالله بن عبدالله[٢]:**

هو عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (٩٨هـ): ابن أخي عبدالله بن مسعود وأحد الفقهاء السبعة، ومؤدّب عمر بن عبدالعزيز، من سادات التابعين وأعلامهم وفضلائهم.

له روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة، فقد روى عن أبيه وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر.

والنعمان بن بشير وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة وميمونة وأمّ سلمة أمّهات المؤمنين وغيرهم من الصحابة.

وممّا يروى عنه أنّ امرأة من هذيل قدمت المدينة فخطبها كثير من الناس لفرط جمالها، فنظّم عبيدالله فيها شعرا، استشهد فيه بأقرانه من الفقهاء الستّة، وهو سابعهم، فقال:

أحبّك حبّا لا يحبّك مثله ... قريب ولا في العاشقين بعيد
وحبّك يا أمّ الصبيّ مدلّهي ... شهيدي أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدي قاسم بن محمّد ... وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفي سليمان علمه ... وخارجة يبدي بنا ويعيد
متى تسألي عمّا أقول تخبّري ... فللّه عندي طارف وتليد

---

(١) شذرات الذهب ١٩٤/١، مرآة الجنان ٢١٩/١، البداية والنهاية ١٠٤/٩.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٠، شذرات الذهب ٢٠٦/١، البداية والنهاية ١٧٧/٩، شجرة النور الزكيّة ص ١٩، إسعاف المبطأ ص ٣٨، شذرات الذهب ٢٠٧/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٠، إعلام الموقعين ٢٢/١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٠/١.

فقال سعيد بن المسيّب: فقد أمنت أن تسألنا، ولو سألتنا ما طمعت أن نشهد لك بزور.

**شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والفقه:**

قال ابن شهاب الزهري: أدركت أربعة بحور، فذكر عبيدالله، وقال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أنّي اكتفيت حتى لقيت عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، فإذا كأنّي ليس في يدي شيء.

وقال أيضاً: كنت لا تشاء أن تجد عند عبيدالله طريقة من علم لا تجدها عند غيره إلاّ وجدت.

وقال عراك بن مالك، وقد سئل من أفقه من رأيت؟ قال: أعلمهم سعيد بن المسيّب، وأغزرهم في الحديث عروة، ولا تشاء أن تفجّر من عبيدالله بحرا إلاّ فجرته.

وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: لأن يكون لي مجلس من عبيدالله أحبّ إليّ من الدنيا.

وكان يقول: إنّي لأشتري ليلة من ليالي عبيدالله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين تقول هذا مع تحرّيك وشدّة حفظك؟ فقال: أين أذهب بكم، والله إنّي لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إنّ في المحادثة تلقيحاً للعقل، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهمّ، وتنقيحاً للأدب.

ولا شكّ أنّ قول عمر بن عبدالعزيز يدلّ دلالة واضحة على مدى المنزلة التي كان يحظى بها عبيدالله عنده، ولا غرابة في ذلك فقد كان عبيدالله مؤدّب عمر، وبالتالي فقد كان القائم على رعايته وسياسته بالتعليم والتأديب والتهذيب، وذاك هو شأن المؤدبين في ذلك الوقت.

توفّي عبيدالله سنة ٩٨هـ على الأصحّ، وقيل قبل ذلك.

*** ٩ *: خارجة بن زيد[١]:**

هو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (١٠٠هـ) الجليل القدر فضلاً وعلماً وعملا، والده من أكابر الصحابة وصدورهم.

كان خارجة يفتي بالمدينة، وكان من فقهائها المعدودين، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم.

وكان عالماً بالفرائض وتقسيم المواريث، ولا غرو في هذا فقد تفقّه على والده زيد الذي كان أعلم الصحابة بعلم الفرائض بشهادة الرسول الأكرم والصحابة رضوان الله عليهم.

وقال مصعب: كان خارجة بن زيد وطلحة بن عبدالله بن عوف في زمانهما يستفتيان وينتهي الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخل والأموال، ويكتبان الوثائق للناس.

توفّي خارجة سنة ١٠٠هـ.

*** ١٠ *: سليمان بن يسار[٢]:**

هو سليمان بن يسار مولى أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وهو أخو عطاء وعبدالملك وعبدالله بني يسار، أحد الفقهاء السبعة والأئمّة الأعلام، ومن أكابر التابعين وساداتهم وعلمائهم.

كان من المجتهدين في العبادة وله روايات كثيرة.

روى عن زيد بن ثابت وأبي هريرة وعبدالله بن عباس والمقداد وجابر بن عبدالله وعائشة ومولاته ميمونة وأمّ سلمة أمّهات المؤمنين.

كان سعيد بن المسيّب يستفتيه السائل فيقول: اذهب إلى سليمان بن يسار فإنّه أعلم من بقي اليوم، وقال الحسن بن محمد بن علي بن أبي

---

(١) شجرة النور الزكية ص ٢٠، البداية والنهاية ١٨٧/٩، شذرات الذهب ٢١٣/١، مرآة الجنان ٢٣٦/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٠.

(٢) انظر: ما تقدّم من ترجمة زيد.

طالب: سليمان عندنا أفهم من ابن المسيّب، ولذلك قال الإمام مالك: سليمان من أعلم الناس عندنا بعد سعيد بن المسيّب.

وقد يكون سليمان أفهم من ابن المسيّب في مسائل الطلاق خاصّة ولذلك قال قتادة: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها بالطلاق؟ فقالوا: سليمان بن يسار.

توفي سليمان سنة ١٠٧هـ وهي نفس السنة التي توفّي فيها القاسم بن محمد.

*** ١١ *: عمرة بنت عبدالرحمٰن[١]:**

هي الفقيهة الأنصاريّة الفاضلة العدل الضابطة لما يؤخذ عنها: عمرة بن عبدالرحمٰن بن سعد بن زرارة (٩٨هـ) أخي أبي أمامة أسعد بن زرارة، كانت من أهل الفتيا بالمدينة وسيّدة التابعيات.

كانت في حجر عائشة فأكثرت من الرواية عنها، ولذلك فإنّ عمر بن عبدالعزيز حين عزم على تدوين الحديث بعث بكتاب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عامله وقاضيه على المدينة يطلب منه جمع أحاديث الرسول، وتتبّع ما كان عند خالته عمرة بنت عبدالرحمٰن، وما ذاك إلاّ لما عرف عنها من ضبط ودقّة في الرواية، وممّا جاء في هذا الكتاب: اكتب إليّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ وبحديث عمرة فإنّي قد خشيت دروس العلم وذهابه[٢].

وكان سفيان بن عيينة يقول: أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة:

---

(١) إسعاف المبطأ ص ١٧، شجرة النور الزكيّة ص ٢٠، البداية والنهاية ٢٤٤/٩، مرآة الجنان ٢٥٦/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٠ ـ ٦١، طبقات ابن سعد ١٧٤/٥، الحجوي: الفكر السامي ٣٥٦/٢ مرآة الجنان ٢٣١/١، شذرات الذهب ٢٠٧/١، إسعاف المبطأ ص ٢٩، تدريب الراوي ٢٤٢/٢.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، المقدّمة.

القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرة بنت عبدالرحمٰن، توفيت سنة ٩٨هـ.

*** ١٢ *: نافع مولى ابن عمر[١]:**

هو أبو عبدالله نافع بن سرجس الديلمي (١١٧هـ) مولى عبدالله بن عمر، كان من الثقات النبلاء والأئمّة الأجلاء، ومن المشهورين بالحديث الضابطين الأثبات الذين يؤخذ عنهم.

روى عن مولاه عبدالله بن عمر وعن رافع بن خديج وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة وأمّ سلمة وغيرهم من الصحابة، ومعظم حديث عبدالله بن عمر عليه دار.

بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى مصر يعلّمهم السنن، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة.

وكان مالك يقول: كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر، لا أبالي أن أسمعه من أحد.

وفي رواية: كنت إذا سمعت من نافع يحدث عن ابن عمر، لا أبالي أن لا أسمعه من غيره.

وقال الإمام البخاري: أصحّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب، لجلالة كلّ واحد من هؤلاء الرواة.

توفي نافع سنة ١١٧هـ.

---

(١) البداية والنهاية ٣١٩/٩، مرآة الجنان ٢٧٧/١، إسعاف المبطأ ص ٤٠، شذرات الذهب ٢٦٩/١.

*** ١٣ *: الحسن بن محمد بن الحنفيّة[١]:**

هو الحسن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب، كان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفقه، تابعي ثقة، من عقلاء قومه وعلمائهم، ومن أفاضل أهل البيت، ومن أعلم الناس بالاختلاف صحيح الحديث.

روى عن أبيه محمد بن الحنفيّة وابن عباس وجابر بن عبدالله وسلمة بن الأكوع وغيرهم.

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بما اختلف فيه من الحسن بن محمد، وما كان زهريّكم - يعني ابن شهاب - هذا إلاّ غلاماً من غلمانه.

اختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٩٥هـ وقيل سنة ١٠١هـ في أيّام خلافة عمر بن عبدالعزيز.

*** ١٤ *: قبيصة بن ذؤيب[٢]:**

هو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي المدني، كان من فقهاء المدينة، روى عن جمع كثير من الصحابة، فروى عن أبي بكر وعمر وعثمان بن عفان وعبدالرحمٰن بن عوف وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وعائشة وأمّ سلمة.

كان أوّل أمره مقيماً بالمدينة ولذلك عدّ من فقهائها، ثمّ انتقل إلى دمشق، واتّخذ بها داراً، وكانت له منزلة عند عبدالملك بن مروان، وكان صاحب سرّه ويدخل عليه بغير إذن.

قال الأعمش: فقهاء المدينة أربعة، فذكر فيهم قبيصة بن ذؤيب، وقال: كان قبيصة من أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت.

---

(١) البداية والنهاية ١٤٠/٩، إسعاف المبطأ ص ١٠، شذرات الذهب ٢١٨/١، مرآة الجنان ٢٣٩/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٣.

(٢) البداية والنهاية ٧٣/٩، مرآة الجنان ٢٠٧/١، شذرات الذهب ١٧٩/١، إسعاف المبطأ ص ٣٤، إعلام الموقعين ٢٢/١، ٢٦، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٢.

وقال أبو الزناد: كان يعدّ فقهاء المدينة أربعة، فذكر فيهم قبيصة.

وقال يحيى بن سعيد القطّان: فقهاء المدينة عشرة فذكر قبيصة بن ذؤيب أخدهم، وكان ابن شهاب الزهري يقول: كان قبيصة بن ذؤيب من علماء هذه الأمّة، وقال مكحول: ما رأيت أحداً أعلم منه.

ثمّ لمّا انتقل إلى دمشق عدّ من فقهائها، ولذلك وصفه البعض بفقيه دمشق، وعدّه بعضهم في المفتين بالشام.

توفّي قبيصة بدمشق سنة ٨٦هـ وقيل سنة ٨٧هـ.

*** ١٥ *: محمد بن علي بن الحسين[١]:**

هو أبو جعفر محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، الإمام الخامس من أئمّة الشيعة الإماميّة وهو والد جعفر الصادق، لقّب بالباقر لأنّه بقر العلم أي شقّه وتوسّع فيه.

وهو تابعي جليل كبير القدر كثيرالحديث وأحد أعلام هذه الأمّة علماً وعملا وسيادة وشرفاً، كان ذاكراً خاشعاً صابراً رفيع النسب عالي الحسب عارفاً بالخطرات كثير البكاء والعبرات معرضاً عن الجدال والخصومات.

روى عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وغيرهما من الصحابة، وحدّث عنه جماعة من كبار التابعين.

قال عبدالله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند محمد بن علي.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

لأبي جعفر الباقر كلام نافع في الحكم والمواعظ، من ذلك قوله: أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مئونة وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكّروك، وإن

---

(١) شذرات الذهب ١/٢٦٠، مرآة الجنان ١/٢٧٣ ـ ٢٧٤، البداية والنهاية ٩/٣٠٩ ـ ٣١٢.

ذكرت أعانوك، قوّالون بحقّ الله، قوّامون بأمر الله... وأنزل الدنيا كمنزل نزلته وارتحلت عنه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء.

وكان يحرّض الناس على ذكر الله تعالى، فيقول: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر.

وكان يقول: من دخل قلبه صافي دين الله شغله عمّا سواه، وما عسى أن تكون الدنيا؟ هل هي إلاّ مركباً ركبته، أو ثوباً لبسته، أو امرأة أصبتها.

وكان يقول: الغنى والعزّ يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكّل أوطناه.

وكان يقول: ما من عبادة أفضل من عفّة بطن أو فرج، وما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلاّ الدعاء، وإنّ أسرع الخير ثوابا البرّ، وأسرع الشرّ عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحوّل عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

وكان يقول: ما اغرورقت عين عبد بمائها إلاّ حرّم الله وجه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدّين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلّة، وما من شيء إلاّ وله جزاء إلاّ الدمعة فإنّ الله يكفّر بها بحور الخطايا، ولو أنّ باكياً بكى من خشية الله في أمّة رحم الله تلك الأمّة.

وكان يقول: كان لي أخ في عيني عظيماً، وكان الذي عظّمه في عيني صغر الدنيا في عينيه.

وقال لابنه: إيّاك والكسل والضجر، فإنّهما مفتاح كلّ خبيثة، إنّك إذا كسلت لم تؤدّ حقّاً، وإن ضجرت لم تصبر على حقّ.

توفّي سنة ١١٤هـ وقيل غير ذلك، ودفن بالبقيع مع أبيه زين العابدين علي بن الحسين.

*** ١٦ * أبان بن عثمان بن عفّان[١]:**

هو أبان بن عثمان بن عفّان الأموي (١٠٥هـ) كان من فقهاء التابعين وعلمائهم، روى عن أبيه.

قال يحيى بن سعيد القطّان: فقهاء المدينة عشرة، فذكر أبان بن عثمان أحدهم.

وقال عمرو بن شعيب: ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقه.

توفّي سنة ١٠٥هـ.

وعن هؤلاء بالخصوص، وعن وغيرهم من كبار أعلام هذا الدور انتقل العلم والفقه بالمدينة إلى طبقة من صغار التابعين ممّن شرفوا بلقاء بعض الصحابة وإن كان أكثر تلقّيهم للعلم عن كبار فقهاء التابعين، فخلفوا أسلافهم في الفقه والعلم، وكان من أشهرهم بالمدينة عشرة أعلام، وهم:

**- ١ - ابن شهاب الزهري[٢]:**

هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري (١٢٤هـ) تابعي جليل وأحد الأعلام من أئمّة الإسلام، رأى عشرة من الصحابة، وحفظ علم الفقهاء السبعة.

كانت له عين حافظة وقلب ذكيّ، فكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً بمتون الأخبار حتى إنّه كان يقول عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً قطّ فنسيته، حفظ القرآن في نحو من ثمانية وثمانين يوماً وجالس

---

(١) البداية والنهاية ٢٣٣/٩ - ٢٣٤، شذرات الذهب ٢٣٣/١، مرآة الجنان ٢٥٤/١.

(٢) البداية والنهاية ٣٤٠/٩ - ٣٤٥، إسعاف المبطأ ص ٣٧، شذرات الذهب ٢٨٤/١ - ٢٨٥، مرآة الجنان ٢٨٦/١، تذكرة الحفّاظ ١٠٩/١ - ١١٠، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩، إعلام الموقعين ٢٢/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٤.

سعيد بن المسيّب ثماني سنين تمس ركبته ركبته، وكان يخدم عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ويستسقي له الماء، حتى ظنّت جارية عبيدالله أنّ ابن شهاب خادمه، وكان يدور على مشايخ الحديث ومعه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ويكتب عنهم كلّ ما سمع منهم حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه، وقد احتاج أهل عصره إليه.

وفي ذلك يقول صالح بن كيسان: اجتمعت أنا وابن شهاب ونحن نطلب العلم، فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبيّ ﷺ، ثمّ قال نكتب ما جاء عن أصحابه فإنّه سنّة، وقلت أنا: ليس بسنّة فلا نكتبه، فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيّعت.

ومكث الزهري خمسا وأربعين سنة يختلف من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز حتى أصبح فقيهاً جامعاً، فكان ابن شهاب بعد ذلك يقول: ما صبر أحد على العلم صبري ولا نشره أحد نشري.

وكان لشدّة حرصه على تعهّد العلم، ينزل بالأعراب يعلّمهم لئلاّ ينسى العلم، وكان إذا رجع من عند عروة بن الزبيّر يحدّث جاريته ويسرد عليها ما سمعه منه، فتقول له الجارية: والله ما أدري ما تقول فيقول لها: اسكتي، إنّي لا أريدك وإنّما أريد نفسي.

ولذلك كان ينصح بمذاكرة العلم دواماً واستمراراً، ويقول: إنّما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة، ويقول: إنّ هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيّام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به، ويقول: للعلم واد فإذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه فإنّك لا تقطعه حتى يقطع بك.

ومن لطائف ما يروى عن شغفه بطلب العلم أنّه كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كلّ شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوما: والله إنّ هذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر.

روى عن عبدالله بن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك ومحمود بن الربيع وسعيد بن المسيّب وأبي أمامة بن سهل وطبقتهم من صغار الصحابة

وكبار التابعين، وكان كثير الحديث والعلم والرواية له نحو ألفي حديث، حتى قال الإمام مالك: كان ابن شهاب إذا دخل المدينة لم يحدّث بها أحداً حتى يخرج، وما رئي أحد جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب.

وكان يطلب العلم بالخصوص من سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبيّر وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: إنّ هذا العلم الذي أدّب الله به رسول الله ﷺ، وأدّب رسول الله به أمّته، أمانة الله إلى رسوله ليؤدّيه على ما أدّى إليه، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجّة فيما بينه وبين الله.

ويقول: إنّ من غوائل العلم أن يترك العالم حتى يذهب علمه، وفي رواية: أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب، فإنّ من غوائله قلّة انتفاع العالم بعلمه.

ويقول: لا يوثق الناس علم عالم لا يعمل به، ولا يؤمن بقول عالم لا يرضى، ويقول: إيّاك وغلول الكتب، فقيل له: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أهلها.

وكان يقول: العلم خزائن تفتحها المسائل.

وسئل عن الزاهد فقال: من لم يمنع الحلال شكره، ولم يغلب الحرام صبره.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالحفظ والعلم:**

قال عمر بن عبدالعزيز: لا أعلم أحداً أعلم بسنّة ماضية من الزهري، وقال: ما رأيت أحداً أحسن سوقا للحديث إذا حدّث منه.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أنصّ للحديث من الزهري، وقال: ولقد جالست جابرا وابن عباس وابن عمر وابن الزبيّر فما رأيت

أحداً أسيق للحديث من الزهري، وقال الإمام أحمد: أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري، وقال أيّوب السختياني: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري.

وسئل عراك بن مالك من أعلم من رأيت؟ فقال: أعلمهم بالحلال والحرام ابن المسيّب، وأغزرهم حديثاً عروة، ولا تشاء أن تفجّر من عبيدالله بحرا إلاّ فجّرته، وأعلم هؤلاء عندي، وفي رواية وأفقههم عندي، ابن شهاب لأنّه جمع علمهم إلى علمه.

وقال الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قطّ أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه، وقال: لو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت ما يحسن غير هذا، وإن حدّث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلاّ هذا، وإن حدّث عن الأعراب والأنساب قلت: لا يحسن إلاّ هذا، وإن حدّث عن القرآن والسنّة كان حديثه بدعا جامعا.

وقال يحيى بن سعيد: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب، وكان يقال: محدّثو أهل الحجاز ثلاثة، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج، وفصحاء زمانهم أربعة: الزهري وعمر بن عبدالعزيز وموسى بن طلحة وعبيدالله بن عبدالله.

ولمّا حان أجله وهو بموضع يقال له شعب زبدا، في آخر أعمال الحجاز وأوّل أعمال فلسطين، أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليمرّ المارّ فيدعو له، فدفن هناك، وكانت وفاته يوم ١٧ رمضان من سنة ١٢٤هـ وقيل قبل ذلك بسنة، وقيل بعدها بسنة.

**- ٢ - عبدالرحمٰن بن القاسم[١]:**

هو عبدالرحمٰن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (١٢٦هـ) الفقيه ابن الفقيه المدني، شيخ الإمام مالك وخال جعفر الصادق.

---

(١) البداية والنهاية ٢١/١٠، شذرات الذهب ٢٩٥/١، مرآة الجنان ٢٩٠/١، تذكرة الحفّاظ ١٢٦/١، إسعاف المبطأ ص ٢٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٥.

كان إماماً ورعاً ثقة، كثير العلم، كبير القدر، روى عن أبيه القاسم بن محمد وأسلم مولى عمر بن الخطاب وسعيد بن المسيّب ومحمد بن جعفر بن الزبير وغيرهم.

قال سفيان بن عيينة: كان أفضل أهل زمانه، وقال الإمام مالك حين رأى ابنه يحيى يدخل ويخرج ولا يجلس: ما يهون عليّ إلاّ أنّ هذا الشأن لا يورث، وإنّ أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلاّ عبدالرحمٰن بن القاسم.

توفي بالشام سنة ١٢٦هـ.

**- ٣ - ربيعة الرأي[١]:**

هو ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن فروخ (١٣٦هـ) عالم المدينة وفقيهها، أحد الأعلام المعروف بربيعة الرأي، قيل له ذلك لأنّه كان يتقوّى بالرأي.

كان إماماً حافظاً فقيهاً مجتهداً بصيراً بالرأي، حافظاً للفقه والحديث، مكث دهراً طويلاً عابداً يصلّي الليل والنهار إلى أن جالس القوم فنطق بلبّ وعقل، فكان صاحب الفتوى بالمدينة.

وكان يجلس إليه وجوه الناس، ويحضر في مجلسه أربعون معتماً، وعنه أخذ الإمام مالك وبه تفقّه.

أدرك جماعة من الصحابة وروى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد وحنظلة بن قيس وسعيد بن المسيّب والقاسم بن محمد.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والعلم:**

قال يحيى بن سعيد: ما رأيت أحداً أفطن من ربيعة، وقال عبيدالله بن عمر العمري: ربيعة صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا، وقال سوار بن عبدالله العنبري: ما رأيت أحداً أعلم من ربيعة الرأي، وقال الإمام

---

(١) شذرات الذهب ٣٢٦/١ - ٣٢٧، مرآة الجنان ٣٠٧/١ - ٣٠٨، إسعاف المبطأ ١٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٥، تذكرة الحفاظ ١٥٧/١ - ١٥٨، وفيات الأعيان ٢٨٩/٢.

مالك: لمّا مات القاسم وسالم أفضى الأمر إلى ربيعة، وكان الإمام مالك يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي.

توفّي سنة ١٣٦هـ.

**- ٤ - أبو الزناد[١]:**

هو عبدالله بن ذكوان المدني (١٣٠هـ) المعروف بأبي الزناد، كان فقيه المدينة وأحد علمائها.

روى عن عبدالله بن عمر وأنس بن مالك وأبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف وعبدالله بن جعفر وسعيد بن المسيّب والأعرج عبدالرحمٰن بن هرمز وأكثر عنه من الرواية حتى قيل أبو الزناد راوية الأعرج.

ولاّه عمر بن عبدالعزيز خراج العراق مع عبدالحميد بن عبدالرحمٰن بن زيد بن الخطّاب، وروي أنّه وفد على هشام بن عبدالملك بحساب ديوان المدينة، فسأل هشام بن شهاب: أيّ شهر كان يخرج فيه العطاء لأهل المدينة؟ فقال: لا أدري، قال أبو الزناد: فسألني هشام فقلت: المحرّم، فقال هشام لابن شهاب: يا أبا بكر هذا علم أفدته اليوم، فقال ابن شهاب: مجلس أمير المؤمنين أهل أن يفاد منه العلم.

وكان أبو الزناد قد غلب عليه الحديث حتى كان بعضهم يسمّيه بأمير المؤمنين في الحديث.

ومع ذلك فقد حدّث الليث بن سعد قال: رأيت خلف أبي الزناد ثلاثمائة تابع من طالب فقه وطالب شعر وصنوف ثمّ لم يلبث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة رغم أنّ أبا حنيفة كان يقول: أبو الزناد أفقه من ربيعة.

---

(١) تذكرة الحفّاظ ١/١٣٥، شذرات الذهب ١/٣١١، مرآة الجنان ١/٢٩٨، معرفة علوم الحديث ص ٤٥ - ٤٦، إسعاف المبطأ ص ٢٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٦.

وعندي أنّ هذا من باب المداولة التي توحي بالتجدّد، وتثبت أنّ العلم ليس ملكاً لأحد ولا حكراً على أحد وما وقع لأبي الزناد مع ربيعة، وقع كذلك لربيعة مع مالك، فعن بكر بن عبدالله الصنعاني قال: أتينا مالك بن أنس، فجعل يحدّثنا عن ربيعة فكنّا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة أهو نائم في ذاك الطاق، فأتينا ربيعة فقلنا له: أنت ربيعة الذي يحدّث عنك مالك بن أنس؟ قال: نعم، قلنا: كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك؟ قال: أما سمعتم أنّ مثقالاً من دولة خير من حمل علم، وقد توفي في رمضان سنة ١٣٠هـ وقيل سنة ١٣١هـ.

**ـ ٥ ـ محمد بن المنكدر[١]:**

هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير التيمي (١٣٠هـ) الحافظ القدوة القانت الزاهد المجمع على ثقته وتقدّمه في العلم والعمل.

كان من معادن الصدق وكان بيته مأوى الصالحين ومجتمع المفلحين من الزاهدين العابدين.

روى عن أبيه وأبي هريرة وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وأبي أيّوب الأنصاري وعائشة أمّ المؤمنين وسعيد بن المسيّب وغيرهم.

قال ابن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

وقال الإمام مالك: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، آتي ابن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأبغض نفسي أيّاماً، وكان يقول: ابن المنكدر سيّد القرّاء.

توفّي سنة ١٣٠هـ وقيل سنة ١٣١هـ.

---

(١) تذكرة الحفّاظ ١٢٧/١، مرآة الجنان ٢٩٨/١، إسعاف المبطأ ص٣٧، شذرات الذهب ٣٠٦/١ ـ ٣٠٧.

**- ٦ - زيد بن أسلم مولى عمر[١]:**

هو زيد بن أسلم العدوي المدني (١٣٦هـ) مولى عمر بن الخطّاب، الفقيه العابد الذي كان له حلقة الفتوى والعلم بالمدينة.

روى عن أبيه وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وأبي هريرة وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وأضرابهم.

كان عالماً بالتفسير وله فيه كتاب رواه عنه ابنه عبدالرحمٰن.

قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتنا في حلقة زيد بن أسلم أربعين فقيها، أدنى خصلة فينا التساوي بما في أيدينا، ونقل البخاري أنّ زين العابدين بن علي بن الحسين كان يجلس إلى زيد بن أسلم.

وممّا يروى في ذلك أنّ علي بن الحسين دخل المسجد فتخطى حلق العلم حتى جلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: غفر الله لك، أنت سيّد الناس تأتي تخطى حلق أهل العلم حتى تجلس مع هذا العبد؟ فقال له علي بن الحسين: إنّما يجلس الرجل حيث ينتفع، وإنّ العلم يطلب حيث كان.

وعن عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم قال: لمّا وضع مالك الموطأ جعل أحاديث زيد بن أسلم في آخر الأبواب، فقلت له في ذلك، فقال: إنّها كالسراج تضيء لما قبلها.

بهؤلاء وأمثال لهم من العلماء الأعلام الذين حملوا لواء العلم والاجتهاد انتشر فقه أهل المدينة، وتكوّن بهم التلاميذ من أتباع التابعين.

**المركز الثاني: مكّة المكرّمة:**

هي أمّ القرى، وبلد الله الحرام، وموطن التشريع المكّي ومنبع

---

(١) شذرات الذهب ٣٢٧/١، مرآة الجنان ٣٠٨/١، إسعاف المبطأ ص ١٣ - ١٤، البداية والنهاية ١٠٦/٩.

الإسلام، ومهبط الوحي وقبلة المسلمين وهي البلد الذي حرّم فيها القتال وأقرّ فيها السلام.

وقد نزلت بها مجموعة وافرة من أصحاب الرسول عدّهم بعضهم فأوصلهم إلى أكثر من خمسين صحابيًّا كمعاذ بن جبل الذي بعثه الرسول إليها ليعلّم أهلها الحلال والحرام، وعتاب بن أسيد خليفة رسول الله بها، وعبدالله بن السائب المخزومي قارىء الصحابة بها وغيرهم[١].

غير أنّ الذي كان رأس الفتوى بها بلا منازع هو البحر وحبر الأمّة وترجمان القرآن عبدالله بن عبّاس فإليه يعود الفضل فيما كان لهذا المركز من شهرة علميّة، وعلى يديه تخرّج أقطاب التابعين من أعلام مكّة.

فلنلق نظرة على أعلام هذا المركز الفقهي.

*** عبدالله بن عباس[٢]:**

هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (٦٨هـ) ابن عمّ الرسول الأكرم ﷺ، الفقيه المفسّر المحدّث بحر العلوم وحبر الأمّة على العموم.

لمّا توفي النبيّ ﷺ، كان عبدالله ابن ثلاث عشرة سنة، فلم يكن ممّن يفتي لحداثة سنّه لكنّه شمّر عن ساعد الجدّ وأخذ عن كبار الصحابة، وأقبل عليهم يسأل حتى إن كان الحديث ليبلغه عن أحد فيأتي باب داره وهو قائل فيتوسّد رداءه فيسفي عليه الريح من التراب.

وكان يلازم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار يسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك.

وبهذه الروح العالية في تتبّع العلم وأخذه عن أهله استطاع ابن عبّاس

---

(١) طبقات ابن سعد ٤٤٣/٥ ـ ٤٦٢، معرفة علوم الحديث ص ١٩٢.

(٢) مرآة الجنان ١٧٤/١، الإصابة ٣٣٠/٢ ـ ٣٣٤، البداية والنهاية ٢٩٦/٨ ـ ٣٠٥، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٩، طبقات ابن سعد ٣٦٦/٢ ـ ٣٧٢، إعلام الموقعين ١٨/١ ـ ١٩، إسعاف المبطأ ص ٧، شذرات الذهب ١٣٧/١.

أن يتبوّأ المكان الأعلى في عهد عمر بن الخطاب فكان يدخله مع الشيوخ الكبار من الصحابة ويجلسه معهم حتى قال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس، فقال لهم: ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول.

وثبت في الصحيح عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنّه ممّن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلاّ ليريهم منّي، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ فتح مكّة فذاك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾، قال عمر: ما أعلم منها إلاّ ما تعلم[1].

وقد أراد عمر بذلك أن يقرّر عند مشائخ الصحابة جلالة قدر ابن عباس وكبير منزلته في العلم والفهم.

ولذلك كان عمر يقول لابن عباس: لقد علمت علماً ما علمناه، ويقول له: إنّك لأصبح فتياننا وجها وأحسنهم عقلاً، وأفقههم في كتاب الله عزّ وجلّ.

وهكذا بعد أن صحب ابن عباس النبيّ ﷺ وأخذ عنه وحفظ الأقوال وضبط الأفعال والأحوال توجّه إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فأخذ عنهم علماً عظيماً مع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة والأصالة والبيان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي.

فجمع بذلك مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله.

فكان ابن عباس بعد ذلك يفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن توفّي، ويدعوه عمر بن الخطّاب للمعضلات ويقول له: عندك قد جاءتك معضلة ثمّ لا يجاوز قوله وإنّ حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار حتى قال عبدالله بن مسعود: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما خالفه منّا أحد.

وفي عهد عثمان بن عفّان تولّى ابن عباس إمامة الحجّ ثمّ استنابه عليّ بن أبي طالب في عهده على البصرة، فكان أهلها مغبوطين به، يفقههم ويعلّم جاهلهم ويعظ غافلهم ويعطي فقيرهم، وفي ذلك يقول أبو بكرة: قدم علينا ابن عباس البصرة وما في العرب مثله حشماً وعلماً وجمالاً وكمالاً.

ولم يزل ابن عباس على البصرة حتى استشهد عليّ بن أبي طالب فلمّا آل الأمر إلى معاوية قصد مكّة واستقرّ بها مفتياً ومعلّماً لأكثر من عشرين سنة، ثمّ أكره على الخروج منها حين اعتزل الناس في خلاف عبدالله بن الزبير مع عبدالملك بن مروان، فنزل الطائف وتوفّي بها بعد سنتين.

ولمّا كان ابن عبّاس ـ من خلال ما تقدّم بيانه ـ قد قضى أغلب فترات حياته أثناء عطائه العلمي، بين المدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة، ـ إذ لم يستقرّ بالبصرة إلاّ أربع سنين أو أقلّ من ذلك، ولم يبق بالطائف غير السنتين الأخيرتين من حياته، ـ فلا مانع من اعتباره من أعلام المركز الفقهي بالمدينة، إلاّ أنّ الأظهر هو أنّ ابن عباس قد كان الركن الأساسي للمركز الفقهي بمكّة، ذلك أنّ تلاميذ ابن عباس الذين اشتهروا بالأخذ عنه وتأثّروا بمنهجه الاجتهادي، كان جلّهم إن لم نقل كلّهم من أعلام التابعين المفتين بمكّة وممّا يدعّم هذا الموقف ويؤكّده أنّ الإمام مالكاً الذي ورث علم أهل المدينة قد سأله الرشيد: لِمَ لَمْ نر في كتابك ـ يعني الموطأ ـ ذكراً لعليّ وابن عباس، فقال: لم يكونا ببلدي، ولم ألق رجالهما.

* ما أثر عنه من أقوال:

أثر عن ابن عباس أقوال كثيرة جدّاً منها قوله: قل خيراً تغنم، واسكت عن شرّ تسلم، فإنّك إن لم تفعل تندم.

وجاء إليه رجل فقال له: أوصني، فقال: أوصيك بتوحيد الله والعمل له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنّ كلّ خير آتيه أنت بعد ذلك منك مقبول وإلى الله مرفوع، وإنّك لن تزدد من موتك إلاّ قرباً فصلّ صلاة مودّع، واصبح في الدنيا كأنّك غريب مسافر فإنّك من أهل القبور، وابك على ذنبك وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك، فكأنّ قد فارقتها وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلّفت ولن ينفعك إلاّ عملك.

وأوصى رجلاً فقال له: لا تكلمنّ فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعا، ولا تمار سفيهاً ولا حليماً، فإنّ الحليم يغلبك والسفيه يزدريك، ولا تذكرنّ أخاك إذا توارى عنك إلاّ بمثل الذي تحبّ أن يتكلّم فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل من يعلم أنّه مجزى بالإحسان مأخوذ بالإجرام.

وكان يقول: تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره.

وأصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه، فلمّا أصيبت الأخرى وعمي عاد إليه لحمه، فقيل له في ذلك، فقال: أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى، فلمّا ذهبتا اطمأنّ قلبي.

وكان يقول: من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان، وفي رواية: من ترك صلاة واحدة متعمّداً لقي الله وهو عليه غضبان.

وكان يقول أيضاً: لا يكافىء من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موضعاً إلاّ الله عزّ وجلّ، وكذا رجل بدأني بالسلام أو أوسع لي في مجلس أو قام لي في مجلس أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ ورجل حفظني بظهر الغيب.

وكان يقول: إنّي لأسمع بالحاكم من حكّام المسلمين يعدل في حكمه فأحبّه ولعلّي لا أقاضي إليه أبدا، وإنّي لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي بها سائمة ولا راعية، وإنّي لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أنّ المسلمين كلّهم يعلمون منها مثل ما أعلم.

*** دعاء الرسول له بالفقه والعلم وفهم معاني القرآن:**

عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة ـ أمّ المؤمنين وأخت أمّ الفضل لبابة بنت الحارث وخالة ابن عباس ـ فوضعت له وضوءا من الليل، فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبدالله بن عباس فقال: **اللّهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل**[١].

وعن ابن عباس أيضاً قال: ضمّني النبيّ ﷺ إلى صدره وقال: «**اللّهمّ علّمه الحكمة**[٢] وفي رواية: **علّمه الحكمة وتأويل الكتاب**»[٣].

وعن ابن عباس كذلك قال: أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصلّيت خلفه فأخذ بيدي فجرّني فجعلني حذاءه، فلمّا أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست، فصلّى رسول الله ﷺ فلمّا انصرف ـ أي أتمّ صلاته وسلّم ـ قال لي: ما شأني أجعلك حذائي فتخنس، فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلّي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله، قال: فأعجبته، فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً[٤].

*** شهادة الصحابة والتابعين له بسعة العلم ودقّة الفهم وكمال العقل:**

قال سعد بن أبي وقّاص: ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا ألبّ لبّاً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، والترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، المقدّمة.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده.

وقال عليّ بن أبي طالب في ابن عباس: إنّنا لننظر إلى الغيث من ستر رقيق لعقله وفطنته.

وقال عبدالله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عبّاس، وكذا قال ابن عمر.

وقالت عائشة وأمّ سلمة: ابن عباس أعلم الناس بالمناسك، وقال عبدالله بن عمر: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل على محمد ﷺ، وفي رواية: أعلم من بقي بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ، وقال: لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً.

وعن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم ما سبق إليه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبيّ ﷺ منه، ولا أعلم بشعر ولا عربيّة ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلاّ الفقه، ويوماً ما يذكر فيه إلاّ التأويل، ويوماً ما يذكر فيه إلاّ المغازي، ويوماً الشعر، ويوما أيّام العرب، وما رأيت عالماً قطّ جلس إليه إلاّ خضع له، ولا وجدت سائلاً سأله إلاّ وجد عنده علماً، وقال: ما رأيت أحداً أعلم بالسنّة، ولا أجلد رأياً، ولا أثقب نظراً حين ينظر مثل ابن عبّاس، وإن كان عمر بن الخطّاب ليقول له: قد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها ولأمثالها.

وقال عطاء بن أبي رباح: ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، أكثر فقهاً ولا أعظم هيبة، أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربيّة يسألونه، وأصحاب الشعر يسألونه، فكلّهم يصدر في واد واسع.

وقيل لطاووس بن كيسان: لم لزمت هذا الغلام ـ يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من الصحابة؟ فقال: إنّي رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قول ابن عباس.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً أجمع لكلّ خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام، وتفسير القرآن، والعربيّة والشعر والطعام.

وعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدّث قلت أعلم الناس، وقال الأعمش مثل ذلك.

ولمّا مات ابن عباس - بالطائف سنة ٦٨هـ على المشهور من رأي الجمهور - صلّى عليه محمد بن الحنفيّة وقال: مات ربّاني هذه الأمّة.

وقال جابر بن عبدالله حين بلغه موت ابن عباس: مات والله أعلم الناس وأحلم الناس، وقد أصيبت به هذه الأمّة مصيبة لا ترتق.

وقال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم، وقال ابن أبي نجيح: ما رأيت مثل ابن عباس قطّ، ولقد مات يوم مات وإنّه لحبر هذه الأمّة.

وعن ابن عباس أخذ الفقه جماعة من أعلام التابعين عدّوا أعمدة المدرسة الفقهيّة بمكّة، واعتبروا الأصل الأصيل والركن المتين لهذا المركز الفقهي، أشهرهم مجاهد بن جبر، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وابن أبي نجيح وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير.

وفيما يلي ترجمة وجيزة لهم:

*** ١ *: مجاهد بن جبر[1]:**

هو أبو الحجاج القرشيّ المخزومي، مجاهد بن جبر المكّي (١٠٣هـ) أحد أئمّة التابعين والمفسّرين كان من أخصّ أصحاب ابن عباس، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير.

---

(١) البداية والنهاية ٩/٢٢٤ - ٢٢٨، شذرات الذهب ١/٢٢٤، مرآة الجنان ١/٢٤٣.

أسند عن أعلام الصحابة وعلمائهم، وروى عن عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري ورافع بن خديج.

عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة، وعرض عليه مرّتين يوقفه فيهما عند كلّ آية ويسأله عنها.

وكان من كثرة تبحّره وسعة علمه يقول له عبدالله بن عمر: وددت أنّ نافعاً يحفظ حفظك، وفي رواية: وددت أنّ ابني سالماً وغلامي نافعاً يحفظان حفظك.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان مجاهد يقول: لو لم يصب المسلم من أخيه إلاّ أنّ حياء منه يمنعه من المعاصي لكان في ذلك خير.

وكان يقول: الفقيه من يخاف الله وإن قلّ علمه، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه.

ويقول: إنّ العبد إذا أقبل على الله بقلبه، أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه.

ويقول: إنّما القلب بمنزلة الكفّ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قبض هكذا - وضمّ الخنصر حتى ضمّ أصابعه كلّها إصبعاً إصبعاً - قال: ثمّ يطبع.

ويقول: الذنوب تحيط بالقلوب كالحائط المبني على الشيء المحيط، كلّما عمل ذنباً ارتفعت حتى تغشى القلب حتى تكون هكذا - ثمّ قبض يده - ثمّ قال: هو الران.

مات مجاهد وهو ساجد سنة ١٠٣هـ وقيل قبل ذلك، وقيل بعد ذلك.

*** ٢ *: عكرمة مولى ابن عبّاس[١]:**

عكرمة مولى ابن عباس (١٠٧هـ) أصله من البربر من أهل المغرب، وهب لابن عباس، فسمّاه بأسماء العرب واجتهد في تعليمه حتى أصبح أحد فقهاء مكّة من التابعين الأعلام، من أعلم الناس بالتفسير ومن المفسّرين المكثرين والعلماء الربّانيين الذين يستضيء بهم الأنام.

كان عكرمة من الرحّالين الجوّالين، كثير التطوّف والجولان في البلاد، كثير التنقّل في الأقاليم.

طلب العلم أربعين سنة ثمّ أذن له ابن عباس بالفتوى فقال له: انطلق فأفت الناس فمن سألك عمّا يعنيه فأفته، ومن سألك عمّا لا يعنيه فلا تفته، فإنّك تطرح عنّي ثلثي مؤنة الناس.

كان عكرمة أحد أوعية العلم حتى إنّه ليقول عن نفسه: إنّي لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلّم بالكلمة فينفتح لي خمسون باباً من العلم.

أدرك عكرمة مائتين من أصحاب الرسول ﷺ وروى عن كثير منهم أشهرهم: مولاه عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة أمّ المؤمنين والحسن بن عليّ.

واحتجّ الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري والجمهور بما روى، في حين أعرض عنه الإمام مالك لمذهبه وما كان يرى من رأي الخوارج.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالعلم وسعة المعرفة بكتاب الله:**

قيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلم منك، فقال: عكرمة، وقال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٠، طبقات ابن سعد ٢/٣٨٥ ـ ٣٨٦ و٥/٢٨٨، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، شذرات الذهب ١/ ٢٣٢، البداية والنهاية ٩/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨، مرآة الجنان ١/ ٢٤٥.

وقال جابر بن يزيد: عكرمة أعلم الناس، وكان يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فاسلوه وقال قتادة: أعلم الناس بالتفسير عكرمة.

وقال حبيب بن أبي ثابت ـ من أعلام الكوفة ـ: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً، عطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر ـ وجميعهم قد تتلمذ على ابن عباس ـ، فأقبل سعيد ومجاهد يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلاّ فسّرها لهما، فلمّا نفد ما عندهما جعل يقول: أنزلت آية كذا في كذا.

وقال سفيان الثوري: خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة.

وقال سفيان بن عمرو: كنت إذا سمعت عكرمة يحدّث عن المغازي كأنّه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتتلون.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان عكرمة يقول: إنّ الشيطان ليزيّن للعبد الذنب فإذا عمله تبرّأ منه، فلا يزال يتضرّع إلى ربّه ويتمسكن له ويبكي حتى يغفر الله له ذلك وما قبله.

ويقول: من قرأ سورة يس لم يزل ذلك اليوم في سرور حتى يمسي، ويقول: لكلّ شيء أساس وأساس الإسلام الخلق الحسن.

وكان يعظ أصحابه بقول لقمان لابنه: قد ذقت المرار فلم أذق شيئاً أمرّ من الفقر، وحملت كلّ حمل ثقيل فلم أحمل أثقل من جار السوء، ولو أنّ الكلام من فضّة لكان السكوت من ذهب.

توفّي عكرمة سنة ١٠٧هـ وقيل سنة ١٠٦هـ وقيل سنة ١٠٥هـ، وقيل

مات عكرمة والشاعر كثير عزّة[١] بالمدينة المنوّرة في يوم واحد فصلّي عليهما بعد الظهر فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس.

*** ٣ *: عطاء بن أبي رباح[٢]:**

هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ) أحد أجلّاء الفقهاء، وأحد كبار التابعين الثقات الرفعاء، انفرد بالفتوى بمكّة هو مجاهد، وكان فقيهاً عالماً كثير الحديث.

روى الطبراني وغيره أنّ الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس، فلمّا مات ابن عباس كانت لعطاء بن أبي رباح.

يقال أنّه أدرك مائتين من الصحابة، وروى عن عدد كثير منهم عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير وأبو هريرة وزيد بن خالد الجهني وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وعائشة وأمّ سلمة.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والعلم:**

قال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان أحسن الناس صلاة، وقال أبو جعفر الباقر: ما رأيت فيمن لقيت أفقه من عطاء.

وقال إسماعيل بن أميّة: كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلّم يخيّل إلينا أنّه يؤيّد، وقيل: كان مجلسه ذكر الله، لا يفتر، فإن سئل أحسن الجواب.

وقال أبو حنيفة: ما رأيت أحداً أفضل من عطاء.

---

(١) هو أحد عشّاق العرب المشهورين به صاحب عزّة بنت حميل بن حفص، وله معها حكايات ونوادر وأمور مشهورة، وأكثر شعره فيها (مرآة الجنان ٢٤٩/١).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٩، وفيات الأعيان ٢٦١/٣، البداية والنهاية ٣٠٦/٩، مرآة الجنان ٢٧٠/١، البداية والنهاية ٣٠٦/٩ ـ ٣٠٨، تذكرة الحفّاظ ٩٦/١ ـ ٩٨، طبقات ابن سعد ٣٨٦/٢، شذرات الذهب ٢٥٨/١، تدريب الراوي ٢٤٢/٢، إعلام الموقعين ٢٢/١.

وقال الإمام أحمد: ليس أحد أكثر فتوى في التابعين منه ومن الحسن البصري، كان عطاء فقيه مكّة، والحسن مفتي البصرة.

وقال عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم: لمّا مات العبادلة ـ ابن عباس وابن الزبيّر وابن عمرو بن العاص ـ صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي، فكان فقيه أهل مكّة عطاء بن أبي رباح...

وقال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء، وقال إبراهيم بن عمر بن كيسان: أذكرهم في زمان بني أميّة يأمرون في الحاجّ مناديا يقول: لا يفتي الناس إلاّ عطاء بن أبي رباح.

وعن أبي جعفر الصادق قال: ما بقي على وجه الأرض أعلم بمناسك الحجّ من عطاء، وقال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

قال عطاء: إنّ الرجل ليحدّثني بالحديث فأنصت إليه كأنّي لم أكن سمعته، وقد سمعته قبل أن يولد، فأريه أنّي إنّما سمعته الآن منه، وهذا من حسن أدبه مع الناس وتواضعه لهم.

وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفّر الله عنه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل، فقيل: وما مجلس الذكر؟ قال: مجالس الحلال والحرام، كيف تصلّي، كيف تصوم، كيف تنكح وتطلّق، وتبيع وتشتري.

وكان يقول: الدعوة تعمي عين الحكيم فكيف بالجاهل، ولا تغبطنّ ذا نعمة بما هو فيه فإنّك لا تدري إلى ماذا يصير بعد الموت.

كان مرّة يطوف بالبيت فقال لأصحابه: امسكوا، احفظوا عنّي خمساً: القدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه من الله عزّ وجلّ، وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض، وأهل قبلتنا مؤمنون، حرام دماؤهم وأموالهم

إلاّ بحقّها، وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال والسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة.

وكان عطاء في آخر حياته بعد ما كبر وضعف ـ وقد بلغ من العمر ثماني وثمانين سنة ـ يفطر في رمضان ويفدي عن إفطاره، ويقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرّك.

توفّي سنة ١١٤هـ وقيل في التي بعدها.

*** ٤ *: عمرو بن دينار[١]:**

هو أبو محمد عمرو بن دينار اليمني الصنعاني (١٢٦هـ) عالم الحرم ومفتي أهل مكّة وأحد التابعين الأعلام.

أصله من أبناء الفرس الذين أرسلوا مع سيف بن ذي يزن وتوالدوا في اليمن.

تفقّه بطائفة من الصحابة والتابعين أشهرهم: عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وجابر بن قيس وطاووس بن كيسان والحسن البصري وسعيد بن جبير.

سكن مكّة، ولذلك عدّه الشيرازي من فقهاء التابعين بها، وذكره ابن قيم الجوزية في المفتين من التابعين بمكّة.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالعلم والفقه:**

قيل لعطاء بن أبي رباح: بمن تأمرنا؟ قال: بعمرو بن دينار.

وقال طاووس لابنه: يا بنيّ إذا قدمت مكّة فجالس عمرو بن دينار فإنّ أذنيه قمع للعلماء.

وقال عبدالله بن أبي نجيح: ما رأيت أحداً قطّ أفقه من عمرو بن

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٠، مرآة الجنان ٢٨٩/١ ـ ٢٩٠، إعلام الموقعين ٢٤/١، شذرات الذهب ٢٩٥/١.

دينار، وقال شعبة: ما رأيت في الحديث أثبت منه، وكانت وفاته سنة ١٢٦هـ.

*** ٥ *: ابن أبي مليكة[١]:**

هو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة التيمي (١١٧هـ) قاضي مكّة وإمام الحرم وشيخه ومؤذنه الأمين، ولّي القضاء بالطائف زمن خلافة عبدالله بن الزبير.

وكان من كبار أصحاب عبدالله بن عبّاس.

توفّي سنت ١١٧هـ وقيل سنة ١١٩هـ.

وذكر ابن قيم الجوزيّة في المفتين من التابعين بمكّة طاووس بن كيسان، الذي يعدّ من أكبر أصحاب عبدالله بن عباس، غير أنّ أبا إسحاق الشيرازي لا يذكره في فقهاء هذه المدرسة وإنّما يذكره في فقهاء التابعين باليمن.

والسبب في هذا الخلاف، أنّ طاووس قد أكثر الرواية عن ابن عباس، وروى عنه أعلام التابعين بمكّة مثل مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار، وكان كثير الحجّ حتى اتّفق موته بمكّة قبل التروية بيوم.

فإذا نظرنا إليه من هذه الزاوية فهو كما اعتبره البعض من فقهاء أهل مكّة وتابعيها.

وذكر بعضهم أنّ طاووس ولّي صنعاء والجند ـ بلدة في اليمن ـ واستقرّ باليمن، ولا شكّ أنّ طاووس خلال ولايته على تلك البلاد قد كان ذا تأثير في فقهاء اليمن وأهل العلم بها حتى عدّ شيخ أهل اليمن وبركتهم ومفتيهم، ولمّا مات طاووس رضي أهل اليمن بابنه عبدالله بن طاووس قاضيا على تلك البلاد بعده.

---

(١) شذرات الذهب ٢٦٧/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٩ ـ ٧٠ و٧٣، إعلام الموقعين ٢٤/١، البداية والنهاية ٢٣٥/٩.

فإذا نظرنا إليه من هذه الزاوية فهو كما اعتبره البعض الآخر من فقهاء أهل اليمن وتابعيها.

وهذا الرأي الأخير هو الذي أرتئيه وأرجّحه لأنّ تأثير طاووس في مدرسة اليمن بيّن واضح، وأمّا أهل مكّة فعلمهم عن كثير سواه من التابعين.

ولا يقدح في هذا الرأي أنّ مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار كانوا قد رووا عن طاووس، فإنّه وإن كانت روايتهم عنه ثابتة، فإنّهم قد اشتركوا معه في التلقّي من عبدالله بن عباس مباشرة حتى لقد عدّ مجاهد أخصّ أصحاب ابن عباس به، كيف لا، وقد عرض عليه القرآن ثلاثين مرّة، وقيل مرّتين يستوقفه في كلّ آية ويسأله عنها، ثمّ إنّ مجاهداً قد انفرد بالفتوى بمكّة هو وعطاء، كما أنّ حلقة العلم في المسجد الحرام كانت بعد ابن عباس لعطاء.

ثمّ نقل علم هؤلاء وغيرهم جماعة من أحداث التابعين من أشهرهم: عبدالله بن أبي نجيح المكّي المفسّر صاحب مجاهد ومفتي مكّة بعد عطاء المتوفّى بمكّة سنة ١٣١هـ وقيل ١٣٢هـ[1].

**المركز الثالث: الكوفة:**

هي رمح الله وكنز الإيمان ـ كمّا سمّاها عمر بن الخطاب ـ ورأس الإسلام وجمجمة العرب، نزلها وجوه الصحابة، قيل ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر، ذكر منهم ابن سعد ١٥٠ صحابيّاً.

وأشهر من سكنها منهم عبدالله بن مسعود وعليّ بن أبي طالب وسعد بن أبي وقّاص وخبّاب بن الأرت وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر وأبو موسى الأشعري والبرّاء بن عازب والنعمان بن بشير والمغيرة بن شعبة وجابر بن سمرة وسمرة بن جندب وسعيد بن زيد وسهل بن حنيف وأبو قتادة بن ربعي وأبو مسعود الأنصاري والنعمان بن

(١) مرآة الجنان ٣٠٠/١، شذرات الذهب ٣١١/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧١.

مقرّن وأخوه معقل بن مقرّن وعدي بن حاتم الطائي وعبدالله بن أبي أوفى وغيرهم، وأكثرهم بالكوفة دفنوا[١].

غير أنّ التأثير الأكبر والأثر الأعظم فيما كان للكوفة من شهرة علميّة في هذا الدور إنّما يعود بالأساس لعبدالله بن مسعود الذي كان زعيم هذا المركز الفقهي بلا منازع لطول مكثه به، ثمّ لعليّ بن أبي طالب بعد ذلك.

*** عبدالله بن مسعود[٢]:**

هو عبدالله بن مسعود الهذلي (٣٢هـ) أحد القرّاء الأربعة، وأعلم الصحابة بكتاب الله، وسادس ستّة آمنوا برسول الله وما على وجه الأرض مسلم غيرهم.

كان أوّل من جهر بالقرآن بمكّة بعد النبيّ ﷺ عند بيت الله الحرام وقريش في أنديتها، قرأ سورة الرحمٰن فقاموا إليه فضربوه.

كان يلازم النبيّ ﷺ حتّى ظنّه البعض أنّه من أهل بيته، وكان يحمل لرسول الله ﷺ نعليه وسواكه حتّى كان يقال له صاحب النعلين والسواك.

أخذ من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، فعن ابن مسعود قال: كنت غلاما يافعا أرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبيّ ﷺ وأبو بكر، فقال: يا غلام هل من لبن، قال: قلت: نعم ولكنّي مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل، فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ـ وفي رواية: وشرب أبو بكر ثمّ شربت ـ ثمّ قال للضرع اقلص فقلص، ثمّ أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علّمني من هذا القول ـ وفي رواية: ثمّ أتيته بعد ذلك قلت علّمني من هذا القرآن ـ قال: فمسح رأسي وقال: أنت غلام معلّم، قال:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٦ و١٢/٦ ـ ٦٥، معرفة علوم الحديث ص ١٩١.

(٢) البداية والنهاية ١٦٢/٧ ـ ١٦٣، الاستيعاب ٣١٨/٢ ـ ٣٢٤، الإصابة ٣٦٩/٢ ـ ٣٧٠، إعلام الموقعين ١٥/١، ١٧، ٢٥، مرآة الجنان ١٢٢/١، طبقات ابن سعد ٣٤٠/٢ و٣٤٤، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٣ ـ ٤٤، شذرات الذهب ٦٥/١.

فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد[١].

ولذلك كان ابن مسعود يقول عن نفسه: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنّي أعلمهم بكتاب الله، ولو أنّي أعلم أنّ أحداً أعلم منّي لرحلت إليه، ولم يردّ ذلك عليه أحد من الصحابة ولا عابه، وفي رواية: وما أنزلت سورة إلاّ وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أنّي أعلم أنّ رجلاً أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل لأتيته.

وكان مفتيا يرجع إليه في المشكلات بالاتّفاق بين علماء الشام والحجاز والعراق.

*** شهادة الرسول له بالفضل والعلم بالقرآن:**

عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خذوا القرآن عن أربعة، من ابن أمّ عبد ـ عبدالله بن مسعود ـ فبدأ به**»[٢]، وفي رواية ثانية: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبدالله ابن مسعود فبدأ به**»[٣]، وفي رواية ثالثة: «**اقرؤوا القرآن من أربعة نفر: من ابن أمّ عبد فبدأ به**»[٤].

وعن عبدالله بن مسعود أنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بشّراه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من سرّه أن يقرأ غضّاً ـ أو رطباً ـ كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد**»[٥].

وعن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: لو كنت مؤمّرا

---

(١) أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، ومسلم صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل.

(٥) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.

أحداً من غير مشورة - وفي رواية دون مشورة المؤمنين - لأمّرت ابن أمّ عبد[١].

وعن عليّ بن أبي طالب أيضاً قال: أمر النبيّ ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة، أمره أن يأتيه بشيء - وفي رواية كان يجتني سواكا من الأراك - فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله بن مسعود حين صعد الشجرة - وكان رقيق الساقين - فضحكوا، فقال رسول الله ﷺ: **«تضحكون؟ لرجل عبدالله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد»**[٢].

*** شهادة الصحابة له بالعلم والفقه:**

أقبل عبدالله بن مسعود ذات يوم وعمر بن الخطاب جالس، فلمّا رآه قال: كنيّف مليء فقها، وربّما قال: علماً.

ولمّا بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة صحبة عمّار بن ياسر كتب إليهم: إنّي قد بعثت إليكم بعمّار بن ياسر أميرا وعبدالله بن مسعود معلّماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، وقد آثرتكم على نفسي بعبدالله بن مسعود.

وقيل لعليّ بن أبي طالب: حدّثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال: عن أيّهم؟ قالوا: عن عبدالله بن مسعود، قال: قرأ القرآن وعلم السنّة، ثمّ انتهى وكفاه بذلك.

ولمّا حضر معاذ بن جبل الموت سنة ١٨هـ قيل له: يا أبا عبدالرحمٰن أوصنا، قال: التمسوا العلم عند أربعة، فذكر فيهم عبدالله بن مسعود.

وأوصى كذلك معاذ عند موته عمرو بن ميمون الأودي أن يلحق بابن مسعود فيصحبه ويطلب العلم عنده ففعل ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وأحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.

(٢) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.

وكان حذيفة بن اليمان يحلف بالله ويقول: ما أعلم أحداً أشبه دلاً وهديا وسمتا برسول الله ﷺ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبدالله بن مسعود، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنّه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة وأعلمهم بكتاب الله.

وكان رضي الله عنه يرجع إليه الصحابة في المشكلات، فعن علقمة قال: قدمت الشام، فلقيت أبا الدرداء فسألته، فقال: تسألوني وفيكم عبدالله بن مسعود؟.

وقال هذيل بن شرحبيل: سئل أبو موسى الأشعري عن رجل ترك بنتا وبنت ابن وأختا، فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وليس لابنة الابن شيء، وقال أبو موسى: ائت ابن مسعود فسيتابعني، فجاء إليه فقال: للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي للأخت، فأتيت أبا موسى وأخبرته، فقال: لا تسألوني عن شيء مادام هذا الحبر فيكم.

وقال بعض التابعين: جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبّ إلى أن أكون في صلاحه من ابن مسعود.

وقال الشعبي: ما كان من أصحاب النبيّ ﷺ أفقه صاحبا من عبدالله بن مسعود.

وبعد أن سيّره عمر إلى الكوفة ليعلّمهم أمور دينهم أمّره عثمان بن عفان عليها ثمّ عزله وأمره بالرجوع إلى المدينة، فقدم إلى المدينة فمرض بها وتوفي سنة ٣٢هـ ودفن بالبقيع على أشهر الأقوال.

ولمّا مات ابن مسعود نعي إلى أبي الدرداء فقال: ما ترك بعده مثله.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلاّ القرآن، فإن كان يحبّ القرآن فهو يحبّ الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله.

ويقول: الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.

ولنختم أقواله بهذا القول المأثور الذي كان قد نطق به في آخر أيّامه، ولننصت إلى هذا الحوار الربّاني بين راعي الأمّة وخليفة المسلمين عثمان بن عفّان الذي كان قد استقدم ابن مسعود من الكوفة، وبين عبدالله بن مسعود معلّم الكوفة في عهد عمر وأميرها في عهد عثمان.

جاءه عثمان بن عفان عائدا في مرضه الذي مات فيه، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال عثمان: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي، قال عثمان: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال عثمان: ألا آمر لك بعطائك؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ قال: لا حاجة لي فيه، قال عثمان: يكون لبناتك من بعدك، قال ابن مسعود: أتخشى على بناتي الفقر؟ إنّي أمرت بناتي أن يقرأن كلّ ليلة سورة الواقعة وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً**».

*** عليّ بن أبي طالب[١]:**

هو عليّ بن أبي طالب (٤٠هـ) ـ واسم أبي طالب عبد مناف ـ بن عبدالمطّلب القرشيّ الهاشميّ، ابن عمّ الرسول الأكرم ﷺ، وأخوه في الدنيا والآخرة[٢]، وزوج ابنته فاطمة البتول.

وهو أوّل من أسلم من الصبيان، كان يكنّى بأبي الحسن، وكنّاه

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢، إعلام الموقعين ١٦/١، طبقات ابن سعد ٣٣٨/٢ ـ ٣٣٩، الاستيعاب ٣٨/٣ ـ ٤٧، تاريخ الخلفاء ص ١٧١ ـ ١٨٦، مرآة الجنان ١٤٢/١ ـ ١٤٣، تنوير الحوالك ص ٧، البداية والنهاية ٣٣٠/٧ و٢/٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨١.

(٢) فعن عبدالله بن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه ـ بين المهاجرين ثمّ بين المهاجرين والأنصار ـ فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له الرسول: أنت أخي في الدنيا والآخرة (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب).

الرسول أبا تراب[١].

كان من أجلّاء فقهاء الصحابة وأحد قضاة هذه الأمّة، ولذلك كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها ـ أو فيها ـ أبو الحسن.

كان ذا ضرس قاطع في العلم، والفقه في السنّة، حتى إنّه كان ليقول: سلوني فوالله لا تسألونني عن شيء إلاّ أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار وفي سهل أم في جبل، وكان يقول: والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً.

ولم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلاّ عليّ بن أبي طالب.

وناهيك بفضائله ما اشتهر به من براعته في الشجاعة والعلوم واهتمامه بنصرة الحقّ وإظهار شعائر الإسلام، ومناقبه وماله من المفاخر يخرج في التعداد عن حصر الحاصر، وذلك ممّا يطول ذكره.

*** شهادة الرسول له بالفضل ودعاؤه له بالهداية والتثبيت:**

ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعليّ بن أبي طالب، من ذلك ما ورد عن سهل بن سعد قال: قال النبيّ ﷺ يوم خيبر: «**لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله**»، فبات الناس ليلتهم أيّهم يعطى، فغدوا كلّهم

---

(١) فعن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ رفيقين في غزوة ذات العشيرة، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا أناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي عليّ: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثمّ غشينا النوم، فانطلقت أنا وعليّ فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فنمنا فوالله ما أهبّنا إلاّ رسول الله ﷺ يحرّكنا برجله وقد تتربّنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب (أخرجه أحمد في مسند الكوفيين).

يرجوه، فقال: أين عليّ، فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه، فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل ساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم(١).

قال عليّ: فما رمدت منذ تفل النبيّ ﷺ في عيني(٢).

ولمّا خرج الرسول الأكرم ﷺ إلى تبوك استخلف عليّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء، قال: «**ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي**»(٣)، وفي رواية: «**غير أنّه لا نبيّ بعدي**»(٤).

ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية، دعا رسول الله ﷺ عليّا وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «**اللّهمّ هؤلاء أهلي**»(٥).

وعن أبي سرحة أو زيد بن أرقم ـ شكّ الراوي ـ أنّ الرسول ﷺ قال: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**»(٦)، وفي رواية بزيادة: «**اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه**»(٧).

وعن عليّ قال بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء، قال: فضرب بيده في صدري ثمّ قال: «**اللّهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه**» قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين(٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير.
(٢) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.
(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وابن ماجة في سننه، المقدّمة.
(٧) أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة.
(٨) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام.

وعن زر بن حبيش قال: قال عليّ: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأميّ ﷺ إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق(١).

ولذلك ورد عن أبي سعيد الخدري قوله: إنّا كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب(٢).

* **شهادة الصحابة والتابعين له بالفضل والعلم والسبق:**

عن عبدالله بن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: أقضانا عليّ(٣)، وكان ابن عباس يقول: إذا حدّثنا الثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها، وقال: أعطي عليّ ـ رضي الله عنه ـ تسعة أعشار العلم وإنّه لأعلمهم بالعشر الباقي.

وقال ابن مسعود: كنّا نتحدّث أنّ أقضى **أهل المدينة** عليّ، وقال: أفرض **أهل المدينة** وأقضاها عليّ بن أبي طالب.

وذكر عليّ عند عائشة فقالت: أمّا إنّه أعلم من بقي بالسنّة، وفي رواية: أمّا إنّه أعلم الناس بالسنّة.

وعن شريح بن هانىء قال: سئلت عائشة عن المسح على الخفّين فقالت: ائت عليّا فإنّه أعلم بذلك منّي(٤).

وروى الحسن قال: جمع عمر أصحاب النبيّ ﷺ ليستشيرهم وفيهم عليّ، فقال: قل فأنت أعلمهم وأفضلهم.

وقال عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة: كان لعليّ ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والعهد برسول الله ﷺ، والفقه في السنّة، والنجدة في الحرب، والجود في المال.

---

(١) أخرجه مسلم في سننه، كتاب الإيمان، وابن ماجة في سننه، المقدّمة.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة.

وقال مسروق: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة وعالم بالشام وعالم بالعراق، **فعالم المدينة عليّ بن أبي طالب** ، وعالم العراق عبدالله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة ولا يسألهما.

والملاحظ أنّ في قول ابن مسعود: عليّ أقضى أهل المدينة وأفرض أهل المدينة وكذلك في قول مسروق: عليّ عالم أهل المدينة، يضع القارىء أمام تساؤل: لم جعلنا عليّا من أصول مدرسة الكوفة ولم نجعله من أصول مدرسة المدينة؟ وللإجابة على ذلك نقول:

إنّ الإمام عليّاً قد استقرّ منذ هجرته بالمدينة ولازم الرسول، ولم يتغيّب عنه إلاّ خلال الفترة التي قضّاها باليمن في البعثة التي أرسله فيها الرسول الأكرم، ثمّ في عهد الخلفاء الثلاثة الذين كانوا قبله قد لازم المدينة، وكان لهم خير مرشد وموجّه ومفت.

ولمّا آلت الخلافة إليه سنة ٣٥هـ اتّجه إلى الكوفة التي فقدت منذ ثلاث سنوات ـ أي سنة ٣٢هـ ـ رأس الفتوى بها والركن المتين لمركز الكوفة الفقهي ألا وهو عبدالله بن مسعود.

وفي هذا المركز الجديد تولّى الإمام عليّ تسيير شؤون المسلمين وقيادة الأمّة، والتصدّي للمعضلات لسنوات خمس لم تكتمل.

غير أنّ تلك السنوات الخمس الأخيرة التي قضّاها بالكوفة مع ثلّة من الصحابة الذين أخلصوا في صحبته من أمثال عمّار بن ياسر وسلمان الفارسي، ومع من وجد من أتباع ابن مسعود من أمثال عبيدة بن عمرو السلماني الذي كان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون ثمّ اشتهر بعد مقدم عليّ بصحبته، لا شكّ أنّ تلك السنين قد أينعت وأثمرت ورسّخت في أعلام هذه المدرسة الجديدة المنهج الاجتهادي القياسي الذي كان يتّصف به الإمام عليّ فضلاً عمّا كانوا قد حذقوه عن ابن مسعود أفقه أصحاب رسول الله.

وبمقابل هذا الرسوخ والتمكين لمنهج عليّ الاجتهادي بمدرسة

الكوفة، فإنّ تأثيره بمدرسة المدينة قد عرف فتوراً نظراً لازدحام مدينة الرسول بأعلام الصحابة الذين كانوا يقومون على الفتوى، وبغياب عليّ بن أبي طالب تلك السنوات الخمس بالكوفة ثمّ وفاته المبكّرة قد أضاع حبل الوصل مع تلاميذ هذه المدرسة، في حين أنّ زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعائشة أمّ المؤمنين وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري الذين قادوا مسيرة هذه المدرسة الأثريّة قد طال بهم العهد بالمدينة ولم ينقطع حبل التواصل بينهم وبين تلامذتها فلذلك عدّ هؤلاء أصولها وأساسها.

ويؤيّد هذا المعنى ما ورد عن الإمام مالك رضي الله عنه الذي ورث علم أهل المدينة حين سئل: لم لم نر في كتابك ذكراً لعليّ وابن عبّاس، فقال: لم يكونا ببلدي ولم ألق رجالهما.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

إنّ خطب عليّ بن أبي طالب ومواعظه ووصاياه كثيرة مشهورة يطول الحديث بذكرها ويعزّ حصرها، ومنها قوله: يا حملة القرآن اعملوا به، فإنّما العالم من علم ثمّ عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتّى إنّ الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولائك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله.

وكان يقول: التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشدّ من العجب.

وكان يقول: جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنقص في اللذّة، قيل: وما النقص في اللذّة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلاّ جاءه ما ينغّصه إيّاها.

ومن وصاياه للحسن قوله: يا بنيّ احفظ عنّي أربعاً وأربعاً، قال: وما هنّ؟ قال: أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة

العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق، قال فالأربع الأخر؟ قال: إيّاك ومصاحبة الأحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة الكذّاب فإنّه يقرّب إليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإيّاك ومصادقة البخيل فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه.

وكان يقول: خمس خذوهنّ عنّي: لا يخافنّ أحد منكم إلاّ ذنبه ولا يرجو إلاّ ربّه ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلّم ولا يستحي من لا يعلم إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم، وإنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان، وإذا ذهب الرأس ذهب الجسد.

ويقول: الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة الله ولم يرخّص لهم في معاصي الله ولم يؤمنّهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره لأنّه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم معه ولا قراءة لا تدبّر فيها.

ويقول: تعلّموا العلم تعرفوا به، واعملوا تكونوا من أهله، فإنّه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحقّ تسعة أعشاره، وإنّه لا ينجو منه إلاّ كلّ أوّاب منيب.

وقال ضرار الصدائي: أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير، آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

ووصف ضرار الصدائي عليّا فقال: كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا زهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان

غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يعظّم أهل الدين ويقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

وسئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن عليّ بن أبي طالب فقال: كان عليّ والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه وربّاني هذه الأمّة، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ﷺ، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة.

استشهد رضي الله عنه صبيحة ليلة الجمعة ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ، وصلّى عليه ابنه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثّته، وقبره الآن معروف في مدينة النجف، وهو مزار للشيعة.

ومن هذه المدرسة تخرّج الكثير من كبار التابعين الذين كانوا سرج الكوفة، يستفتيهم الناس ويقصدونهم لتلقّي شتى العلوم، على مرأى ومسمع من كبار الصحابة الذين كانوا يسكنون الكوفة، حتّى عدّ بعضهم ستّين شيخا في الكوفة من أصحاب عبدالله بن مسعود، وفيهم قال الشاعر:

وابن مسعود الذي سرج القرية أصحابه ذوو الأحلام

ومن أشهر هؤلاء الأعلام:

*** ١ *: علقمة النخعي**[1]:

هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبدالله بن علقمة النخعي (٦٢هـ)

---

(١) البداية والنهاية ٢١٧/٨، تذكرة الحفّاظ ٤٨/١، مرآة الجنان ١٦٩/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٩.

الكوفي، من أكابر أصحاب عبدالله بن مسعود وعلمائهم.

كان فقيهاً بارعاً طيّب الصوت بالقرآن، ثبتاً فيما ينقل، صاحب خير وورع، وكان شبيه ابن مسعود في هديه ودلّه وسمته وفضله.

سمع من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وعليّ بن أبي طالب وأبي الدرداء، وجوّد القرآن على ابن مسعود، وتفقّه به، وكان من أنبل أصحابه حتّى قال فيه ابن مسعود: ما أقرأ شيئاً ولا أعلم شيئاً إلاّ وعلقمة يقرؤه ويعلمه.

وكان غير واحد من الصحابة يستفتونه، فقد ورد عن قابوس بن أبي ظبيان قال: قلت لأبي: كيف تأتي علقمة وتدع أصحاب محمد ﷺ؟ قال: يا بنيّ إنّ أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألونه، وكانت وفاته سنة ٦٢هـ.

*** ٢ *: مسروق الهمداني[1]:**

هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني (٦٣هـ) الفقيه العابد، صاحب ابن مسعود وأعلم أهل الكوفة بالفتوى.

أخذ عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود، وكان مشهوراً بالعبادة، فكان يصلّي حتّى تورّم قدماه، وحجّ فما نام إلاّ ساجداً.

شهد له الصحابة والتابعون وأتباعهم بالفضل والعلم، فكان الإمام عليّ يقول: يا أهل الكوفة لن تعجزوا أن تكونوا مثل الهمداني - مسروق بن الأجدع - والسلماني - عبيدة بن عمرو - إنّهما شطر لرجل.

وكان الشعبي يقول: ما علمت أحداً أطلب للعلم من مسروق، ويقول علي بن المديني: ما أقدّم على مسروق أحداً من أصحاب عبدالله بن مسعود.

---

(١) مرآة الجنان ١/١٧٠، شذرات الذهب ١/١٢٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٩، تذكرة الحفّاظ ١/٤٩.

توفّي مسروق سنة ٦٣هـ.

*** ٣ *: عبيدة بن عمرو السلماني[١]:**

هو أبو عمرو عبيدة بن عمرو ـ وقيل بن قيس ـ السلماني المرادي الكوفي (٧٢هـ) الفقيه المفتي، تفقّه بعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود.

كان يقال: ليس بالكوفة أعلم بالفريضة من عبيدة والحارث الأعور، وكان يجلس في المسجد فإذا ورد على شريح القاضي فريضة فيها حدّ رفعها إلى عبيدة ففرض.

وكان القاضي شريح كلّما أشكل عليه أمر كتب إلى عبيدة فيه، وانتهى إلى قوله.

وقد شهد له الإمام عليّ بالفضل فقال: يا أهل الكوفة لن تعجزوا أن تكونوا مثل الهمداني ـ مسروق بن الأجدع ـ والسلماني ـ عبيدة بن عمرو ـ إنّهما شطر لرجل.

توفّي سنة ٧٢هـ وقيل ٧٣هـ وقيل ٧٤هـ.

*** ٤ *: الأسود النخعي[٢]:**

هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي (٧٥هـ) الفقيه العابد ابن أخي علقمة بن قيس النخعي ـ الذي تقدمت ترجمته ـ، من كبار التابعين، ومن أعيان أصحاب عبدالله بن مسعود، ومن كبار أهل الكوفة.

كان مشهوراً بالعبادة وكثرة الصلاة والصيام، حتّى أنّ معاوية بن أبي سفيان استسقى به، فقال: اللّهمّ إنّا نستسقي بخيرنا وأفضلنا الأسود بن يزيد، ثمّ قال: ارفع يديك، فرفع يديه، فدعا، فسقوا.

---

(١) مرآة الجنان ١٧٩/١، شذرات الذهب ١٤٤/١، البداية والنهاية ٣٢٨/٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٩ ـ ٨٠، البداية والنهاية ٣٢٨/٨.

(٢) البداية والنهاية ١٢/٩، مرآة الجنان ١٨٦/١ ـ ١٨٧، شذرات الذهب ١٥٢/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٩.

وكانت السيّدة عائشة أمّ المؤمنين تقول: ما بالعراق رجل أكرم عليّ من الأسود، وقيل للإمام الشعبي: أيّهما أفضل: علقمة أو الأسود؟ قال: كان علقمة مع البطيء، والأسود يدرك السريع.

توفّي سنة ٧٥هـ.

*** ٥ *: شريح القاضي[١]:**

هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي (٧٨هـ) القاضي المشهور، استقضاه عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة، وبقي قاضيا عليها في عهد عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب، بحيث قيل إنّه مكث قاضيا نحو سبعين سنة، ثمّ استعفى عن القضاء قبل موته بسنة فأعفاه الحجّاج.

ويحكى في سبب توليته القضاء أنّ عمر بن الخطّاب اشترى فرساً من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك، فقال: لا، قال: فاجعل بيني وبينك حكما، قال الرجل: نعم، شريح، قال عمر: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي، قال: فانطلقا إليه فقصّا عليه القصّة، فقال شريح: يا أمير المؤمنين ردّ كما أخذت أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: وهل القضاء إلاّ هذا؟ سر إلى الكوفة فقد ولّيتك قضاءها، فإنّه لأوّل يوم عرفه يومئذ.

كان فقيهاً نبيهاً شاعراً محسناً صاحب مزاح، ومن مزحه أنّه دخل عليه عديّ بن أرطأة فقال له: أين أنت أصلحك الله؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: اسمع منّي، قال: قل أسمع، قال: إنّي رجل من الشام قال: مكان سحيق، قال: وتزوّجت عندكم، قال: بالرفاه والبنين، قال: وولدت غلاما، قال: ليهنك الفارس، قال: وأردت أن أرحلها، قال: الرجل أحقّ بأهله، قال: وشرطت لها دارها، قال: الشرط أملك، أو قال المؤمنون عند شروطهم، قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فعلى من

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٠، مرآة الجنان ١٨٩/١، شذرات الذهب ١٥٨/١، البداية والنهاية ٢٢/٩ ـ ٢٥.

فعلت؟، قال: ابن أمّك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وكان أعلم الناس بالقضاء، له فيه دربة بالغة، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل وإصابة، وممّا يحكى في ذلك أنّ عليّ بن أبي طالب دخل على شريح مع خصم له ذمّي، فقام له شريح، فقال له عليّ كرّم الله وجهه: هذا أوّل جورك، فقال شريح: لو كان خصمك مسلما لما قمت لك، وجوهر القضيّة أنّ عليّ بن أبي طالب ادّعى على الذمّي درعا سقطت منه، فقال للذمّي: ما تقول؟ فقال: الدرع درعي وبيدي، فقال شريح لعليّ: ألك بيّنة أنّها سقطت منك؟ قال: نعم، فأحضر كلاّ من الحسن وعبده قنبر، فقال شريح: قبلت شهادة قنبر، ورددت شهادة الحسن، فقال عليّ: ثكلتك أمّك أما بلغك أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة**»[1] فقال شريح: اللّهمّ نعم، غير أنّي لا أجيز شهادة الولد على والده، ثمّ قال لليهودي: خذ الدرع، هي لك، فقال اليهودي متعجّباً: قاضي المسلمين يحكم على أمير المؤمنين؟ أشهد أنّ الدرع لعليّ وأنّ دينكم هو الحقّ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، فأهدى عليّ عند ذلك الدرع لليهودي فرحا بإسلامه[2].

وروي أنّ عليّ بن أبي طالب جمع علماء الكوفة في رحبة المسجد، فقال لهم: إنّي أوشك أن أفارقكم، وجعل يسائلهم، ما تقولون في كذا، ما تقولون في كذا؟ ففرغ من جميعهم، وبقي شريح فلمّا فرغ منه قال: اذهب فأنت من أفضل الناس أو قال: فأنت من أفضل العرب.

وقيل لشريح: بأيّ شيء أصبت هذا العلم؟ قال: بمعاوضة العلماء، آخذ منهم وأعطيهم.

توفّي بالكوفة سنة ٧٨هـ وقيل بعد ذلك، وعاش أكثر من مائة سنة.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وابن ماجة في سننه، المقدّمة.

(٢) شذرات الذهب ١/١٥٩.

*** ٦ *: الحارث الأعور[١]:**

هو الحارث بن قيس الأعور، كان فقيهاً فرضيّا، يقال: ليس بالكوفة أحد أعلم بفريضة من عبيدة بن عمرو والحارث الأعور.

وقال محمد بن سيرين: أدركت الكوفة وبها أربعة ممّن يعد بالفقه، فمن بدأ بالحارث ثنّى بعبيدة، ومن بدأ بعبيدة ثنّى بالحارث، وعلقمة الثالث، وشريح الرابع.

وكان ابن سيرين يقول أيضاً: إنّ أربعة أدناهم شريح لخيار.

*** ٧ *: زرّ بن حبيش[٢]:**

هو زر بن حبيش الأسدي (٨٢هـ) من كبار التابعين الذين أدركوا الجاهليّة، ولم يروا النبيّ ﷺ.

روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي ذرّ الغفاري وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمٰن بن عوف وحذيفة بن اليمان وأبيّ بن كعب وغيرهم.

وروي عنه أنّه قال: خرجت من الكوفة في وفد ما لي همّ إلاّ لقاء أصحاب محمد ﷺ، فلقيت عبدالرحمٰن بن عوف وأبيّ بن كعب فجالستهما.

كان من أعلم الناس بلسان العرب، حتى قيل إنّ عبدالله بن مسعود كان يسأله عن العربيّة.

توفي سنة ٨٢هـ وقيل في التي بعدها، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة.

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٠.

(٢) الإصابة ٥٧٧/١.

*** ٨ *: عبدالرحمٰن بن أبي ليلى[١]:**

هو عبدالرحمٰن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (٨٣هـ) الفقيه المقرىء، روى عن الصحابة، وقيل إنّه أخذ عن مائة وعشرين، منهم عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب وغيرهما، وأخذ القرآن عن عليّ بن أبي طالب.

قال محمد بن سيرين: رأيت أصحابه يعظّمونه كأنّه أمير.

خرج مع عبدالرحمٰن بن محمد بن الأشعث أيّام ولاية الحجّاج على الكوفة فضرب عنقه بين يديه صبرا سنة ٨٣هـ وقتل في تلك السنة من أعيان الكوفة وعلمائها مثل ما قتل يوم الجمل.

*** ٩ *: قيس بن أبي حازم[٢]:**

هو قيس بن أبي حازم البجلي الأحمسي (٨٤هـ) أحد علماء الكوفة وروّاتها، وقدماء التابعين، أسلم في عهد الرسول ﷺ وهاجر إلى المدينة لكنّ الرسول الأكرم قبض قبل أن يلقاه، فقد روي عنه أنّه قال: أتيت النبيّ ﷺ، لأبايعه فجئت وقد قبض وأبو بكر قائم على المنبر في مقامه فأطاب الثناء وأكثر البكاء.

روى عن كبار الصحابة، ويقال أنّه لم يرو عن العشرة جميعا غيره، وروى أيضاً عن بلال بن رباح ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد وابن مسعود حتى قيل: ما بالكوفة أحد أروى عن الصحابة من قيس.

توفّي سنة ٨٤هـ وقيل بعد ذلك.

هؤلاء هم أعلى وأنبل الشيوخ من أصحاب عبدالله بن مسعود وعليّ بن أبي طالب، وأوّل طبقة من كبار التابعين الذين كانوا يفتون في

---

(١) شذرات الذهب ١٧١/١، البداية والنهاية ٥٢/٩، مرآة الجنان ٢٠١/١، شذرات الذهب ١٧١/١، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٩٣/٥.
(٢) الإصابة ٢٧١/٣ ـ ٢٧٢.

مسائل الدين والأكابر من أصحاب الرسول الأكرم ﷺ، حاضرون ويجيزون لهم ذلك.

وعن هؤلاء الأعلام من كبار التابعين بالكوفة تلقّى جماعة من التابعين الذين لم يدركوا عبدالله بن مسعود ـ لتقدّم وفاته ـ ولكنّهم أدركوا مع ذلك المنزلة العليا في سعة العلم والقدرة على الاجتهاد، وأشهرهم:

**ـ ١ ـ سعيد بن جبير[(١)]:**

هو أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام (٩٥هـ) الكوفي المقرىء المفسّر الفقيه المحدّث.

ورغم أنّ سعيد بن جبير معدود في أعلام التابعين المنتمين إلى مدرسة الكوفة إلاّ أنّه قد أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر، وكانت أكثر روايته عن عبدالله بن عباس، وأجاز له في حياته أن يحدّث، فقال سعيد: أحدّث وأنت ها هنا، فقال ابن عباس: أليس من نعمة الله عليك أن تحدّث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علّمتك، فحدّث في حياته بإذنه، وكان سعيد لا يكتب الفتاوى مع ابن عباس، فلمّا عمي ابن عبّاس كتب، وسمع منه التفسير.

تنقّل سعيد بن جبير في البلاد هربا من بطش الحجّاج بن يوسف الثقفي، فدخل أصبهان وأقام بها مدّة، ثمّ ارتحل منها إلى العراق، وكان يتردّد في كلّ سنة إلى مكّة مرّتين، مرّة للعمرة ومرّة للحجّ.

وروي أنّه لمّا كان بأصبهان كان الناس يسألونه عن الحديث، فلا يحدّث، ثمّ لمّا رجع إلى الكوفة حدّث فلمّا قيل له في ذلك، قال: انشر بزّك حيث تعرف.

ولجأ آخر الأمر إلى مكّة فأقام بها، فأشار من أشار عليه بالهرب منها

---

(١) مرآة الجنان ٢٢٥/١، شذرات الذهب ١٩٨/١ ـ ١٩٩، البداية والنهاية ٩٦/٩ ـ ٩٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٢.

فقال سعيد: والله لقد استحييت من الله ممّا أفرّ ولا مفرّ من قدره.

استمرّ سعيد بن جبير على هذا الحال ما يقرب من اثنتي عشرة سنة، فكان علمه موزّعا بين أهل مكّة وأهل الكوفة.

ونظرا لهذه المدّة الطويلة التي قضّاها سعيد بن جبير مختفياً من الحجّاج وأعوانه، فقد أهمّه ما يحمله من علم واسع لا يستطيع تبليغه في كلّ آن، ولذلك فقد روي عنه أنّه كان يقول: إنّ ممّا يهمّني ما عندي من العلم، وددت أنّ الناس أخذوه.

شهد له حبر الأمّة عبدالله بن عباس بالعلم والقدرة على الإفتاء، فكان ابن عبّاس إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه، يقول: يسألونني وفيهم ابن أمّ دهماء؟ - يعني سعيد بن جبير - وقال خصيف بن عبدالرحمٰن الجزري: كان أعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيّب، وأعلمهم بالحجّ عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس، وأعلمهم بالتفسير مجاهد، وأجمعهم لذلك كلّه سعيد بن جبير.

وكان سعيد بن جبير مع علمه الواسع مشهورا بالصلاح، معروفا بإتقانه للقرآن، فقد روي أنّه قرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام، وكان يؤمّ الناس في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة أخرى، وهكذا أبدا.

وبعد ما يقرب من اثنتيْ عشرة سنة من التخفّي استطاع الحجّاج أن يظفر بسعيد بن جبير[1] فقتله وما على وجه الأرض أحد إلاّ وهو محتاج ومفتقر إلى علم سعيد.

---

(١) حيث أرسل الحجّاج إلى والي المدينة خالد بن عبدالله القسري يخبره أنّ بمكّة أقواما من أهل الشقاق، فعزم خالد أن يبعث بسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وطلق بن حبيب، وكلّهم من خيار الناس وأعلام التابعين، ومن العلماء العاملين الذين كرهوا ظلم الحجّاج وبطشه بالناس، ثمّ عفا خالد عن عطاء وعمرو بن دينار لأنّهما من أهل مكّة، وبعث بالثلاثة الباقين، فأمّا طلق بن حبيب فمات في الطريق قبل أن يصل، وأمّا مجاهد فحبس وبقي في السجن=

ومن مناقب سعيد بن جبير التي تدلّ على ثباته على الحقّ، ما رواه لنا المؤرخون وأصحاب الطبقات ممّا جرى بينه ـ وهو يومئذ أعلم أهل الأرض وأصلحها ـ، وبين الحجّاج بن يوسف ـ وهو يومئذ أطغى أهل الأرض وأعظمها ظلما ـ نوردها بنصّها:

لمّا دخل سعيد بن جبير على الحجّاج قام بين يديه، فقال له: أعوذ منك بما استعاذت به مريم بنت عمران حيث قالت ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾[1].

فقال له الحجّاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: بل أنت شقيّ بن كسير، قال: أمّي أعلم باسمي، قال: شقيت وشقيت أمّك، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال: لأوردنّك حياض الموت، قال: أنا إذا كما سمّتني أمّي سعيدا، قال: ما تقول في عبدالملك بن مروان؟، قال: ما لك تسألني عن امرىء أنت واحدة من ذنوبه؟.

قال: ويلك، قال: الويل لمن زحزح عن الجنّة وأدخل النار، قال: ويحك، إنّي قاتلك، قال: إنّ الله عزّ وجلّ قد وقّت لي وقتا أنا بالغه، فإن يكن أجلي قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص ساعة، وإن تكن العافية فالله تعالى أولى بها، قال: لأبدلنّك بالدنيا نارا تلظّى، قال: لو علمت أنّ ذلك بيدك لاتخذتك إلها.

قال: اذهبوا به فاقتلوه، قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله، خذها منّي يا حجّاج حتى ألقاك يوم

---

= حتى مات الحجّاج، وأمّا سعيد بن جبير فأمر الحجّاج بقتله فلم يلبث بعده إلاّ قليلا وعوجل بالعقوبة، فكان إذا نام يرى سعيد في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدوّ الله فيم قتلتني؟ فيقول الحجّاج: ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير؟ وكان موت الحجاج بالأكلة في بطنه، والبرد في جسمه فكان يوقد النار تحته حتى تحرق ثيابه، فشكا إلى الحسن البصري، فقال له: ألم أكن نهيتك أن تتعرّض للصالحين فلججت؟ وأقام الحجاج على هذه الحال بعلّته تلك خمسة عشر يوماً ثمّ أخذه الله، (البداية والنهاية ٩/٩٦ ـ ٩٧، شذرات الذهب ١/١٩٨).

(١) سورة مريم، الآية: ١٨.

القيامة بين يدي الله، فلمّا تولّوا به ليقتلوه ضحك سعيد، فقال الحجّاج: ارجعوا به، ثمّ قال له: ما أضحكك؟، قال: عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله جلّ وعلا عليك، ثمّ استقبل القبلة وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]، قال الحجّاج: حوّلوا وجهه عن القبلة، قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[٢]، قال: اضربوا به الأرض، وفي رواية قال: اجلدوا به الأرض، قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[٣]، قال: اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم، قال: اللّهمّ لا تسلّطه على أحد بعدي، أو قال: ولا تمهله من بعدي.

وذبح سعيد رحمه الله من قفاه، فعوقب الحجّاج بعده وعوجل بالعقوبة ولم يلبث إلاّ أيّاما ثمّ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر[٤].

واختلفوا في عمر سعيد حين قتل، فقيل تسعا وأربعين سنة، وقيل سبعا وخمسين سنة، كما اختلفوا في سنة وفاته فقيل سنة ٩٥هـ وقيل في التي قبلها.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: إنّ أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته، وتحملك على طاعته، فتلك هي الخشية النافعة.

وكان يقول: الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر للّه، وإن كثر منه التسبيح وقراءة القرآن.

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٧٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٣) سورة طه، الآية: ٥٥.
(٤) وقد ذكر المؤرخون روايات كثيرة في صيغة الحوار الذي دار بين سعيد بن جبير والحجاج (البداية والنهاية ٩٨/٩ ـ ٩٩، مرآة الجنان ٢٢٥/١ ـ ٢٢٦، شذرات الذهب ١٩٩/١ ـ ٢٠٠).

وسئل: من أعبد الناس؟ فقال: رجل اقترف من الذنوب، فكلّما ذكر ذنبه احتقر عمله.

**- ٢ - إبراهيم النخعي[١]:**

هو الإمام الجليل أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة النخعي (٩٥هـ) فقيه العراق بالاتّفاق.

أخذ العلم عن خاله علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد بن قيس النخعي، ومسروق، وأدرك أمّ المؤمنين عائشة وهو صغير.

نشأ في أهل بيت فقه، فأخذ فقههم ثمّ جالس أعلام العراق فأخذ صفو حديثهم إلى فقه أهل بيته، فلم يكن أحد مثله، حتى قال عبدالرحمٰن بين زيد بن أسلم: إبراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة.

وقال الشعبي حين بلغه موت إبراهيم النخعي: ما خلف بعده مثله.

ولمّا حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا، فقيل له في ذلك، فقال: وأيّ خطر عظيم ممّا أنا فيه؟ أنا أتوقّع رسولا يرد عليّ من ربّي إمّا بالجنّة أو بالنار.

وفي رواية أنّه بكى عند موته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: انتظار ملك الموت، ما أدري يبشّرني بجنّة أو بنار.

توفّي سنة ٩٥هـ وقيل سنة ٩٦هـ، وصلّى عليه ابن خاله عبدالرحمٰن بن الأسود بن يزيد.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان إبراهيم النخعي يقول: لا يستقيم رأي إلاّ برويّة، ولا رويّة إلاّ برأي، ويقول: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك من

---

(١) تذكرة الحفّاظ ١/٧٤، مرآة الجنان ١/٢٢٦، شذرات الذهب ١/٢٠١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٢، إعلام الموقعين ١/٢٢، البداية والنهاية ٩/١٤٠.

فلاحه، ويقول: إنّي لأرى الشيء ممّا يعاب فلا يمنعني من عيبه إلاّ مخافة أن ابتلى به.

وقال مرّة يعظ الناس: كنّا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميّت عرف ذلك فينا أيّاماً لأنّا قد عرفنا أنّه نزل به أمر صيّره إلى الجنّة أو إلى النار، وإنّكم تتحدّثون في جنازتكم بأحاديث دنياكم.

**- ٣ - عامر الشعبي[١]:**

هو أبو عمرو عامر بن شراحبيل بن معبد الشعبي (١٠٤هـ) تابعي جليل القدر وافر العلم، علاّمة أهل الكوفة، كان إماماً حافظاً، وكان ذا أدب وافر وعقل فاخر.

أدرك أكثر من خمسمائة من الصحابة، وروى عن جمع منهم وعن كثير من التابعين.

كانت لديه ذاكرة قويّة وكان آية في الحفظ والضبط حتّى كان يقول عن نفسه: ما أودعت قلبي شيئاً فخانني قطّ، وكان يقول أيضاً: ما كتبت سوداء في بيضاء إلاّ حفظتها.

وكان يستفتى وأصحاب النبيّ ﷺ بالكوفة.

وكان مزاحاً - شأنه في ذلك شأن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي -[٢]، فقد روي أنّ الشعبي قال لخيّاط مرّ به: عندنا حبّ مكسور تخيطه؟ فقال له: نعم، إن كان عندك خيط من ريح.

ودخل رجل على الشعبي، ومعه في البيت امرأة، فقال: أيّكما الشعبي؟ فقال: هذه.

---

(١) مرآة الجنان ٢٤٤/١ - ٢٤٧، البداية والنهاية ٢٣٠/٩ - ٢٣١، شذرات الذهب ٢٢٨/١ - ٢٢٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨١.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٢٠١/١.

*** شهادة الصحابة والتابعين وأتباعهم له بالعلم والفقه:**

روي أنّ عبدالله بن عمر بن الخطّاب مرّ بالشعبي وهو يحدّث بالمغازي، فقال: شهدت القوم وأنّه أعلم بها منّي، وقال مكحول: ما رأيت أحداً أعلم بسنّة ماضية من عامر الشعبي.

وقال ابن شهاب الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيّب بالمدينة، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

وقال عليّ بن المديني: ابن عبّاس في زمانه، والشعبي في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه.

وقال بعضهم: ما رأيت أفقه من الشعبي.

وقال أشعث بن سوار: نعى إلينا الحسن البصري عامر الشعبي، فقال: كان والله فيما علمت كثير العلم، عظيم الحلم، قديم السلم، من الإسلام بمكان.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: إنّما الفقيه من تورّع عن محارم الله، والعالم من خاف الله تعالى، ويقول: اتّقوا القاصر - أو قال الفاجر - من العلماء، والجاهل من المتعبّدين.

وكان يقول: رأس العلم إذا سئلت عمّا لا تعلم أن تقول: الله أعلم.

توفّي سنة ١٠٤هـ وقيل في التي قبلها، وقيل في التي بعدها.

ثمّ نقل علم هؤلاء التابعين وغيرهم جماعة من أعلام أحداث التابعين، أشهرهم:

**ـ ٤ ـ الحكم بن عتيبة[١]:**

هو أبو محمد الحكم بن عتيبة بن النهاس الكوفي (١١٥هـ) الفقيه النبيه شيخ الكوفة، ولد هو وإبراهيم النخعي في ليلة واحدة، لكنّه تفقه بإبراهيم.

كان صاحب سنّة واتّباع، وما كان بالكوفة مثله.

كان جليلاً عظيم القدر، إذا قدم المدينة أخلوا له سارية النبيّ ﷺ يصلّي إليها.

قال مجاهد بن رومي: ما كنت أعرف فضل الحكم إلاّ إذا اجتمع علماء الناس في مسجد منى، نظرت إليهم عيال عليه.

ويشهد لهذا ما روي عن الإمام الأوزاعي أنّه قال: قال لي يحيى بن أبي كثير ـ وفي رواية عبدة بن أبي لبابة ـ ونحن بمنى، لقيت الحكم بن عتيبة؟ قال: قلت لا، قال: ما بين لابتيها أفقه منه، قال: وبها عطاء بن أبي رباح وأصحابه، وكانت وفاته سنة ١١٥هـ.

**ـ ٥ ـ حمّاد بن أبي سليمان[٢]:**

هو فقيه الكوفة أبو إسماعيل حمّاد بن أبي سليمان (١٢٠هـ) مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري.

تفقّه بإبراهيم النخعي، وروى عن الصحابي أنس بن مالك وعن التابعي الجليل سعيد بن المسيّب وغيرهما، وكان جوّاداً سريّاً محتشماً صدوق اللسان.

قيل لإبراهيم النخعي: ما لنا بعدك؟ فقال: حمّاد، وكان سفيان بن

---

(١) شذرات الذهب ٢٦٣/١، تذكرة الحفاظ ١١٧/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٢ ـ ٨٣، مرآة الجنان ٢٧٦/١.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٣، مرآة الجنان ٢٨٢/١، شذرات الذهب ٢٧٤/١، تذكرة الحفاظ ١١٧/١.

عيينة يقول: ما كان بالكوفة مثل الحكم بن عتيبة وحمّاد بن أبي سليمان.

توفّي سنة ١٢٠هـ وقيل في التي قبلها.

**ـ ٦ ـ حبيب بن أبي ثابت[١]:**

هو حبيب بن أبي ثابت (١١٩هـ)، فقيه الكوفة ومفتيها مع حمّاد بن أبي سليمان، سمع من عائشة أمّ المؤمنين، وروى عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك وأبي عبدالرحمٰن السلمي وأبي وائل وسعيد بن جبير وغيرهم.

وكان أبو بكر ابن عيّاش يقول: ثلاثة ليس لهم رابع: حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة وحمّاد بن أبي سليمان.

وكان حبيب بن أبي ثابت يقول: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً، عطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر.

توفّي سنة ١١٩هـ وقيل سنة ١١٧هـ.

**ـ ٧ ـ المغيرة بن مقسم[٢]:**

هو المغيرة بن مقسم الضبّي (١٣٣هـ) الفقيه الكوفي الأعمى، أحد الأئمّة الأعلام، كان من فقهاء أصحاب إبراهيم النخعي، وكان يسمّى: راوية إبراهيم.

كان ذكيًّا، عجباً في الذكاء، حافظاً صاحب سنّة، ويقال أنّه كان أحفظ من حمّاد بن أبي سليمان حتى إنّ المغيرة كان يقول عن نفسه: ما وقع في مسامعي شيء فنسيته، توفّي سنة ١٣٣هـ.

---

(١) تذكرة الحفّاظ ١١٦/١، مرآة الجنان ٢٨٢/١، شذرات الذهب ٢٧٣/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٣، البداية والنهاية ٢٤٥/٩.

(٢) مرآة الجنان ٣٠٤/١، شذرات الذهب ٣٢٣/١، تذكرة الحفاظ ١٤٣/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٣.

وكان بالكوفة الكثير من أحداث الأعلام من أقران هؤلاء الذين نشطوا في طلب العلم وتلّقوا عن الشعبي وإبراهيم النخعي وغيرهما، حتى يروى عن بعضهم أنّهم كانوا يجلسون بالليل يتذاكرون الفقه فربّما لا يقومون حتى يسمعوا النداء لصلاة الفجر[١]، وذلك لشدّة حرصهم على طلب العلم والترقّي فيه.

**المركز الرابع: البصرة:**

هي ثاني المراكز الفقهيّة بالعراق، بعد الكوفة، نزل بها جمع غفير من أصحاب الرسول الأكرم ﷺ، منذ تأسيسها في عهد عمر بن الخطاب، مثل عمران بن حصين وأبو برزة الأسلمي ومعقل بن يسار وعبدالرحمٰن بن سمرة وعبدالله بن الشخّير والأقرع بن حابس وغيرهم من الصحابة الذين نزلوا البصرة[٢].

وقد سمّى منهم ابن سعد في طبقاته **١٥٢** صحابيّاً[٣] غير أنّ أشهر من نزلها من الصحابة ممّن كان لهم الأثر البالغ والتأثير العميق بلا منازع، في هذا المركز الفقهي الجديد، هما أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك.

*** أبو موسى الأشعري[٤]:**

فأمّا أبو موسى الأشعري فهو عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري، واشتهر باسمه وكنيته معاً، روى عن النبيّ ﷺ وعن الخلفاء الأربعة ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب وعمّار بن ياسر.

كان ممّن بعثه الرسول ﷺ مع معاذ إلى اليمن ليعلّم الناس القرآن، فكان ممّا أوصاهما به قوله ﷺ: «**يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا وتطاوعا**

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٤.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/٧ ـ ٨٩.

(٤) الإصابة ٣٥٩/٢ ـ ٣٦٠، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٤، البداية والنهاية ٥٩/٨ ـ ٦٠، الاستيعاب ٣٧٢/٢ ـ ٣٧٣، إعلام الموقعين ١٦/١.

**ولا تختلفا»**[١].

ثمّ ولاّه عمر البصرة، فعلّم بها وفقّه أهلها، فقد روي أنّ أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر فأتيته فسألني عنه، فقلت: تركته يعلّم الناس، فقال: أمّا إنّه كيّس، فلا تسمعها إيّاه.

وكان عمر قد كتب في وصيّته: لا يقرّ لي عامل أكثر من سنة وأقرّ الأشعري أربع سنين.

فكان أبو موسى هو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم، حتى قال الحسن البصري: ما أتى البصرة راكب خير من لأهلها من أبي موسى الأشعري.

بقي أبو موسى الأشعري واليا على البصرة منذ أن ولاّه عمر بن الخطاب إلى صدر من خلافة عثمان ثمّ صرفه عنها، فنزل حينئذ أبو موسى الكوفة وسكنها، وتفقّه به أهلها حتى ولاّه عثمان عليهم.

استمرّ أبو موسى واليا على الكوفة إلى أن توفّي عثمان بن عفان، فلمّا تولّى الخلافة عليّ بن أبي طالب عزله عنها، غير أنّ أبا موسى استقرّ بالكوفة حتى توفي بها[٢].

ولذلك كان فقه أبي موسى الأشعري موزّعا بين مركزي أهل العراق، أعني مركز الكوفة ومركز البصرة.

ولقد كان رضي الله عنه من قرّاء الصحابة وفقهائهم، وكان حسن الصوت بالقرآن بل كان أحسن الصحابة صوتا في زمانه حتى إنّ الرسول ﷺ قال له: **«لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»**[٣].

وكان عمر بن الخطاب إذا رأى أبا موسى قال: ذكّرنا ربّنا يا أبا

---

(١) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، كتاب الجهاد والسير.

(٢) وقيل بل مات بمكّة بعد أن اعتزل الناس بعد حادثة التحكيم (الاستيعاب ٣٧٢/٢، البداية والنهاية ٦٠/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

موسى، فيقرأ عنده[١].

*** شهادة الصحابة والتابعين له بالفضل والعلم:**

سئل الإمام عليّ عن أبي موسى فقال: صبغ في العلم صبغة.

وقال الشعبي: قضاة هذه الأمّة أربعة: عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، وكذلك قال عليّ بن المديني.

وقال مسروق: كان العلم في ستّة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يصفهم أهل الكوفة عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وأبو موسى الأشعري وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم، وذكر عن الشعبي مثل ذلك.

وفي تاريخ وفاته خلاف كبير فقيل توفي سنة ٤٤هـ وقيل سنة ٥٠هـ وقيل ٥١ وقيل ٥٢ وقيل ٥٣، كما اختلفوا في مكان وفاته، بالكوفة أم بمكّة.

*** أنس بن مالك[٢]:**

هو أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ، من سادات الصحابة ذوي الفضائل والإنابة.

خدم النبيّ ﷺ بالمدينة وهو ابن عشر سنين، فعن ابن شهاب الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري أنّه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أمّهاتي يواظبنني على خدمة النبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن.

(٢) مرآة الجنان ٢١١/١، شذرات الذهب ١٨٧/١، الإصابة ٧١/١، البداية والنهاية ٨٩/٩ - ٩٢، إسعاف المبطأ ص ٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥١ - ٥٢، الاستيعاب ٧٣/١.

فخدمته عشر سنين[١].

كنّاه الرسول الأكرم ﷺ أبا حمزة ببقلة يجتنيها، فعن أنس قال: كنّاني رسول الله ﷺ ببقلة كنت أجتنيها[٢]، ومازحه النبيّ فقال له: «**يا ذا الأذنين**»[٣].

وكان الرسول الأكرم ﷺ يحسن صحبته، فعن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ أنسا غلام كيّس فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا؟ ولا لشيء لم أصنعه، لم لم تصنع هذا هكذا؟[٤].

*** دعاء الرسول له بكثرة المال والولد والبركة فيهما:**

عن أنس قال: قالت أمّي ـ أمّ سليم ـ يا رسول الله: خادمك أنس ادع الله له، فقال: اللّهمّ أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته[٥] قال أنس: فوالله إنّ مالي لكثير، وإنّ ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة اليوم[٦]، وقد دفن أنس لصلبه إلى مقدم الحجّاج البصرة مائة وعشرين، وكان نخله يثمر في العام مرّتين.

وعن أنس أيضاً قال: مرّ رسول الله ﷺ فسمعت أمّي أمّ سليم صوته، فقالت بأبي وأمّي يا رسول الله أنيس، فدعا لي رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البرّ والصلة وفي المناقب، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا وكتاب الديّات، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

ثلاث دعوات[١] قد رأيت منها اثنتين في الدنيا، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة[٢].

ولذلك كان أنس بن مالك يسأل الرسول الأكرم أن يشفع له يوم القيامة، فعن أنس قال: سألت النبيّ ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل**»، قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك، قال: «**اطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط**»، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: «**فاطلبني عند الميزان**» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان، قال: «**اطلبني عند الحوض فإنّي لا أخطىء هذه الثلاث المواطن**»[٣].

روى أنس عن النبيّ ﷺ أحاديث جمّة، وأخبر بعلوم مهمّة، وروى عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهم.

ويعدّ أنس بن مالك ثالث سبعة من الصحابة المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، ـ بعد أبي هريرة وعبدالله بن عمر بن الخطاب ـ وعدد ما رواه **٢٢٨٦** حديثاً[٤]، كانت إقامة أنس بعد وفاة النبيّ ﷺ بالمدينة، وقد استعمله أبو بكر ثمّ عمر على البحرين، ثمّ انتقل فسكن البصرة ومات بها.

وكان كثير العبادة حتى إنّه روي أنّه كان يصلّي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما.

*** شهادة الصحابة له بالفضل والعلم:**

قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أمّ سليم ـ يعني أنس بن مالك ـ وقال محمد بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر وفي السفر.

---

(١) أي قوله ﷺ : اللّهمّ أكثر ماله وولده وأدخله الجنّة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

(٤) تدريب الراوي ٢/٢١٧.

وقال قتادة لمّا مات أنس قال مؤرق العجلي: اليوم ذهب نصف العلم، قيل له، وكيف ذاك يا أبا المعتمر؟ قال: كان إذا خالفنا الرجل قلنا: تعال إلى من سمعه من رسول الله ﷺ.

توفّي أنس سنة ٩٣هـ وهو المشهور، وقيل قبل ذلك بسنة وقيل بسنتين وقيل بثلاث، وقد جاوز المائة، وهو آخر الصحابة موتا بالبصرة، وما بقي أحد صلّى إلى القبلتين غيره.

وإلى هذين الصحابيين، أعني أبا موسى الأشعري وأنس بن مالك يعود الأثر الأعظم والدور الأكبر في تخرّج أعلام التابعين من البصريين الذين تأسّس بهم هذا المركز الفقهي.

ولقد كان أبو موسى الأشعري أقضى من أنس، وكان أنس أكثر رواية للحديث من أبي موسى، ثمّ آلت زعامة البصرة إلى أنس بلا منازع.

ويمكن أن نرجع ذلك إلى عاملين أساسين هما:

**أوّلهما**: استقرار أنس بالبصرة بعد أن استعمله أبو بكر ثمّ عمر على البحرين، إلى حين وفاته، وهذا يعني أنّ أنساً قد قضى بالبصرة ما يقرب من سبعة عقود من حياته، في حين أنّ أبا موسى الأشعري قد استعمله عمر أوّل الأمر على الكوفة ثمّ على البصرة والياً ومعلّماً وقاضياً، ثمّ عزله عثمان عن البصرة بعد أن أقرّه عليها زمناً وولاّه الكوفة التي عزله عنها عليّ بن أبي طالب بعد ذلك، فكان فقه أبي موسى موزّعاً بين أهل الكوفة وأهل البصرة.

**ثانيهما**: تأخّر وفاة أنس بن مالك، فإنّ أنساً قد عمّر إلى سنة ٩٣هـ على رأي الجمهور فكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة، في حين توفّي أبو موسى سنة ٤٤هـ أو ٥٢هـ على المشهور، ولا شكّ أنّ هذه الفترة الفاصلة بين وفاتهما والتي تتراوح بأربعة عقود على أقل تقدير، قد كان لها العامل الأعظم في جعل أنس بن مالك زعيم هذا المركز الفقهي بلا منازع وإن كنّا لا ننفي تأثير أبي موسى في هذا المركز.

وأشهر من تخرّج بهذا المركز من أعلام التابعين:

*** ١ *: جابر بن زيد[١]:**

هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (٩٣هـ) الفقيه البصري، أسند عن جماعة من الصحابة، ومعظم روايته عن عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس.

كان من الذين أوتوا العلم، وكان يفتي في البصرة، وكان الصحابة مثل جابر بن عبدالله إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول: كيف تسألوننا وفيكم أبو الشعثاء؟ وقال له جابر بن عبدالله: يا ابن زيد إنّك من فقهاء البصرة وإنّك ستستفتى، فلا تفتينّ إلاّ بقرآن ناطق أو سنّة ماضية، فإنّك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت.

*** شهادة الصحابة والتابعين له بالعلم والفضل:**

كان عبدالله بن عباس يقول: لو أنّ أهل البصرة نزلوا على قول أبي الشعثاء لأوسعهم علماً عمّا في كتاب الله عزّ وجلّ.

وقال إيّاس بن معاوية: أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بفتيا من جابر بن زيد.

ولمّا مات جابر بن زيد ودفن، قال قتادة: اليوم دفن أعلم أهل الأرض.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان يقول: لأن أتصدّق بدرهم على يتيم ومسكين أحبّ إليّ من حجّة بعد حجّة الإسلام، وكان يقول: نظرت في أعمال البرّ فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال، والصيام مثل ذلك، والحجّ يجهد المال

---

(١) مرآة الجنان ٢١١/١، البداية والنهاية ٩٤/٩ ـ ٩٥، شذرات الذهب ١٨٨/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٨.

والبدن، فرأيت أنّ الحجّ أفضل من ذلك.

توفّي سنة ٩٣هـ وقيل سنة ١٠٣هـ.

*** ٢ *: أبو قلابة عبدالله بن زيد [١]:**

هو أبو قلابة عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي الأزدي (١٠٤هـ) الإمام البصري، طلب للقضاء فهرب وتغرّب، ثمّ نزل الشام وبها مات.

له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم.

كان من كبار الأئمّة والفقهاء وكان رأساً في العلم والعمل، ومناظرته مع علماء عصره في القسامة[٢] بحضرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز تدلّ على علم وافر وفقه واسع.

فعن أبي قلابة أنّ عمر بن عبدالعزيز أبرز سريره[٣] يوماً للناس، ثمّ أذن لهم فدخلوا، فقال: ما تقولون في القسامة؟ قال: نقول القسامة القود بها حقّ، وقد أقادت بها الخلفاء، قال لي: ما تقول يا أبا قلابة؟ ونصبني للناس ـ أي أبرزني لمناظرتهم ـ، فقلت: يا أمير المؤمنين عندك رؤوس الأجناد وأشراف العرب ـ وفي رواية وأشراف الناس ـ أرأيت لو أنّ خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنّه قد زنى لم يروه أكنت ترجمه؟ قال: لا، قلت: أرأيت لو أنّ خمسين منهم شهدوا على رجل

---

(١) مرآة الجنان ٢٤٨/١، شذرات الذهب ٢٢٦/١، البداية والنهاية ٢٣١/٩.

(٢) قال ابن منظور: القسامة: الذين يحلفون على حقّهم ويأخذون، والقسامة: الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون، ويمين القسامة منسوبة إليهم، ويقال: قتل فلان فلانا بالقسامة أي باليمين، وجاءت قسامة بني فلان، وأصله اليمين ثمّ جعل قوما (لسان العرب ـ مادة ـ قسم ـ ).

(٣) المراد بالسرير ما جرت عادة الخلفاء الاختصاص بالجلوس عليه، والمقصود أنه أخرجه إلى ظاهر الدار لا إلى الشارع، ولذلك قال: ائذن للناس (فتح الباري ٢٩٠/١٢).

بحمص أنّه سرق أكنت تقطعه ولم يروه؟ قال: لا، قلت: فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحداً قطّ إلاّ في إحدى ثلاث خصال، رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله وارتدّ عن الإسلام، فقال القوم: أو ليس قد حدّث أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قطع في السّرق وسمر الأعين ثمّ نبذهم في الشمس، فقلت: أنا أحدّثكم حديث أنس، حدّثني أنس أنّ نفراً من عكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، قال: **«أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟»** قالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحّوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأطردوا النّعم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهم، فأدركوا فجيء بهم، فأمر بهم فقطّعت أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم ثمّ نبذهم في الشمس حتى ماتوا قلت: وأيّ شيء أشدّ ممّا صنع هؤلاء؟ ارتدّوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا فقال عنبسة بن سعيد: والله إن سمعت كاليوم قطّ[1]، فقلت: أتردّ عليّ حديثي يا عنبسة؟ قال: لا ولكن جئت بالحديث على وجهه، والله لا يزال هذا الجند - أي أهل الشام - بخير ما عاش هذا الشيخ بين أظهرهم قلت وقد كان في هذا سنّة من رسول الله ﷺ[2].

* ما أثر عنه من أقوال:

كان يقول: إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة، ولا يكن همّك ما تحدّث به الناس، فلعلّ غيرك ينتفع ويستغني، وأنت في الظلمة تتعثّر.

---

(١) أي ما سمعت قبل اليوم مثل ما سمعت منك اليوم، وفي رواية: ما رأيت كاليوم قطّ، وعنبسة هذا هو الأموي أخو عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق، وجدّه العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة وكان عنبسة من خيار أهل بيته، وله روايات وأخبار مع الحجّاج بن يوسف، وقد وثّقه يحيى بن معين وغيره (فتح الباري ٢٩١/١٢ - ٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب باب القسامة من كتاب الديات.

وكان يقول: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعلّ لأخي عذراً لا أعلمه.

توفّي بالشام سنة ١٠٤هـ وقيل سنة ١٠٦هـ وقيل سنة ١٠٧هـ.

*** ٣ *: رفيع بن مهران[١]:**

هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري (١٠٦هـ) المقرىء المفسّر الذي قرأ القرآن على أبيّ بن كعب.

وأبو العالية تابعي ثقة من كبار التابعين، أدرك الجاهليّة وأسلم بعد موت النبيّ ﷺ بسنتين.

أرسل عن كثير من الصحابة منهم عبدالله بن مسعود وأبو ذرّ الغفاري وحذيفة بن اليمان وعليّ بن أبي طالب، وروى عن أبي موسى الأشعري وأبي أيّوب الأنصاري ورافع بن خديج وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم.

كان أهل العلم يقولون: أشبه رجل بالبصرة علماً بإبراهيم النخعي أبو العالية.

وكان أبو بكر بن أبي داود يقول: ليس بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير.

وفي تاريخ وفاته خلاف كبير فقيل توفي سنة ١٠٦هـ وقيل سنة ٩٣هـ وقيل غير ذلك.

*** ٤ *: الحسن البصري[٢]:**

هو الحسن بن أبي الحسن البصري (١١٠هـ) الإمام القدوة، المجمع

---

(١) مرآة الجنان ٢١٤/١، شذرات الذهب ١٨٩/١، الإصابة ١٤٤/٤، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٨.

(٢) مرآة الجنان ٢٥٧/١ ـ ٢٥٨، شذرات الذهب ٢٤٤/١ ـ ٢٤٦، البداية والنهاية ٢٦٨/٩ ـ ٢٧٢، طبقات ابن سعد ١٥٦/٧، مرآة الجنان ٢٥٧/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٧.

على جلالته وصلاحه وزهده وفضله وإمامته، إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، وأحد التابعين الكبار الأجلاء علماً وعملا وإخلاصا.

كان جامعا عالماً رفيعا فقيهاً حجّة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما، حتى قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري، وكانوا يرون أنّ تلك الحكمة والفصاحة من بركة أمّ المؤمنين أمّ سلمة، وذلك أنّ أباه كان مولى لزيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أمّه مولاة أمّ سلمة فكانت إذا غابت أمّه في حاجة فيبكي، تعطيه أمّ سلمة ثديها تعلّله به إلى أن تأتي أمّه فيدرّ عليه.

وروي أنّ أمّ سلمة أخرجته إلى عمر بن الخطاب ـ وقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ـ فدعا له فقال: اللّهمّ فقّهه في الدين وحبّبه إلى الناس، فما رئي أحد أشبه رأيا بعمر منه.

حفظ القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان لا يخرج من سورة إلى غيرها حتى يعرف تفسيرها وتأويلها، وفيما أنزلت، وكان لا يأمر بفعل حتى يفعله، ولا ينهى عن شيء حتى يدعه.

وكان إذا أقبل على القوم فكأنّه أقبل من دفن صديقه، وإذا جلس فكأنّه أسير أمر بضرب عنقه، وإذا ذكرت النار فكأنّها لم تخلق إلاّ له.

*** مناقبه:**

له مناقب كثيرة، وحوادث شهيرة من ذلك ما روي أنّه لمّا ولّي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان في عهد يزيد بن عبدالملك، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والإمام الشعبي ـ وذلك في سنة ١٠٣هـ ـ فقال لهم: إنّ الخليفة يزيد قد أخذ عهودنا بالسمع والطاعة وولاّني فيكتب إليّ الأمر من أمره، فأقلّده ما تقلّد من ذلك الأمر، فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه بعض تقيّة: فقال: ما تقول يا حسن؟ قال: يا ابن هبيرة خف الله في يزيد، ولا تخف يزيدا في الله، فإنّ الله يمنعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله، ويوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق

قبرك، ثمّ لا ينجيك إلاّ عملك، يا ابن هبيرة إيّاك أن تعصي الله، فإنّما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله تعالى وعباده، فلا تتركنّ دين الله وعباده لهذا السلطان، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فأضعف ابن هبيرة جائزة الحسن على ابن سيرين والشعبي، فقال الشعبي لابن سيرين: سفسفنا له فسفسف لنا، والسفساف: الرديء من العطيّة.

وكتب إليه عمر بن عبدالعزيز يقول له: إنّي قد ابتليت بهذا الأمر، فانظر لي أعوانا يعينونني عليه، فكتب إليه الحسن كتاباً يقول له فيه: أمّا أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأمّا أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله والسلام.

وكانت له مع الحجّاج بن يوسف الثقفي وقائع هائلة مشهورة، واجهه فيها بكلام صادع، وقد سلّمه الله من شرّه.

*** شهادة الصحابة والتابعين له بالفضل والعلم:**

سئل أنس بن مالك عن مسألة، فقال: سلوا مولانا الحسن، فإنّه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا.

وقال عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم: فقيه أهل البصرة الحسن البصري.

وقال عليّ بن زيد: أدركت عروة بن الزبيّر وسعيد بن المسيّب ويحيى بن جعدة والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب في آخرين فلم أر مثل الحسن، ولو أنّ الحسن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه.

وقال أحمد بن حنبل: ليس أحد أكثر فتوى في التابعين من الحسن وعطاء، كان عطاء مفتي مكّة، وكان الحسن مفتي البصرة.

وروى بلال بن أبي بردة قال: سمعت أبي يقول: والله لقد أدركت

أصحاب محمد ﷺ فما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد ﷺ من هذا الشيخ ـ الحسن البصري ـ.

* ما أثر عنه من أقوال:

كان جلّ كلام الحسن البصري حِكَماً ومواعظ، بقوّة عبارة وفصاحة، من ذلك:

قوله: إنّ قوما قد ألهتهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة، يقول أحدهم: إنّي لحسن الظنّ بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، لو أحسن الظنّ بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك.

وقيل للحسن: ما عقوبة العالم إذا أحبّ الدنيا؟ قال: موت القلب، فإذا أحبّ الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه.

وكتب الحسن إلى فرقد يقول: أمّا بعد فإنّي أوصيك بتقوى الله والعمل بما علّمك الله والاستعداد لما وعد الله ممّا لا حيلة لأحد في دفعه ولا ينفع الندم عند نزوله، فاحسر عن نفسك قلاع الغافلين وانتبه من رقدة الجاهلين وشمّر الساق فإنّ الدنيا ميدان مسابقة والغاية الجنّة أو النار فإنّ لي ولك مقاما من الله يسألني وإيّاك فيه عن الحقير والدقيق والجليل والخافي.

وكان يقول لخادمه: يا بنيّ أدم الحزن على خير الآخرة لعلّه أن يوصلك إليه، وابك في ساعات الليل والنهار في الخلوة، لعلّ مولاك أن يطّلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين.

وكان يقول له: يا بنيّ إنّ البكاء داع إلى الرحمة، فإن استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل لعلّه تعالى أن يرحمك، فما هو إلاّ حلول الدار إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار، ما هنالك منزل ثالث.

ويقول: إنّ الباكي من خشية الله لا تقطر من دموعه قطرة حتى تعتق

رقبته من النار، ولو أنّ باكياً بكى في ملأ من خشية الله لرحموا جميعاً، وليس شيء من الأعمال إلا وّله وزن إلاّ البكاء من خشية الله فإنّه لا يقوّم الله بالدمعة منه، وما بكى عبد إلاّ شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب.

وكان يقول: الناس في العافية سواء، فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه.

ويقول: اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإنّ الله عزّ وجلّ لم يدع قولاً إلاّ جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه، فإن سمعت قولاً حسنا فرويدا بصاحبه.

ويقول: من جعل الحمد لله على النعم حصناً وحابساً، وجعل آداء الزكاة على المال سياجاً وحارساً، وجعل العلم له دليلاً وسائساً، أمن العطب وبلغ أعلى الرتب، ومن كان للمال قانصاً وله عن الحقوق حابساً وشغله وألهاه عن طاعة الله كان لنفسه ظالماً ولقلبه بما جنت يداه كالما وسلّطه الله على ماله سالباً وخالساً، ولم يأمل العطب في سائر وجوه الطلب.

توفّي رحمه الله بالبصرة سنة ١١٠هـ وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

*** ٥ * محمد بن سيرين[١]:**

هو أبو بكر محمد بن سيرين (١١٠هـ) مولى أنس بن مالك، شيخ البصرة مع الحسن في أوانه، وإمام المعبّرين في زمانه، أحد الجلّة الورعين.

كان فقيهاً إماماً غزير العلم، ثقة ثبتا، علاّمة في التعبير، رأسا في الورع غاية في العلم، نهاية في الورع قد أعطي هدياً وسمتاً وخشوعاً، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله، حتى قال بعض السلف: ما رأيت أحداً

(١) مرآة الجنان ٢٦٠/١، تذكرة الحفّاظ ٧٨/١، شذرات الذهب ٢٤٧/١، البداية والنهاية ٢٧٤/٩.

أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين.

ولمّا أريد على القضاء هرب إلى الشام.

روى عن أبي هريرة وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعمران بن حصين وأنس بن مالك وروى عنه جماعة من الأئمّة.

وكان بعضهم إذا روى عنه قال: حدّثني أصدق من رأيت من البشر.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان محمد بن سيرين يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه، وروي عنه أنّه قال: ما أهون الورع، فقيل له: وكيف هو هيّن؟ فقال: إذا رابك شيء فدعه.

وكان إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم، وقال: ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيره.

ولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان وتوفّي سنة ١١٠هـ بعد موت الحسن البصري بمائة يوم.

*** ٦ * مسلم بن يسار[1]:**

هو أبو عبدالله مسلم بن يسار (١٠٠هـ) البصري، الفقيه الزاهد، أحد عبّاد البصرة وفقهائها، الذي لم يكن يفضل عليه أحد في زمانه.

كان مسلم بن يسار يعدّ خامس خمسة من فقهاء أهل البصرة، وقد أدرك بعض السلف مسجد البصرة وما فيه حلقة يذكر فيها الفقه إلاّ حلقة مسلم بن يسار.

توفّي سنة ١٠٠هـ وقيل سنة ٩٩هـ.

ونقل علم هؤلاء وأمثالهم من أعلام كبار التابعين بالبصرة في هذا

---

(١) مرآة الجنان ٢٣٦/١، البداية والنهاية ١٨٦/٩، شذرات الذهب ٢١٤/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٨.

الدور أحداث التابعين الذين كان أشهرهم:

**ـ ١ ـ قتادة بن دعامة السدوسي[١]:**

هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي (١١٧هـ) الضرير البصري، أحد علماء التابعين والأئمّة العاملين، عالم أهل البصرة ومفسّر الكتاب، وكان يقول عن نفسه: ما في القرآن آية إلاّ وقد سمعت فيها شيئاً.

كان إماماً في النسب، رأسا في العربيّة واللغة وأيّام العرب، وكان آية في الحفظ، وكان يقول عن نفسه: ما قلت لمحدّث قطّ: أعده عليّ، وما سمعت شيئاً إلاّ وعاه قلبي، حتى إنّ شيخه محمد بن سيرين كان يشهد له بذلك ويقول: قتادة أحفظ الناس.

وروي أنّه أقام عند سعيد بن المسيّب ثمانية أيّام فقال له في اليوم التاسع: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيّب والحسن البصري وأبو العالية رفيع بن مهران وزرارة بن أوفى وعطاء بن أبي رباح ومجاهد ومحمد بن سيرين ومسروق وغيرهم.

*** شهادة التابعين وأتباعهم له بالفضل والعلم والحفظ:**

قال بعض السلف: ما رأيت أفقه من الزهري وحمّاد وقتادة، وقال سعيد بن المسيّب: ما جاءني عراقيّ أفضل من قتادة.

وقال علي بن المديني: الذين أفتوا أربعة: الزهري، والحكم بن عتيبة، وحمّاد وقتادة.

وقال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، وهوأحفظ أهل البصرة.

توفّي سنة ١١٧هـ وقيل سنة ١١٨هـ.

---

(١) البداية والنهاية ٣١٣/٩، تذكرة الحفاظ ١٢٣/١، شذرات الذهب ٢٦٨/١، مرآة الجنان ٢٧٦/١ ـ ٢٧٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٩.

**- ٢ - إيّاس بن معاوية[١]:**

هو إيّاس بن معاوية بن قرّة المزني الليثي (١٢٢هـ) قاضي البصرة، المعدوم مثلاً في الذكاء والفطنة، كان رأساً لأهل البيان والفصاحة، وكان صادق الظنّ لطيفا في الأمور، مشهورا بفرط الذكاء، وهو المشار إليه في قول أبي تمّام:

إقدام عمرو في سماحة حاتم  في حلم أحنف في ذكاء إيّاس

وإيّاه عنى الحريري في المقامة السابعة من مقاماته حين قال: فإذا ألمعيّتي ألمعيّة ابن عبّاس، وفراستي فراسة إيّاس.

كان تابعيّاً جليلاً، وفقيهاً عفيفاً وكان عاقلاً من الرجال فطناً، ولجدّه صحبة.

ولي قضاء البصرة في عهد الخليفة الراشدي عمر بن عبدالعزيز، وذلك أنّ عمر بعث عدي بن أرطأة نائبا على البصرة وأمره أن يجمع بين إيّاس بن معاوية والقاسم بن ربيعة، وينظر أيّهما أفقه فيولّيه القضاء فجمع عدي بينهما، فقال إيّاس - وهو يريد التهرّب من ولاية القضاء -: أيّها الأمير سل عنّي وعنه فقيهي البصرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإيّاس لا يأتيهما - فعرف القاسم أنّه إن سألهما الأمير أشارا به، فقال القاسم: - وهو يريد التهرّب كذلك من ولاية القضاء - لا تسأل عنه ولا عنّي فوالله الذي لا إله إلاّ هو إنّه أفقه وأعلم بالقضاء منّي، فإن كنت كاذبا فما ينبغي أن تولّي كاذبا القضاء، وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل نصيحتي، فقال إيّاس: أيّها الأمير إنّ القاسم لمّا عرف أنّه قد أوقف على شفير جهنّم - بتولّيه القضاء - افتدى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله تعالى عنها وينجو ممّا يخاف، فقال عند ذلك عديّ: أمّا وقد

---

(١) مرآة الجنان ٢٤٨/١ - ٢٤٩ و٢٨٣ - ٣٨٤، شذرات الذهب ٢٨٠/١، البداية والنهاية ٣٣٤/٩ - ٣٣٨، وفيات الأعيان ٢٤٧/١.

فطنت إلى هذا وفهمته، فقد ولّيتك القضاء.

ولمّا تولّى إيّاس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيّوب السختياني: لقد رموها بحجرها، وجاءه الحسن البصري ومحمد بن سيرين فسلّما عليه، فبكى إيّاس وذكر حديث الرسول ﷺ: «**القضاة ثلاثة، قاضيان في النار، وقاض في الجنّة**»[1] ثمّ جلس للناس في المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات.

روى إيّاس عن أبيه عن جدّه مرفوعا، وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيّب وغيرهم.

*** مناقبه:**

كان إيّاس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة، له غرائب تدلّ على فطنته وحدّة ذكائه يعجز الإنسان عن حصرها، وقد اشتهر بحدّة الذكاء وسرعة البديهة منذ صغره حتى إنّ أباه معاوية بن قرّة قال: إنّ الناس يلدون أبناء، وولدت أنا أبا، وسئل مرّة: كيف ابنك؟ قال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي، وفرّغني لآخرتي.

ومن الوقائع التي تدلّ على فراسته:

* تحاكم إيّاس وهو صبيّ شاب، وشيخ إلى قاضي عبدالملك بن مروان بدمشق، فقال له القاضي: إنّه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام، فقال إيّاس: إن كان كبيرا فالحقّ أكبر منه، فقال له القاضي: اسكت، فقال إيّاس: ومن يتكلّم بحجّتي إذا سكتّ؟ فقال القاضي: ما أحسبك تنطق بحقّ في مجلسي هذا حتّى تقوم، فقال إيّاس: أشهد أن لا إله إلاّ الله، فلمّا بلغ الخبر الخليفة عبدالملك، قال للقاضي: اقض حاجته

---

(١) وتمام الحديث: «**رجل قضى بغير الحقّ فعلم ذلك، فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحقّ فذلك في الجنّة**» (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، وابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام، واللفظ للترمذي).

وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس.

* وسأل رجل إيّاساً عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فأخبرني عن الماء، فقال: حلال، قال: فالكسور، قال: حلال، قال: فالتمر، قال: حلال، قال: فما باله إذا اجتمع حرّم؟ فقال إيّاس: أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التبن؟ قال: لا توجعني، قال: فهذه الغرفة من الماء؟ قال: لا توجعني شيئاً، قال: أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا حتى صار طيناً ثمّ تركته حتى استحجر ثمّ رميتك أيوجعك؟ قال: إي والله، وتقتلني، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت.

* وروي عن إيّاس أنّه قال: ما غلبني أحد قطّ سوى رجل واحد، ذلك أنّي كنت في مجلس القضاء فدخل عليّ رجل شهد عندي أنّ البستان الفلاني وذكر حدوده هو ملك لفلان، فقلت له كم: عدد شجره، فسكت ثمّ قال لي: منذ كم يحكم سيّدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت: الحقّ معك وأجزت شهادته.

ولكثرة ما عرف به من الفطنة، كان أصحابه يجلسون حوله ويكتبون عنه الفراسة.

*** ما أثر عنه من أقوال:**

كان إيّاس يقول: إنّي لأكلّم الناس بنصف عقلي، فإذا اختصم إليّ اثنان جمعت لهما عقلي كلّه ، وذكر عنده أحد الحاضرين رجلاً بسوء، فقال له إيّاس: أغزوت الروم؟ قال: لا، قال: فالسند والهند والترك؟ قال: لا، فقال له إيّاس: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟.

وكان إيّاس قد غلب على الكلام فلا يتكلّم معه أحد إلاّ علاه، فقال له بعضهم: ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك، فقال: بحقّ أتكلّم أم بباطل؟ فقيل له: بل بحقّ، فقال إيّاس: كلّما كثر الحقّ فهو خير.

وكان يقول: إنّ أشرف خصال الرجل صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه.

ولمّا ماتت أمّه بكى عليها، فقيل له في ذلك، فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنّة، فغلق أحدهما.

توفّي إيّاس سنة ١٢٢هـ.

**- ٣ - ثابت البناني[١]:**

هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني (١٢٣هـ) - وبنانة من قريش - كان من سادات التابعين علماً وفضلاً وعبادةً وزهداً ونبلاً، وكان من خواص أنس بن مالك، وروى عن غيره من الصحابة.

**- ٤ - أيّوب السختياني[٢]:**

هو أبو بكر أيّوب بن أبي تميمة السختياني (١٣١هـ) فقيه أهل البصرة، وأحد الأعلام من صغار التابعين، وسيّد الفقهاء والعلماء في عصره، وعلم الحفّاظ.

أخذ عنه الإمام مالك وسفيان الثوري وغيرهما.

*** شهادة التابعين وأتباعهم له بالفضل والعلم:**

قال الحسن البصري: أيّوب سيّد شباب أهل البصرة، وقال هشام بن عروة: ما رأيت بالبصرة مثل السختياني، وكان بعض السلف يقول: أيّوب سيّد الفقهاء.

وقال حمّاد بن زيد: كان أيّوب أفضل من جالسته وأشدّهم اتّباعاً للسنّة، وقال سفيان بن عيينة: لم ألق مثله، وذكر ابن المديني أنّ له ثمانمائة حديث.

---

(١) مرآة الجنان ٢٨٥/١، شذرات الذهب ٢٨٢/١.

(٢) مرآة الجنان ٢٩٨/١، شذرات الذهب ٣١٠/١ - ٣١١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٩.

توفّي سنة ١٣١هـ باتفاق.

**المركز الخامس: الشام:**

نزل بلاد الشام جمع كبير من فضلاء الصحابة الكرام، منهم: أبو عبيدة عامر بن الجرّاح وبلال بن رباح وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد والفضل بن العباس بن عبدالمطلب وعوف بن مالك الأشجعي وغيرهم[١].

وقد ترجم ابن سعد في طبقاته لـ ١١٤ من أعيان الصحابة الذين نزلوا الشام[٢] غير أنّ أشهر من تصدّر لتعليم الناس القرآن وشرائع الإسلام، وكان له الفضل في تثبيت ركائز الفقه والعلم بهذا المركز الجديد هم: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء الذين أرسلهم عمر بن الخطاب إلى الشام استجابة لطلب يزيد بن أبي سفيان حين كتب إلى عمر: قد احتاج أهل الشام إلى من يعلّمهم القرآن ويفقّههم[٣].

*** معاذ بن جبل[٤]:**

هو أبو عبدالرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي (١٨هـ) الإمام القدوة في علم الحلال والحرام، إمام الفقهاء وكنز العلماء.

كان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياء وسخاء، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وأعلم الأمّة بالحلال والحرام، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وكان يفتي بالمدينة في حياة الرسول ﷺ وفي زمن أبي بكر.

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٩٣.
(٢) طبقات ابن سعد ٣٨٤/٧ ـ ٤٣٩.
(٣) الإصابة ٢٦٩/٢.
(٤) الإصابة ٤٢٧/٣، شذرات الذهب ٤٤/١ ـ ٤٥، الاستيعاب ٣٥٦/٣ ـ ٢٥٩، طبقات ابن سعد ٣٤٨/٢ ـ ٣٤٩، البداية والنهاية ٩٥/٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٥ ـ ٤٦، مرآة الجنان ١٠٧/١، تذكرة الحفاظ ١٩/١ ـ ٢٠.

استخلفه الرسول ﷺ على أهل مكّة يعلّمهم الحلال والحرام، وبعثه عام فتح مكّة إلى اليمن ليعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمّال الذين باليمن[١] فمكث بها أميراً إلى أن توفّي الرسول ﷺ، وأقرّه أبو بكر الصديق على ذلك يعلّم الناس الخير باليمن، ثمّ رجع من اليمن في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام فاستقرّ بها، حتى استعمله عمر بن الخطاب عليها بعد موت أبي عبيدة بن الجرّاح.

وهكذا يبدو أنّ فقه معاذ بن جبل قد كان موزّعاً بالخصوص بين أهل اليمن وبين أهل الشام، ورغم أنّ معاذ قد كان له خلال إقامته باليمن التأثير والواضح، والأثر العميق في تعليم أهل اليمن، غير أنّ تأثيره في أهل الشام يبدو أكثر وضوحاً، وأبلغ عمقاً، ويتّضح ذلك من خلال تتبّع تراجم الأعلام من كبار التابعين الذين تلقّوا عن الصحابة الكرام في كلا البلدين - كما سيتّضح لاحقاً -.

*** شهادة الرسول له بالفضل والعلم:**

لمّا أراد رسول الله ﷺ أن يبعث معاذا إلى اليمن، قال له: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء**»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله**»، قال: فبسنّة رسول الله، قال: «**فإن لم تجد في سنّة رسول الله ولا في كتاب الله**»، قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[٢].

---

(١) وكان رسول الله قد قسّم اليمن على خمسة رجال: خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء، والمهاجر بن أبي أميّة على كندة، وزياد بن لبيد على حضر موت، وأبي موسى الأشعري على زبيد وزمعة وعدن والساحل، ومعاذ بن جبل على الجند (الاستيعاب ٣٥٧/٣ شذرات الذهب ٤٥/١) وذكر بعض المؤرخين أنّ معاذ بن جبل هو الذي بنى مسجد الجند، وهو أوّل مسجد بني باليمن (مرآة الجنان ١٠٨/١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، وأحمد في مسند الأنصار، والدارمي في سننه، المقدّمة.

ومعلوم أنّه لا يبعث ﷺ للقضاء إلاّ عالماً أميناً ديّناً، ويكفيك في علمه أنّه قد بيّن طرق الأحكام فأجاد وأحسن.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ـ وقد ذكر أصحابه ـ: **«وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»**[١].

وعن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خذوا القرآن من أربعة، ـ فذكر فيهم معاذ بن جبل ـ»**[٢].

وأخذ رسول الله ﷺ بيد معاذ، فقال: **«يا معاذ إنّي لأحبّك، والله إنّي لأحبّك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كلّ صلاة تقول: اللّهمّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[٣].

*** شهادة الصحابة والتابعين له بالفضل والعلم:**

خطب عمر بن الخطاب الناس فقال: من أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، وقال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، ولولا معاذ لهلك عمر، وحين خرج معاذ إلى الشام قال عمر: لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلّمت أبا بكر أن يحبسه ـ أي يلزمه البقاء بالمدينة ـ لحاجة الناس إليه فأبى عليّ، وقال: رجل أراد جهادا، يريد الشهادة فلا أحبسه، فقلت: والله إنّ الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته.

وروي عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: إنّ معاذا كان أمّة قانتا للّه حنيفا ولم يك من المشركين، فقال له أحد الحاضرين: يا أبا عبدالرحمٰن، نسيتها؟ ـ يقصد الآية ـ فقال: لا، ولكنّا نشبّهه بإبراهيم، والأمّة الذي يعلّم الناس الخير، والقانت المطيع.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وابن ماجة في سننه، المقدّمة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب وفضائل القرآن، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة.

وروى أبو مسلم الخولاني قال: دخلت حمص فرأيت حلقة فيها اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل.

وكانت وفاة معاذ بالشام بسبب طاعون عمواس ـ ناحية الأردن ـ سنة ١٨هـ وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها.

*** عبادة بن الصامت[١]:**

هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي (٣٤هـ) أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وكان ممّن جمع القرآن في عهد النبيّ ﷺ.

وجّهه عمر بن الخطّاب إلى الشام قاضياً ومعلّماً، فأقام بحمص ثمّ انتقل إلى فلسطين، وهو أوّل من تولّى قضاء فلسطين.

ولعبادة قصص متعددة مع معاوية بن أبي سفيان وإنكاره عليه أشياء، وفي بعضها رجوع معاوية له، وفي بعضها شكواه إلى عثمان منه، تدلّ على قوّته في دين الله وقيامه في الأمر بالمعروف.

وممّا يروى في ذلك أنّ خلافاً وقع بينه وبين معاوية في زمن عمر بن الخطاب، فقال عبادة لمعاوية: لا أساكنك بأرض واحدة أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك، فأخبره، فقال له: ارجع إلى مكانك فقبّح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية لا إمرة لك على عبادة.

ولم يزل عبادة بالشام منذ خرج إليها إلى أن توفّي بالرملة وقيل بفلسطين ودفن ببيت المقدس سنة ٣٤هـ.

---

(١) الإصابة ٢٦٨/٢ ـ ٢٦٩، طبقات ابن سعد ٣٨٧/٧، الاستيعاب ٤٥٠/٢، شذرات الذهب ٦٩/١.

* أبو الدرداء[١]:

هو أبو الدرداء (٣٢هـ) الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته وباسمه جميعا، واختلف في اسمه فقيل هو عويمر وقيل عامر، واختلف في اسم أبيه فقيل عامر وقيل مالك، وقيل غير ذلك.

وهو حكيم هذه الأمّة، وعالم أهل الشام ومقرىء أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم، ولّي قضاء دمشق في زمن عمر بن الخطاب.

وكان أبو الدرداء شديد المجاهدة لنفسه، وكان يقول: كنت تاجراً قبل البعث ثمّ حاولت التجارة بعد الإسلام فلم يجتمعا، حتى إنّ سلمان الفارسي ـ وكان الرسول قد آخى بينهما ـ كان يعذله فيما هو فيه من شدّة المجاهدة.

ويروى أنّ زوجته أمّ الدرداء قالت له يوماً: ما عندنا شيء من النفقة، فقال لها: يا هذه إنّ بيننا عقبة كؤوداً لا يجوزها إلاّ المخفّون.

لمّا استعمل أبو الدرداء على القضاء أصبح الناس يهنئونه، فقال: أتهنئوني بالقضاء، وقد جعلت على رأس مهواة، والله لو علم الناس ما في القضاء لأخذوه بالدول رغبة عنه وكراهية له.

وكان أبو الدرداء من علية أصحاب الرسول الأكرم ﷺ ومن أهل النيّة منهم والتفكّر، وكان يقول: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة.

وكان إذا دخل المسجد دخل معه من الأتباع مثل ما يكون مع السلطان، وهم يسألونه عن العلم.

ودخل عليه أصحابه في مرض الموت، فقالوا: يا أبا الدرداء ما

---

(١) الإصابة ٤٥/٣، تذكرة الحفاظ ٢٤/١ ـ ٢٥، الاستيعاب ٦٠/٤، الإصابة ٤٥/٣ ـ ٤٦، مرآة الجنان ١٢٢/١، طبقات ابن سعد ٣٩٢/٧ ـ ٣٩٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٧، إعلام الموقعين ١٦/١.

تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: ما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنّة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: هو الذي أضجعني.

*** شهادة الصحابة والتابعين له بالفضل والعلم:**

كان أبو ذرّ الغفاري لأبي الدرداء يقول: ما حملت ورقاء ولا أظلّت خضراء أعلم منك يا أبا الدرداء، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: حدّثونا عن العالمين العاملين معاذ بن جبل وأبي الدرداء، ولمّا حضرت معاذ بن جبل الوفاة قيل له: يا أبا عبدالرحمٰن أوصنا، فقال: التمسوا العلم عند عويمر أبي الدرداء، فإنّه من الذين أوتوا العلم.

وعن مسروق قال: شافهت أصحاب محمد ﷺ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستّة، فذكر منهم: أبو الدرداء.

وكان أبو الدرداء يقول: سلوني، فوالذي نفسي بيده لئن فقدتموني لتفقدنّ رجلاً عظيما من أمّة محمد ﷺ، وقد توفّي أبو الدرداء سنة ٣٢هـ بدمشق وقيل سنة ٣١هـ وقيل غير ذلك.

هؤلاء الثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ هم الأساس في بعث هذا المركز الفقهي، والأصل في نشاط الحركة العلميّة وانتشارها في ربوع بلاد الشام، حيث أقام عبادة بن الصامت في حمص، ونزل أبو الدرداء دمشق، واستقرّ معاذ بفلسطين.

وعلى أيدي هؤلاء الأعلام الثلاثة من الصحابة أضيئت لأهل الشام أنوار العلم والمعرفة، وتخرّجت الدفعة الأولى من كبار التابعين من أهل الشام.

وإذا أضفنا إلى هؤلاء الأعلام الثلاثة من الصحابة، التابعي الجليل عبدالرحمٰن بن غنم الأشعري الذي كان قد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقّه أهلها في الدين، فإنّ علم أهل الشام يكون قد انتشر وشاع بهؤلاء الأربعة.

*** ١ * عبدالرحمٰن بن غنم[١]:**

هو عبدالرحمٰن بن غنم الأشعري (٧٨هـ) رأس التابعين وشيخ أهل فلسطين وفقيه الشام.

أسلم على عهد الرسول ﷺ ولم يره ولم يفد عليه، ولازم معاذ بن جبل منذ بعثته إلى اليمن إلى أن مات في خلافة عمر بالشام، حتى عرف بصاحب معاذ لملازمته له.

كان من أفقه أهل الشام، وهو الذي فقّه عامة التابعين بالشام، وكان من العباد الصالحين.

روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح وأبي ذر الغفاري وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وغيرهم.

وروى عنه أبو إدريس الخولاني ومكحول ورجاء بن حيوة وجماعة من تابعي الشام.

*** ٢ * أبو إدريس الخولاني[٢]:**

هو عائذ الله بن عبدالله الخولاني (٨٠هـ) واعظ أهل دمشق وقاصّهم، وأحد من جمع بين العلم والعمل، وفقيه أهل الشام وقاضيهم من قبل عبدالملك بن مروان.

أخذ العلم عن معاذ بن جبل، وروى عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وعوف بن مالك وأبي هريرة.

*** شهادة التابعين وأتباعهم له بالفضل والعلم:**

قال ابن شهاب الزهري: أبو إدريس من فقهاء أهل الشام.

---

(١) تذكرة الحفاظ ٥١/١، الاستيعاب ٤٢٤/٢ ـ ٤٢٥، طبقات ابن سعد ٤٤١/٧، البداية والنهاية ٢٦/٩، الإصابة ٩٨/٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٥٦/١ ـ ٥٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٤، مرآة الجنان ١٩٢/١.

وقال مكحول: ما علمت أعلم من أبي إدريس الخولاني، وفي رواية: ما أدركت مثل أبي إدريس الخولاني.

وقال سعيد بن عبدالعزيز التنوخي: كان أبو إدريس الخولاني عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء.

توفّي سنة ٨٠هـ باتفاق.

*** ٣ * كثير بن مرّة[١]:**

هو أبو شجرة، كثير بن مرّة الحضرمي، عالم أهل حمص، كان إماماً طلاّبا للعلم.

أدرك سبعين بدريّا من أصحاب رسول الله ﷺ.

وحدّث عن معاذ بن جبل وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت.

*** ٤ * رجاء بن حيوة[٢]:**

هو أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي (١١٠هـ) الشامي الفقيه، كان تابعياً جليلاً، كبير القدر، ثقة فاضلاً، عادلاً، شريفاً نبيلاً كامل السؤدد، كثير العلم.

كان أحد الذين يتبرّك بهم الناس لنزول الغيث، وينصر بهم على الأعداء، وكان يقال سيّد أهل فلسطين رجاء بن حيوة.

وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيّدنا رجاء بن حيوة، وقال: هو سيّد أهل الشام في أنفسهم.

وقال مطر الوراق: ما رأيت ـ وفي رواية ما لقيت ـ شاميّا أفقه من رجاء بن حيوة.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٥١ ـ ٥٢، طبقات ابن سعد ٧/٤٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/٤٥٤، البداية والنهاية ٩/٣٠٤، مرآة الجنان ١/٢٦٩، شذرات الذهب ١/٢٥٥، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٥، تذكرة الحفاظ ١/١١٨.

وأثنى عليه غير واحد من الأئمّة ووثّقوه في الرواية.

وكان وزير صدق لخلفاء بني أميّة، وهو الذي أشار على سليمان بن عبدالملك في مرض موته أن يجعل الخلافة من بعده لعمر بن عبدالعزيز ففعل.

توفّي سنة ١١٠هـ.

*** ٥ * مكحول[١]:**

هو فقيه الشام أبو عبدالله مكحول بن عبدالله (١١٣هـ) التابعي الجليل وإمام أهل الشام في زمانه وأحد أوعية العلم.

طاف الأرض في سبيل طلب العلم، وكان كلّما دخل مدينة لا يخرج منها حتى يظنّ أنّه ليس بها علم إلاّ وقد سمعه، ولا يدع بها علماً إلاّ وقد حواه عقله واستوعبه ذهنه.

لم يكن في زمانه أبصر بالفتيا منه، ورغم ذلك فقد كان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، هذا رأي والرأي يخطىء ويصيب.

روى عن أبي أمامة الباهلي وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك وعبدالرحمٰن بن غنم وأبي إدريس الخولاني.

كانت له وجاهة عند الناس، فمهما أمر به من شيء فعل.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والعلم:**

قال ابن شهاب الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيّب بالمدينة، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن بن أبي الحسن بالبصرة، ومكحول بالشام.

وقال سعيد بن عبدالعزيز التنوخي: لم يكن في زمان مكحول أبصر

---

(١) البداية والنهاية ٣٠٥/٩، طبقات ابن سعد ٤٥٣/٧، تذكرة الحفاظ ١٠٧/١ ـ ١٠٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٥، مرآة الجنان ٢٧٠/١، شذرات الذهب ٢٥٦/١، إعلام الموقعين ٢٢/١.

بالفتيا منه، وقال: كان أفقه أهل الشام، وقال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه من مكحول وقال عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم: فقيه أهل الشام مكحول توفّي سنة ١١٣هـ وقيل غير ذلك.

**المركز السادس: مصر:**

لمّا فتح الله على المسلمين أرض مصر في عهد عمر بن الخطاب نزل بها الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ لنشر تعاليم الإسلام وأحكامه، ومن بين من نزل مصر من الصحابة عمرو بن العاص وابنه عبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر الجهني ومعاذ بن أنس الجهني ومعاوية بن حديج وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وغيرهم[١] ترجم ابن سعد في طبقاته لاثنين وثلاثين منهم[٢].

غير أنّ أشهر من نزلها من هؤلاء الصحابة هم: عمرو بن العاص (٤٣هـ) فاتح مصر وأميرها من قبل عمر بن الخطاب ثمّ من قبل معاوية بن أبي سفيان، وابنه عبدالله بن عمرو الذي بقي بمصر بعد وفاة أبيه واستمرّ قائما على تعليم أهل مصر وتفقيههم، وعقبة بن عامر الجهني العالم بالفرائض والفقه الذي سكن مصر واستقرّ بها إلى حين وفاته.

وقد كانت مهمّة التعليم والتفقيه عائدة بالخصوص إلى عبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر.

*** عبدالله بن عمرو[٣]:**

هو عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، من فضلاء الصحابة وعبّادهم المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ.

كان ديّناً صالحاً كبير القدر، ذا عبادة واجتهاد وورع فاضلاً حافظاً عالماً كثير التلاوة لكتاب الله، كثير الصيام، يسرد الصيام، ويقرأ القرآن كلّ

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٩٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٤٩٣/٧ ـ ٥٠٩.

(٣) شذرات الذهب ١٣٢/١، مرآة الجنان ١٧٢/١ ـ ١٧٣، الاستيعاب ٣٤٧/٢ ـ ٣٥٢.

ليلة، ولا ينام، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال له: «**ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كلّ ليلة**»، فقال ابن عمرو: بلى يا نبيّ الله. ولم أرد بذلك إلاّ الخير، فقال له الرسول: بحسبك أن تصوم من كلّ شهر ثلاثة أيّام، فلم يزل ابن عمرو يراجعه حتى قال له: صم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود، ولا صوم أفضل من صوم داود، ونازل رسول الله ﷺ أيضاً في قراءة القرآن، ولم يزل يراجعه حتى قال له: فاقرأه في كلّ سبع ولا تزد على ذلك، فإنّ لزوجك عليك حقّا، ولزورك عليك حقّا، ولجسدك عليك حقّا، فإنّك لا تدري لعلّك يطول بك عمر، قال ابن عمرو: فصرت إلى الذي قال لي النبيّ، فلمّا كبرت وددت أنّي كنت قبلت رخصة نبيّ الله ﷺ[(١)].

وعبدالله بن عمرو هو أحد العبادلة الذين عاشوا حتى احتيج إلى علمهم[(٢)].

روى عن النبيّ ﷺ كثيراً، وكان ممّن يسّر الله له تدوين الحديث، فقد كتب الحديث وجمع منه بخطّ يده ما شاء الله له ذلك، حتى قال أبو هريرة: ما من أصحاب النبيّ ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منّي إلاّ ما كان من عبدالله بن عمرو فإنّه كان يكتب ولا أكتب[(٣)].

وعن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، وكتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه، كتاب الصوم، واللفظ له.

(٢) العبادلة أربعة وهم: ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن عمرو، وليس ابن مسعود منهم لتقدّم وفاته، وقيل هم ثلاثة بإسقاط ابن الزبير، وكانوا إذا اجتمعوا على شيء قيل هذا قول العبادلة، وأمّا سائر من يسمّى عبدالله من الصحابة فلا يطلق عليهم العبادلة، وهم نحو مائتين وعشرين نفسا (تدريب الراوي ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب كتاب العلم.

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حقّ[١].

روى عن عمر بن الخطاب وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل وعبدالرحمٰن بن عوف، وغيرهم، وحدّث عنه من الصحابة عبدالله بن عمر وأبو أمامة والمسور والسائب بن يزيد وأبو الطفيل، وعدد كثير من التابعين منهم سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وطاووس بن كيسان وعمرو بن العاص وعطاء بن يسار وعكرمة ومسروق بن الأجدع وعامر الشعبي وغيرهم.

واشتهرت صحيفة عبدالله بن عمرو المعروفة بالصحيفة الصادقة، حتى أنّ ابن عمرو رضي الله عنه كان يقول: ما يرغبني في الحياة إلاّ الصادقة والوهط، فأمّا الصادقة فصحيفة كتبتها من رسول الله ﷺ، وأمّا الوهط فأرض تصدّق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها[٢].

وقد نقل الإمام أحمد مضمون هذه الصحيفة في مسنده.

وكان مقام عبدالله بن عمرو بعد الفتوح بمصر، وفي تاريخ وفاته ومكانها خلاف، فقيل مات بالشام سنة ٦٥هـ، وقيل مات بمصر سنة ٧٧هـ، وقيل غير ذلك.

*** عقبة بن عامر[٣]:**

هو عقبة بن عامر الجهني (٥٨هـ) كان مقرئاً وفقيهاً من فقهاء الصحابة، عالماً بالفرائض والفقه، وكان فصيح اللسان مفوّهاً، وأحد من جمع القرآن.

روى عن النبيّ ﷺ الكثير من الأحاديث، وروى عنه جماعة من

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم.

(٢) أخرجه الدارمي في مقدمة كتاب السنن، وابن عبدالبرّ في جامع بيان العلم وفضله ٨٦/١.

(٣) الإصابة ٤٨٩/٢، مرآة الجنان ١٦٢/١، شذرات الذهب ١١٥/١، الاستيعاب ١٠٦/٢.

الصحابة منهم عبدالله بن عباس وأبو أمامة وجابر بن عبدالله ومسلمة بن خالد، وأمّا رواته من التابعين فكثير منهم جبير بن نفير وأبو إدريس الخولاني وخلق من أهل مصر.

أمّره معاوية على مصر وجمع له في الإمرة بين الخراج والصلاة، فسكن مصر وابتنى بها دارا واستقر بها حتى وفاته سنة ٥٨هـ

وقد حمل التابعون من أبناء مصر عن هؤلاء علماً كثيراً، واشتهر منهم:

*** ١ *: مرثد بن عبدالله[١]:**

هو أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزني (٩٠هـ) قاضي الإسكندريّة ومفتي أهل مصر في وقته، وقد تفقّه على عقبة بن عامر.

*** ٢ *: بكير بن عبدالله بن الأشج:**

وكان الإمام مالك كلّما ذكره قال: كان من العلماء[٢].

*** ٣ *: يزيد بن أبي حبيب[٣]:**

هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب الأزدي (١٢٨هـ) فقيه مصر وشيخها ومفتيها، أخذ الفقه عن مرثد بن عبدالله، وكان كثير الحديث.

وكان فقيه مصر الليث بن سعد يقول: يزيد بن أبي حبيب هو مولانا وسيّدنا ـ أي في الفقه ـ.

**المركز السابع: اليمن:**

نزل اليمن العدد الكثير من أصحاب الرسول ﷺ، كان قد كلّفهم

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٨، مرآة الجنان ٢٠٩/١ ـ ٢١٠، شذرات الذهب ١٨٣/١.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٨.

(٣) مرآة الجنان ٢٩٧/١، شذرات الذهب ٣٠٢/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٨، طبقات ابن سعد ٥١٣/٧.

الرسول الأكرم بمهمّة الدعوة والإرشاد إلى دين الله في ربوع اليمن، وتبشير الناس بالخير وأمرهم به، وتعليمهم القرآن وتفقيههم فيه.

ومن بين هؤلاء الصحابة عليّ بن أبي طالب، فقد بعثه الرسول ﷺ قاضيا ومعلّما، فعن عليّ قال بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء، قال: فضرب بيده في صدري ثمّ قال: **«اللّهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه»**، قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين[١].

ثمّ قسّم بعد ذلك رسول الله ﷺ اليمن على خمسة رجال: خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء، والمهاجر بن أبي أميّة على كندة، وزياد بن لبيد على حضرموت، وأبي موسى الأشعري على زبيد وزمعة وعدن والساحل، ومعاذ بن جبل على الجند ـ من مدن اليمن القديمة ـ[٢].

وعهد الرسول ﷺ إلى معاذ بن جبل وأهل اليمن حين ولاّه أمرهم فيهم بكتاب ضمّنه تعليماته ووضع له فيه الوظائف والصلاة والسنن والشرائع.

وبعث كذلك بعمرو بن حزم عاملاً على اليمن ليفقّه أهلها في الدين ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم الصدقات، وكتب له كتاباً عهد فيه عهده وأمره فيه أمره[٣].

وعلى هؤلاء الصحابة وغيرهم ممّن نزل اليمن تخرّج ثلّة من أعلام التابعين اشتهر منهم بالخصوص:

*** ١ *: طاووس بن كيسان[٤]:**

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام.
(٢) الاستيعاب ٣٥٧/٣، شذرات الذهب ٤٥/١.
(٣) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٢٠٦ ـ ٢١٥.
(٤) تذكرة الحفاظ ٩٠/١، مرآة الجنان ٢٥٥/١ ـ ٢٥٦، شذرات الذهب ٢٣٧/١، البداية والنهاية ٢٣٥/٩ ـ ٢٣٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٣، إعلام الموقعين ٢٢/١، مرآة الجنان ٢٥٥/١.

هو الفقيه الإمام طاووس بن كيسان اليماني الجندي الخولاني (١٠٦هـ) شيخ أهل اليمن وبركتهم ومفتيهم.

كان أحد الأئمة والسادات الأعلام علماً وعملاً، جليل القدر نبيل الذكر وأعلم التابعين بالحلال والحرام، جمع العبادة والزهد والعلم النافع والعمل الصالح.

أدرك خمسين من الصحابة، وسمع من زيد بن ثابت وعائشة أمّ المؤمنين وأبي هريرة وزيد بن أرقم وعبدالله بن عباس، وهو من أكبر أصحاب عبدالله بن عباس، وأكثر روايته عنه[1].

يعدّ طاووس أوّل طبقة أهل اليمن من التابعين، وذكر بعضهم أنّه ولّي قضاء صنعاء والجند، ووليه بعده ابنه عبدالله.

روى عنه كثير من أعلام التابعين منهم مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وإبراهيم بن ميسرة ومحمد بن المنكدر وابن شهاب الزهري وحبيب بن أبي ثابت ووهب بن منبه والمغيرة بن حكيم الصنعاني وابنه عبدالله بن طاووس، وغير هؤلاء.

*** شهادة التابعين وتابعيهم له بالفضل والعلم:**

قال بعض السلف: أعلمهم بالحلال والحرام طاووس، وقال عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم: فقيه أهل اليمن طاووس، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً قط مثل طاووس، وقال قيس بن سعد: كان طاووس فينا مثل ابن سيرين في أهل البصرة.

وروى سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة أنّه حلف وهو مستقبل الكعبة فقال: وربّ هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلاّ طاووس.

---

(١) ولأنّه كان من خاصّة تلاميذ ابن عباس اعتبره البعض من فقهاء مكّة ومفتيها (ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٨٩/٥، ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ٢٤/١).

*** ما أثر عنه من أقوال:**

قال طاووس لابنه: يا بنيّ صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهّال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أنّ لكلّ شيء غاية، وغاية المرء حسن عقله.

ولمّا ولّي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كتب إليه طاووس: إن أردت أن يكون عملك خيراً كلّه فاستعمل أهل الخير، فقال عمر: كفى بها من عظة.

وقال لعطاء بن أبي رباح: إيّاك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابه، وعليك بطلب من بابه مفتوح إلى يوم القيامة.

وجلس مرّة أحد أبناء سليمان بن عبدالملك إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين سليمان، فلم تلتفت إليه، فقال: أردت أن يعلم هو وأبوه أنّ للّه عبادا يزهدون فيهم وفيما في أيديهم.

ولكثرة ما كان يحجّ إلى بيت الله، اتّفق موته بمكّة قبل التروية بيوم، سنة ١٠٦هـ وقيل سنة ١٠٥هـ فلم يتهيّأ إخراج جنازته لكثرة الناس حتّى وجّه أمير مكّة بالحرس، وكان عبدالله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب قد وضع السرير على كاهله، فسقطت قلنسوة كانت على رأسه ومزّق رداؤه من خلفه لشدّة الزحام.

*** ٢ *: وهب بن منبه[١]:**

هو التابعي الجليل أبو عبدالله وهب بن منبه الصنعاني (١١٤هـ).

أدرك عدّة من الصحابة وأسند عن عبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله والنعمان بن بشير، وروى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة، وروى كذلك عن طاووس.

---

(١) البداية والنهاية ٢٧٦/٩ ـ ٣٠٢، مرآة الجنان ٢٧٤/١، شذرات الذهب ٢٦١/١.

ولي القضاء لعمر بن عبدالعزيز، وكان شديد الاعتناء بكتب الأوّلين وأخبار الأمم وقصص الماضين، حتى كان يشبّه بكعب الأحبار في زمانه.

تُروى عنه أقوال حسنة وحكم ومواعظ، من ذلك قوله: مثل من تعلّم علماً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به، وقوله: إذا أردت أن تعمل بطاعة الله فاجتهد في نصحك وعملك للّه، فإنّ العمل لا يقبل ممّن ليس بناصح، والنصح للّه لا يكمل إلاّ بطاعة الله، كمثل الثمرة الطيّبة ريحها وطعمها كذلك طاعة الله، النصح ريحها والعمل طعمها، ثمّ زيّن طاعتك بالحلم والعقل والفقه والعمل، ثمّ أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعبيد الدنيا وعبّدها على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين، وعوّدها فعل الحكماء، وامنعها عمل الأشقياء، وألزمها سيرة الأتقياء، واعزبها عن سبل الخبثاء.

وكان يقول: أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا، وأسرعها ردا اتّباع الهوى وحبّ المال، ومن حبّ المال تنتهك المحارم، ومن انتهاك المحارم يغضب الله، وغضب الله ليس له دواء.

وكان يقول: إن تبت تائباً وتصبح نادماً خير لك من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً، ويقول: إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدل بعلمك.

توفي سنة ١١٤هـ وقيل سنة ١١٠هـ وقيل غير ذلك.

*** ٣ *: حنش بن عبدالله:**

هو حنش بن عبدالله ـ وقيل بن عمرو ـ الصنعاني (١٠٠هـ) تابعي جليل، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة منهم رويفع بن ثابت وأبي هريرة.

كان مع الإمام عليّ بالكوفة ثمّ نزل إفريقية، فكان والياً عليها وعلى

بلاد المغرب، وهو أوّل من ولّي عشور إفريقية في الإسلام، وكانت وفاته بإفريقية غازيا سنة ١٠٠هـ[١].

*** ٤ *: عبدالله بن طاووس:**

هو عبدالله بن طاووس بن كيسان اليماني (١٣٢هـ) روى عن أبيه، وكان من أعلم الناس بالعربية وأحسنهم خلقا وما رئي ابن فقيه مثله[٢].

**المركز الثامن: إفريقيّة التونسيّة:**

أذن الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان لواليه على مصر عبدالله بن أبي سرح بتسيير الجيوش نحو إفريقية التونسية، فخرج المسلمون سنة ٢٧هـ في نحو عشرين ألف بينهم عدد كبير من الصحابة والتابعين، وعلى رأسهم العبادلة، فدخلوا إفريقية وبلغوا قصور قفصة، واستقروا بسبيطلة لأكثر من سنة.

ولمّا استقرّ الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سيّر لإفريقية واليه الجديد على مصر معاوية بن خديج سنة ٤٥هـ في جيش عدّته عشرة آلاف مقاتل به جلّة الصحابة والتابعين، استطاع أثناءها عبدالله بن الزبيّر من دخول مدينة سوسة، وتمكّن عبدالملك بن مروان من دخول مدينة بنزرت، كما تمكّن رويفع بن ثابت الأنصاري من السيطرة على جزيرة جربة.

حتى إذا كانت سنة ٥٠هـ سيّر معاوية جيشا بقيادة عقبة بن نافع، فمكث بإفريقية خمس سنوات وكان أوّل ما قام به تخطيط القيروان وبناء جامعها الذي عرف باسمه، ثمّ أعقب هذه الخطوة الهامّة دخول حسّان بن النعمان سنة ٧٣هـ الذي أسّس مدينة تونس.

ومن وقتها أصبحت إفريقية تحت إشراف ولاّة يعيّنهم الخليفة كنوّاب عنه، وسرعان ما أخذت القيروان حظّها من العلوم فأصبحت مركزا من مراكز

---

(١) البداية والنهاية ١٨٧/٩، شذرات الذهب ٢١٣/١، طبقات علماء إفريقية وتونس ص ٨١.

(٢) مرآة الجنان ٣٠١/١، شذرات الذهب ٣١٧/١.

العلم والثقافة، كما أصبحت مدينة تونس من أهمّ المدن الإفريقية علماً وفقهاً[١].

وقد استوفى كلّ من المالكي في رياضه والدبّاغ في معالمه عدد أصحاب رسول الله ﷺ الذين دخلوا إفريقية فبلغوا تسعاً وعشرين أو ثلاثين صحابيّا منهم من شهد العقبة، ومنهم من شهد بدراً وما بعدها من المشاهد ومنهم من شهد بيعة الرضوان[٢]، وأشهر هؤلاء: عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهني ورويفع بن ثابت وعبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق ومعاوية بن خديج وأبو زمعة البلوي دفين القيروان.

وأردف الدبّاغ بذكر اثني عشر آخرين وصفهم بأنّهم من صغار الصحابة، وذكر أنّ بعضهم ممّن ولد على عهد الرسول ﷺ ولم يره، وبعضهم رآه ولم يسمع منه وبعضهم كان مسلماً في حياته[٣]، وأشهر هؤلاء: عاصم بن عمر بن الخطاب وعقبة بن نافع وعبيدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالرحمٰن بن زيد بن الخطاب وعبدالرحمٰن بن العباس وأبو منصور الفارسي - مولى سعد بن أبي وقاص - وهو ممّن سكن القيروان، وكان مقرئاً ومحدّثاً وفقيهاً ومفتياً.

ثمّ عدّ جملة من علماء التابعين وصلحائهم وأفاضلهم الذين سكنوا القيروان واختطوا بها المساجد والدور وكان لأكثرهم بها عقب - وعدّتهم ٢٦ تابعيًّا -[٤]، وأشهر هؤلاء: حنش بن عبدالله الصنعاني من أعلام فقهاء اليمن،

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٨٨/٣ وما بعدها، ابن عذارى: البيان المغرب ٨/١ - ١٣، المالكي: رياض النفوس ١٤/١ - ٥٧، ابن خلدون: العبر ١١٩/٢ - ١٢٩ و١٠٧/٦، الدبّاغ: معالم الإيمان ٣٣/١ - ٦٩، ابن أبي دينار: المؤنس ص ٢٦ - ٢٧.

(٢) رياض النفوس ٦٠/١ - ٩٨، معالم الإيمان ٧١/١ - ١٥١.

(٣) معالم الإيمان ١٦١/١ - ١٧٨، طبقات علماء إفريقية وتونس ص ٦٥ - ٧٨.
وفي قوله: ممّن ولد على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وقوله: وبعضهم كان مسلماً في حياته، في ذلك نظر، إذ من شروط إطلاق الصحبة الرؤية (مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٦).

(٤) رياض النفوس ٩٩/١ - ١٤٠، معالم الإيمان ١٨٠/١ - ٢٢٣، طبقات علماء إفريقية وتونس ص ٧٩ - ٨٣.

وقد سكن القيروان واختطّ بها داراً ومسجداً، ومحمد بن أوس الأنصاري الذي اشتهر بالفقه والرواية، وعلي بن رباح اللخمي الذي سكن القيروان واختط بها مسجداً وداراً لسكناه، وتفقّه عليه أهلها، وعكرمة مولى ابن عباس الذي قدم القيروان وأقام بها وكان له مجلس علم في مؤخرة جامع عقبة غربي المنارة.

ومن هؤلاء التابعين أيضاً: الفقهاء العشرة الذين بعث بهم الخليفة الراشدي عمر بن عبدالعزيز إلى هذا المركز الإسلامي الجديد، حيث أرسل على رأس المائة إلى إفريقية بعثة علميّة تتألّف من عشرة من كبار الفقهاء من أعلام التابعين، اختارهم من أهل العلم والفضل، وعيّن عليهم رئيساً للبعثة ووالياً على إفريقية إسماعيل بن أبي المهاجر، فنزل هؤلاء العشرة مدينة القيروان ونشروا مبادىء الإسلام بربوع إفريقية، وفقّهوا الناس في أصول الدين وفروعه، وبثّوا الوعي وأشاعوا العلم بهذا المركز الفقهي الجديد.

وكان هؤلاء العشرة الأفاضل قد نزلوا القيروان واستقرّوا بها حتى غدت أمّ المدن الإفريقية، تعجّ علماً وفقهاً وتشعّ على البلاد القريبة منها، وعظم بفضل القيروان شأن إفريقية كلّها ونشأ فيها جيل نشط في طلب العلم، وسعى سعيا حثيثا من أجل التفقّه في الدين.

وهؤلاء الفقهاء العشرة الذين كان لهم هذا الفضل هم:

*** ١ *: إسماعيل بن عبيدالله:**

هو إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر المخزومي (١٣٢) كان فقيهاً صالحاً فاضلاً زاهداً حسن السيرة.

روى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب وفضالة بن عبيد، وروى عنه الإمام الأوزاعي وسعيد بن عبدالعزيز وعبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم.

استعمله عمر بن عبدالعزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقّههم

في الدين، فسار بينهم بالحقّ وكان حريصاً على إسلامهم فأسلم المغرب كلّه على يديه، وكانت وفاته بالقيروان[١].

*** ٢ *: سعيد بن مسعود التجيبي:**

هو أبو مسعود سعيد بن مسعود، سكن القيروان وبثّ فيها علماً كثيراً، وكان رجلاً صالحاً عالماً مشهوراً بالدين والفضل، وكان قليل الهيبة للملوك، لا تأخذه في الله لومة لائم.

صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم، منهم أبو الدرداء.

أثر عنه أنّه كان يقول: إذا رأيت العبد دنياه تزداد وآخرته تنقص، مقيماً على ذلك راضياً به، فذلك المغبون الذي ينقص دينه وهو لا يشعر.

وكان يقول: صامت سالم خير من ناطق آثم.

وسئل: أيّ الجلساء أشرّ مجالسة، فقال: من يغفلكم قوله، ومن تفتنكم رؤيته، ومن يدعوكم إلى دنياكم فعله.

وسئل عن الذي يزيّن العالم عند من جالسه، فقال: كثرة صمته وقلّة غضبه وحسن خلقه ولينه وخشوعه وتواضعه[٢].

*** ٣ *: موهب بن حيي:**

هو موهب بن حيي المعافري، كان من فضلاء التابعين، روى عن عبدالله بن عباس وغيره من الصحابة.

سكن القيروان وبثّ بها علماً كثيراً وبها كانت وفاته، وهو أحد

---

(١) رياض النفوس ١/١١٥ ـ ١١٧، معالم الإيمان ١/٢٠٣ ـ ٢٠٥، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٨٧، رياض النفوس ١/١٠٢ ـ ١٠٦، معالم الإيمان ١/١٨٤ ـ ١٨٧.

العشرة التابعين[١].

*** ٤ *: طلق بن جابان:**

هو طلق بن جابان ـ وقيل ابن جعبان ـ الفارسي، كان فقيهاً عالماً، كان يفقّه أهل مصر، وقد عدّه أبو العرب في طبقاته من الفقهاء العشرة الذين بعثهم ليفقّهوا أهل إفريقية[٢].

*** ٥ *** عبدالله بن يزيد:

هو أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن يزيد المعافري (١٠٠هـ) الإفريقي الحبلي، روى عن أبي أيّوب الأنصاري وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب وفضالة بن عبيد الأنصاري وعقبة بن عامر وأبي ذر الغفاري وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وغيرهم.

كان صالحاً ثقة فاضلاً، بعثه عمر بن عبدالعزيز ليفقّه أهل إفريقية فانتفعوا به وبثّ فيها علماً كثيراً.

سكن القيروان واختطّ بها داراً ومسجداً وبها مات[٣].

*** ٦ *: إسماعيل بن عبيد الأنصاري:**

كان من أهل الفضل والعبادة والنسك، كثير الصدقة والمعروف مع علم وفقه، سمّي تاجر الله لأنّه جعل ثلث كسبه للّه عزّ وجلّ يصرفه في وجوه الخير.

روى عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو، وروى عنه من أهل إفريقية بكر بن سوادة الجذامي وعبدالرحمٰن بن زياد بن

---

(١) رياض النفوس ١١٠/١ ـ ١١١، معالم الإيمان ٢١٣/١.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٨٦، رياض النفوس ١١٧/١ ـ ١١٨، معالم الإيمان ٢١٥/١.

(٣) طبقات علماء إفريقية ص ٨٦، رياض النفوس ٩٩/١ ـ ١٠١، معالم الإيمان ١٨٠/١، تهذيب التهذيب ٨١/٦ ـ ٨٢.

أنعم، ومن أهل مصر: عمران بن عوف الغافقي ومحارث بن يزيد وغيرهم.

كان من العلماء الكرماء، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير من أهلها، وهو أحد العشرة التابيعين الذين بعثهم عمر يفقّهون أهل إفريقية، فلم يزل مقيماً بالقيروان إلى أن حضرته نيّة في الجهاد، فخرج لغزو صقليّة فغرق في البحر ومات وهو معانق المصحف الشريف سنة ١٠٧هـ[١].

*** ٧ *: عبدالرحمٰن بن رافع:**

هو أبو الجهم عبدالرحمٰن بن رافع التنوخي (١١٣هـ) قاضي إفريقية، وأحد الفقهاء الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز ليفقّهوا أهل إفريقية.

كان من فضلاء التابعين روى عن عبدالله بن عمر، وجماعة من الصحابة، وعنه أخذ عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم وبكر بن سوادة وغيرهم.

سكن القيروان، وهو أوّل من استقضي بها بعد فتحها، ولاّه عليها موسى بن نصير سنة ٨٠هـ، كان عدلاً في أحكامه، ثقة في نفسه، توفّي بالقيروان[٢].

*** ٨ *: جعثل بن هامان:**

هو جعثل بن هامان بن عمير - وقيل بن هاعان بن عمرو - الرعيني (١١٥هـ) تابعي، وأحد القرّاء الفقهاء، بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى المغرب ليقرئهم القرآن.

كان قاضي الجند بإفريقية في زمن هشام بن عبدالملك[٣].

---

(١) طبقات علماء إفريقية ص ٨٤ - ٨٦، رياض النفوس ١٠٦/١ - ١٠٩، معالم الإيمان ١٩١/١.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٨٦، الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ص ٣٠٣، رياض النفوس ١١٠/١، معالم الإيمان ١٩٨/١، تهذيب التهذيب ١٨٦/٦.

(٣) رياض النفوس ١١٤/١ - ١١٥، تهذيب التهذيب ٧٩/٢.

*** ٩ *: حبان بن أبي جبلة:**

هو حبان بن أبي جبلة القرشي (١٢٥هـ)، كان من أهل الفضل والدين.

روى عن عبدالله بن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبدالله بن عمرو، بعثه عمر بن عبدالعزيز مع جماعة من أهل مصر ليفقّهوا أهل إفريقية، فسكن القيروان وانتفع به أهلها، وبها توفّي سنة ١٢٥هـ، وقيل سنة ١٢٢هـ[١].

*** ١٠ *: بكر بن سوادة:**

هو أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي (١٢٨) المصري، كان من صلحاء التابعين وفقهائهم، أرسله عمر بن عبدالعزيز إلى أهل إفريقية ليفقههم.

روى عن عقبة بن عامر وعبدالله بن عمرو وسهل بن سعد وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيّب وابن شهاب الزهري.

سكن القيروان، وبها توفّي[٢].

ونحن إذا تأمّلنا في هذا العقد الثمين ـ كما قال العلامة الفاضل بن عاشور ـ تبيّن لنا أنّ فرائده قد جمعت من أنساب مختلفة، من المهاجرين والأنصار، ومن العدنانيّة والقحطانيّة، ومن الصريح ومن الموالي، ومن العرب والعجم، فلم يجمعهم إلاّ وصف الفقه في الدين، فكانوا بذلك آباء روحانيين للأجيال الإسلاميّة الصاعدة، وأصول أنساب موصولة في الإسلام بأقوى من أواصر الأرحام، روحانيين للأجيال الإسلاميّة الصاعدة، وأصول أنساب موصولة في الإسلام بأقوى من أواصر الأرحام، فبهم

---

(١) الإصابة ٣٧٢/١، رياض النفوس ١١١/١ ـ ١١٢، معالم الإيمان ٢٠٩/١، تهذيب التهذيب ١٧١/٢.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٨٦، رياض النفوس ١١٢/١ ـ ١١٣، معالم الإيمان ٢١١/١ ـ ٢١٣، تهذيب التهذيب ٤٨٣/١.

انتشرت المساجد وعمّ تغيير المنكر وشاع القرآن والحديث والفقه، واستقامت سيرة الناس على الآداب الشرعيّة[١].

واشترك مع هذا العقد الثمين في تعليم أهل إفريقية معالم الإسلام وأصول الدين، أعلام آخرون وفدوا من المشرق إلى المغرب أبرزهم:

* التابعي الجليل عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني الذي سكن القيروان وتولّى قضاءها[٢].

* وأبو غطيف بشر الهذلي الذي سكن القيروان واختطّ بها، وتزوّج بنت بكر بن سوادة[٣].

* والقاضي أبو كريب جميل بن كريب المعافري الذي تولّى قضاء القيروان، وكان من أهل العلم والفقه وكان عدلاً فاضلاً، حسن السيرة، كثير التواضع[٤].

* والتابعي الجليل يحيى بن سعيد الأنصاري القاضي المدني الذي أرسله عمر بن عبدالعزيز عاملاً على الصدقات فنزل مدينة تونس وأخذ عنه أهلها، وجالس بها خالد بن أبي عمران التجيبي التونسي[٥].

وقد نزل كذلك بإفريقية الكثير من التابعين الذين أقاموا بها مدّة من الزمان، ثمّ ارتحلوا عنها[٦].

وهكذا تحوّلت القيروان مركزا علميّا يشعّ على جميع أنحاء إفريقية،

---

(١) ابن عاشور محمد الفاضل: أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٨٨ ـ ٨٩، رياض النفوس ١٢٦/١ ـ ١٢٧.

(٣) طبقات أبي العرب ص ٩١، رياض النفوس ١٢٢/١.

(٤) طبقات علماء إفريقية ص ٢١٧ ـ ٢١٩، رياض النفوس ١٦٨/١ ـ ١٧٢، معالم الإيمان ٢٢٤/١ ـ ٢٢٩.

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٦، تهذيب التهذيب ٢٢١/١١ ـ ٢٢٢.

(٦) رياض النفوس ١٤١/١ ـ ١٥٠، معالم الإيمان ٢٤٤/١ وما بعدها.

وكان لمدينة تونس نوع من المشاركة مع القيروان في قيادة هذا المركز الفقهي في هذا الدور.

فكان من آثار ذلك أن نشأ بإفريقية جيل من مواليد هذه البلاد حبّب إلى نفوسهم الجلوس إلى شيوخ العلم فانكبّوا على حلقات العلماء الوافدين من المشرق، وكان في مقدّمة هذا الجيل الجديد:

* عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم المعافري (١٦١هـ) وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بعد فتح إفريقية تلقّى العلم عن جميع أعضاء البعثة العلميّة ـ الفقهاء العشرة ـ وتلقّى عنه العلم الكثير من فضلاء وأعلام المشرق من أمثال سفيان الثوري وعبدالله بن لهيعة وعبدالله بن وهب وعبدالله بن المبارك، كما تلقّى عنه الكثير من أعلام أهل القيروان.

كان ابن أنعم من جلّة المحدّثين منسوبا إلى الزهد والورع متفنّنا في علوم شتّى، سكن القيروان وولّي قضاءها في عهد بني أميّة فسار بالعدل حتى رفع الله قدره وأعلى مناره، فأقام على قضائها إلى سنة ١٣٢هـ تاريخ زوال ملك بني أميّة[١].

* خالد بن أبي عمران التجيبي (١٢٥هـ) قاضي إفريقية وعالم أهل المغرب وفقيههم، وقد كان أبوه قدم مع جيش حسّان بن النعمان سنة ٧١هـ، واستوطن مدينة تونس فولد له فيها خالد، فحفّظه أبوه القرآن.

وروى عنه وعن بعض القيروانيين، وتلقّى العلم عن القاضي يحيى بن سعيد، ثمّ رحل إلى المشرق وسمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومن سالم بن عبدالله بن عمر ومن عروة بن الزبير حتى أصبح فقيهاً بصيراً بالفتوى، وتولّى قضاء تونس إلى أن توفّي[٢].

---

(١) طبقات علماء إفريقية وتونس ص ٩٥ ـ ١٠٥، رياض النفوس ١/١٥٢ ـ ١٦٢.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٢١٢ ـ ٢١٥، رياض النفوس ١/١٦٢ ـ ١٦٦.

وكانت الأندلس في هذا الدور تابعة للقيروان، وكان والي القيروان هو المسؤول عن تعيين نوابه بالأندلس، وقد تمّ تكليف ثلّة من أعيان الفقهاء الفاتحين بتولّي مهمّة تعليم أهالي الأندلس[١].

ويبدو أنّ أهل الأندلس لم يعدموا من خدمات البعثة العلميّة التي أرسل بها عمر بن عبدالعزيز إلى القيروان نتيجة الاتصال المتين والترابط الوثيق الذي كان بين إفريقية والأندلس.

ولذلك يمكن أن نعتبر أنّ النشاط العلمي في الأندلس قد بدأ منذ هذا الدور غير أنّه لم يكن بالشمول والاتساع كما هو الحال في شأن القيروان.

وقد كان من أوائل الأعلام الذين علّموا الناشئة بالأندلس الغازي بن قيس (١٩٩هـ) الذي انتصب لتعليم الناس قبل قيام الدولة الأمويّة سنة ١٣٨هـ.

غير أنّ هذا المركز الفقهي الذي يبدو تابعاً للقيروان في هذا الدور ستتّضح معالم نشاطه لاحقا، وسيبرز بالخصوص مع بداية الدور القادم.

**المركز التاسع: خراسان:**

خراسان الإقليم الواقع في شرق إيران على الحدود السوفياتية والأفغانية، ومن مدنها هراة وبلخ ومرو وسمرقند ونيسابور العاصمة القديمة، وتتقاسم خراسان اليوم إيران الشرقية وأفغانستان وتركمانستان.

وقد نزل بعض أصحاب رسول الله ﷺ خراسان، فكان ممّن نزلها

---

(١) تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنّ موسى بن نصير الذي ولّي القيروان من سنة ٨٥هـ إلى سنة ٩٦هـ خلفا لحسّان بن ثابت، قد عيّن من جنوده ثلّة من الفقهاء أمرهم بتعليم أهل إفريقية القرآن وتفقيههم في الدين، ويروى أنّه ترك سبعين رجلاً يعلّمون الناس مبادىء الإسلام، واتّبع نفس النهج في الأندلس حيث أوصى طارق بن زياد واليه على طنجة وفاتح الأندلس سنة ٩٢هـ، بتكليف ثلّة من الفقهاء الفاتحين بتعليم أهل الأندلس القرآن ومبادىء الإسلام.

وتوفّي بها: بريدة بن حصيب الأسلمي المدفون بمرو، وأبو برزة الأسلمي والحكم بن عمرو الغفاري وعبدالله بن خازم الأسلمي المدفون بنيسابور، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند[١].

وفي هذه الديار البعيدة عن الإسلام برز بعض أجلّة التابعين الذين تكوّن بهم هذا المركز الفقهي الجديد، وكان من أشهرهم: الضحّاك بن مزاحم وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والربيع بن أنس وغيرهم.

*** ١ *: الضحّاك بن مزاحم:**

هو التابعي الجليل الضحّاك بن مزاحم الهلالي (١٠٢هـ) الخراساني، من أهل بلخ.

كان إماماً في التفسير حتى إنّ سفيان الثوري كان يقول: خذوا التفسير عن أربعة: مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحّاك.

وكان معلّما وفقيه مكتب عظيم - أي مدرسة كبيرة - يحوي ثلاثة آلاف صبيّ، فكان يركب حماراً ليدور عليهم إذا عيي، وكان يعلّم الصبيان حسبة.

توفي سنة ١٠٢هـ وقيل قبل ذلك بسنة، وقيل بعد ذلك[٢].

*** ٢ *: عطاء بن أبي مسلم:**

هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني (١٣٥هـ) وكان كثير الإرسال عن الصحابة، وكان إذا غزا يحيي الليل صلاة إلاّ نومة السّحر، وكان يعظ القوم ويحضّهم على التهجّد.

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٩٤، طبقات ابن سعد ٣٦٥/٧ - ٣٦٧.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٩٣، البداية والنهاية ٢٢٣/٩، مرآة الجنان ٢٤٢/١، شذرات الذهب ٢٢٣/١.

كان جوالة، وكان يقول: أوثق عمل في نفسي نشر العلم[١].

توفّي سنة ١٣٥هـ وقد بلغ من العمر ٨٥ سنة.

*** ٣ *: الربيع بن أنس:**

كان من أهل البصرة، وقد لقي عبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك، وكان قد هرب من بطش الحجّاج، تخلّص إليه عبدالله بن المبارك وهو مختف فسمع منه أربعين حديثاً[٢].

تلك هي المراكز التسعة التي كان لها نشاط خصب في مجال الفقه في هذا الدور، والتي قام عليها أعلام من الصحابة والتابعين كانوا قد انتصبوا للفتوى بها، حتى تكوّن بكلّ مركز من تلك المراكز التسعة أتباع حملوا لواء الاجتهاد وكانوا خير خلف لخير سلف.

واقتصارنا على هذه المراكز التسعة دون غيرها لا يعني خلوّ ما سواها من البلاد من نور الهداية، ذلك أنّ البلاد المفتوحة من شرقها إلى غربها لم تعدم من وجود المفتين والمقرئين والمحدّثين الذين ملؤوا الأرض علماً وفقها وعمّوا الشرق والغرب نورا وهداية.

وإنّما قصدنا من ذلك ذكر من كانت لها شهرة عن غيرها بوجود حركة فقهيّة نشيطة بها.

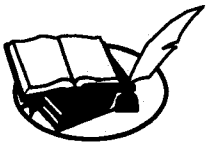

(١) مرآة الجنان ٣٠٥/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٩٣، شذرات الذهب ٣٢٥/١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٦٩/٧.

# حركة تدوين الفقه في هذا الدور

سبق أن بيّنا أنّ اعتماد أصحاب رسول الله ﷺ في تلقّي العلم عنه كان مقتصرا على استعداداتهم في الحفظ وطاقاتهم في الاستيعاب، ذلك أنّ الرسول الأكرم قد نهى بادىء الأمر عن كتابة غير القرآن وتدوينه لئلاّ يتّخذ مع القرآن كتاب يضاهيه، ثمّ نسخ هذا النهي فجاء الإذن بالكتابة بعد أن زالت الموانع الداعية إلى ذلك.

ورغم الإذن العام بجواز الكتابة والتقييد فإنّ كثيراً من الصحابة لم يكونوا يكتبون وإنّما كانوا يحفظون، ومن كان يكتب منهم الشيء فإنّما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه، ذلك أنّ العرب كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك[1].

## حركة تدوين الفقه في المرحلة الأولى من هذا الدور.

رغم أنّ أكثر الصحابة في هذا العصر كانوا يتكلّمون من حفظهم ويروون العلم من صدورهم فإنّ أخباراً صحيحة كثيرة تؤكّد أنّ بعض أصحاب الرسول ﷺ قد كتبوا صحفا عديدة في هذه المرحلة، وألّفوا ورقات في الفقه اصطلحوا على تسميتها بالكتب غير أنّها كما يبدو من خلال الآثار والأخبار الواردة في شأنها، والعصر الذي تنتمي إليه لا تعدو أن تكون أكثر من ورقات في مسائل من الفقه متعدّدة أو هي عبارة عن

(١) جامع بيان العلم وفضله ٧٧/١ و٨٢/١ ـ ٨٣.

رسائل متضمّنة لضوابط فقهيّة وفتاوى محدّدة في قضايا معيّنة.

وقد اشتهر منها:

* كتاب في الصدقات كان عند أبي بكر الصديق وجّه به إلى أنس بن مالك حين ولاّه عاملاً على البحرين جاء فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين التي أمر الله بها رسول الله ﷺ فمن سئلها من المؤمنين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعطه[١].

* واشتهرت كذلك رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري، ورسالته إلى معاوية بن أبي سفيان، وكتابه في الصدقات الذي كتب عمر بن عبدالعزيز في شأنه - حين تولّى الخلافة - إلى سالم بن عبدالله يطلب منه أن يكتب إليه به ففعل[٢].

* كما اشتهرت أيضاً صحيفة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وفيها: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر[٣].

* وكان عند عبدالرحمٰن بن عبدالله بن مسعود كتاب حلف أنّه خطّ أبيه بيده[٤].

* ويبدو أنّه كان لزيد بن ثابت أيضاً كتاب مشهور في الفرائض، هو مجموع رسائله في هذا الفنّ، حيث كان يكتب بها إلى أصحاب رسول الله حين يسألونه.

وقد حفظ لنا موطّأ الإمام مالك قطعة من رسالة زيد بن ثابت إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، وأبو داود في سننه، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الزكاة.
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٣١.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم وأحمد في مسند العشرة المبشّرين بالجنّة، واللفظ للبخاري.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ٨٦/١.

معاوية بن أبي سفيان حين كتب إليه يسأله عن الجدّ[١] كما حفظ لنا الإمام البيهقي في سننه الكبرى مجموعة صالحة من هذه المسائل والأحكام حيث أفرد في كتاب الفرائض باباً خاصّاً في ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة أجمعين في علم الفرائض، وذكر جزءاً هاماً من هذه الرسالة في باب: «من ورث الإخوة للأب والأمّ أو للأب مع الجدّ»، وذكر في مناسبتين من هذا الباب: أنّ عبدالرحمٰن بن أبي الزناد قال: أخذ أبو الزناد هذه الرسالة من خارجة بن زيد بن ثابت ومن كبراء آل زيد بن ثابت»، وأنّ أبا الزناد قد أخذ هذه الرسالة بطولها[٢].

وقد ورد في القطعتين المتبقّيتين عند الإمام البيهقي تسمية هذه الرسالة بالصحيفة حيث جاء فيهما قول زيد بن ثابت إلى معاوية «نحو الذي كتبت به إليك في هذه الصحيفة»[٣].

وممّا يزيد في أهميّة هذه الرسالة أنّ أبا الزناد عبدالرحمٰن بن ذكوان (١٣١هـ) قد قام بشرحها وتفسيرها، في هذه المرحلة المتقدّمة من تاريخ الفقه الإسلامي، وروى هذا الشرح ابنه عبدالرحمٰن بن أبي الزناد، تدلّ على ذلك عبارة تكرّر ورودها عن عبدالرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري عن أبيه زيد بن ثابت **أنّ معاني هذه الفرائض وأصولها عن زيد بن ثابت، وأمّا تفسيرها فتفسير أبي الزناد على معاني زيد بن ثابت.**

هذه العبارة تكرّر ورودها في اثني عشر موضعا من أبواب كتاب الفرائض، وهي كالآتي[٤]:

* باب من لا يرث من ذوي الأرحام.

---

(١) الموطّأ، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدّ ٢/٥١٠، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/٢٤٩.

(٢) السنن الكبرى ٦/٢١٢، و٦/٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٣) السنن الكبرى ٦/٢٤٧ و٢٤٩.

(٤) السنن الكبرى ٦/٢١٣ و٢٢٥ و٢٢٦ و٢٢٧ و٢٢٩ و٢٣١ و٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٦ و٢٣٨ و٢٤٥ و٢٥٠.

* باب حجب الإخوة والأخوات من كانوا بالأب والابن وابن الابن.
* باب لا ترث مع الأمّ جدّة.
* باب فرض الزوج والزوجة.
* باب ميراث أولاد الابن.
* باب فرض الإخوة والأخوات للأمّ.
* باب ميراث الإخوة والأخوات لأب وأمّ أو لأب.
* باب ميراث الأب.
* باب توريث ثلاث جدّات متحاذيات أو أكثر.
* باب ترتيب العصبة.
* باب ميراث الجدّ.
* باب كيفيّة المقاسمة بين الجدّ والإخوة والأخوات.

هذه القطع المتبقيّة التي وصلتنا في فنّ علم الفرائض لها أهميّتها التاريخيّة، حيث أنّها تعتبر من أقدم الرسائل الفقهيّة، وفترة كتابتها تفيدنا في فهم نشأة وتاريخ تطوّر حركة التدوين ومساره.

وذكر ابن حجر العسقلاني خلال ترجمته لأبي الزناد أنّه كان فقيهاً صاحب كتاب[١] لكنّه لم يذكر اسم الكتاب، ولعلّه أن يكون ذلك الكتاب الذي شرح به كتاب زيد بن ثابت في الفرائض.

**حركة تدوين الفقه في المرحلة الثانية من هذا الدور.**

توجد نقول كثيرة تؤكّد أنّ ابن شهاب الزهري كان أوّل من دوّن العلم وكتبه[٢].

---

(١) تهذيب التهذيب ٢٠٥/٥.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٨٨/١ و٩١.

وكان التابعي الجليل مكحول (١١٣هـ) قد ألّف كتاباً في مناسك الحجّ، فقد جاء في تهذيب التهذيب أنّ أبا مسهر أخبر عن سعيد بن عبدالعزيز أنّ كتاب مكحول في الحجّ أخذه من العلاء بن الحارث، وقال أبو مسهر: إليه أوصى مكحول[١].

وذكر ابن النديم أنّه كان لمكحول من الكتب: كتاب السنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه[٢].

والظاهر أنّ تدوين الفقه في هذا الدور لم يكن كالتدوين الذي تمّ لاحقاً، من حيث دقّة الترتيب ووضوح المنهج، وتقسيم الكتاب وتبويبه، وإنّما كان فيما يبدو عبارة عن تدوين لمسائل غير مبوّبة على أبواب العلم المعروفة في كتب الفقه لاحقاً، والأغلب أنّها كانت هذه مختلطة بأحكام الفقه الأكبر وقضايا الأصول، على منوال ما كان يدور في مجالس العلماء من طرح قضايا مختلفة تتعلّق بعلوم شتى.

وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كلّ أمر جديد، فقد روي عن أبي الزناد قال: كنّا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلّ ما يسمع، فلمّا احتيج إليه علمت أنّه أعلم الناس[٣].

غير أنّ الملفت للنظر أنّ ابن قيم الجوزيّة يذكر أنّ محمّد بن نوح ـ من أعلام المفتين بالمدينة ـ جمع فتاويه في ثلاثة أسفار ضخمة على أبواب الفقه[٤].

ويرى الشيعة أنّ أئمّة أهل البيت كانوا أسبق الناس في تدوين الفقه ومسائله[٥]، وينسبون إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين (١٢١هـ) كتاب

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٧٨/٨.
(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٣.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ٨٨/١.
(٤) إعلام الموقّعين ٢٣/١.
(٥) هاشم معروف الحسني: تاريخ الفقه الجعفري ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥.

المجموع في الفقه الذي يعتبر بالنسبة للزيديّة أهمّ كتاب فقه تلقّوه بالقبول، والكتاب مطبوع، وقد قام علماء الشيعة بشرحه والعناية به.

وهذا الكتاب يشمل جماع ما نعرفه اليوم من أبواب الفقه وما يتعلّق بها من مسائل وفروع، ويرى الدكتور محمد يوسف موسى[١] أنّ المنهج الدقيق المعتمد في تصنيف هذا الكتاب في ذلك الزمن المبكّر من تدوين الفقه مع ما تقتضيه طبيعة البداءة في كلّ أمر جديد يجعلنا لا نطمئنّ إلى صحّة نسبته إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين، فضلاً عن أنّ الكتاب قد تفرّد بروايته عن الإمام زيد، أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، وقد وجّهت للواسطي هذا، طعونا كثيرة من رجال الجرح والتعديل ومن حفّاظ أهل السنّة وثقاتها تؤكّد أنّه متروك الحديث وأنّه كذّاب غير ثقة ولا مأمون، وأنّه كان يضع عن الإمام زيد ابن علي الأحاديث ويكذب، فقد قال فيه عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: متروك الحديث ليس بشيء، وقال الأثرم عن أحمد: كذاب يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة، وعن يحيى بن معين أنّه قال فيه: كذّاب غير ثقة ولا مأمون، وقال إسحاق بن راهويه وأبو زرعة: كان يضع الحديث، وقال أبو حاتم: متروك الحديث ذاهب الحديث لا يشتغل به، وقال وكيع: كان في جوارنا يضع الحديث فلمّا فطن له تحوّل إلى واسط، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال: متروك الحديث، وقال الدارقطني: متروك الحديث، وقال الحاكم: يروي عن زيد بن علي الموضوعات، وذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات من عشر ومائة إلى عشرين ومائة وقال: منكر الحديث[٢].

فهذه النقول الكثيرة من حفّاظ الحديث ورجال الجرح والتعديل من أهل السنّة لا تدع مجالا للشكّ في اتّهام خالد الواسطي بالكذب والوضع،

---

(١) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٩٢ ـ ١٩٩ حيث ناقش صاحب الكتاب الموضوع باستفاضة.

(٢) تهذيب التهذيب ٢٦/٨ ـ ٢٧.

ممّا حدا بالدكتور محمد يوسف موسى إلى القول بأنّ أمورا كثيرة تقوم دون التيقّن من صحّة نسبة الكتاب إلى الإمام زيد[١].

غير أنّ السيّد هاشم معروف لم يسلّم له بهذه النتيجة التي خرج بها من بحثه حول هذا الأثر الشيعي معتبرا إيّاه أنّه قد اتّبع أسلوب المغالطات السافرة للتشكيك بهذا الأثر المنسوب إلى الإمام زيد، وأنّه في الوقت الذي اعتاد أن يصول بفكره ويجول في جميع فصول كتابه، قد رأى نفسه مضطرّا أن يقف مكتوف اليدين جامدا في تفكيره حينما تحدّث عن الشيعة، ويقول عنه في موضع آخر: نراه يقف موقف من يحتاط للواقع ويتحفّظ في إعطاء النتائج في بعض أبحاثه، وعلى الأخص حينما يتحدّث عن دور التشيّع في تدوين الفقه والحديث بعد وفاة الرسول، ويعتقد السيّد هاشم معروف أنّ الأسلوب الذي اتّبعه الدكتور محمد يوسف موسى للتشكيك بهذا الأثر المنسوب إلى زيد بن عليّ، قد اتّبع فيه أسلوب المأجورين من كتاب التاريخ وتراجم الرجال[٢].

إنّ الذي يحزّ في النفس هو ذلك الأسلوب الذي انتهجه السيّد هاشم معروف في مناقشته لمثل هذه القضايا، واتّهامه للدكتور محمد يوسف موسى باعتماد المغالطات والتشكيك متجاوزا الطريقة العلميّة في النقاش والحوار، ليتدخّل في قضايا النوايا والإخلاص وكأنّه لعمري يتّهمه في إخلاصه وصدق نواياه ولا نستغرب من السيّد هاشم معروف مثل هذه العبارات النابية، فهو الذي يتّهم الأئمّة الأعلام من أهل السنّة بأنّهم المأجورين من كتاب التاريخ وتراجم الأعلام.

إنّ الحقيقة التي يراها السيّد هاشم كما يتصوّرها في هذه المسألة ـ فضلاً عن غيرها من المسائل التي تطرّق إليها في كتابه ـ هو أن يسلّم له الباحثون في الآثار الإسلاميّة في هذا العصر بأنّ الأئمّة الأعلام من أهل

---

(١) محمد يوسف موسى: تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٩٤.

(٢) هاشم معروف الحسني: تاريخ الفقه الجعفري ص ٢٤٦ و٢٤٧ و٢٤٩ و٢٥١ و٢٥٢.

السنّة الذين اتّهموا خالد الواسطي وجرّحوه، من أمثال الإمام أحمد ويحي بن معين وإسحاق ابن راهويه ووكيع بن الجرّاح والبخاري والنسائي وغيرهم هم رجال مأجورون لم يكتبوا التاريخ للحقّ والتاريخ، وإنّما كتبوه - كما يزعم - لرجال السياسة وحكام الجور، وبالتالي فأنّ اتّهامهم لخالد الواسطي هذا، كان زوراً وبهتاناً عندها، وعندها فقط يكون الباحثون من أهل السنّة قد تحرّوا الواقع ووفّوا التاريخ حقّه.

ونحن إذ ننأى بأنفسنا أن ننزل إلى هذا المستوى من النقاش العقيم الذي يفرّق ولا يجمع، نرى أنّ هذا الكتاب تبقى له أهميّته التاريخيّة، لأنّ الزمان قد حفظه لنا من التلف، وتصنيفه بلا ريب يعود إلى هذا الدور الذي نحن بصدد دراسته، وإن كنّا نعتقد أنّه ليس من عمل الإمام زيد جمعا وترتيبا، فهو على كلّ حال يبقى أقدم وثيقة تاريخيّة وصلتنا بهذا الترتيب الدقيق.

هذا فيما يخصّ مجموع الإمام زيد، أمّا ما عداه من المصادر الشيعيّة فيذكر ابن النديم في الفنّ الخامس من المقالة السادسة الذي خصّصه لأخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم أنّ أوّل كتاب ظهر للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي تفرّد بروايته عنه إبان بن أبي عياش حيث يقول تحت عنوان أخبار فقهاء الشيعة وأسماء ما صنّفوه من الكتب: «من أصحاب أمير المؤمنين - عليه السلام - سليم بن قيس الهلالي، وكان هاربا من الحجّاج لأنّه طلبه ليقتله فلجأ إلى إبان بن أبي عيّاش فآواه فلمّا حضرته الوفاة أعطاه كتاباً وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور، رواه عنه إبان بن أبي عياش لم يروه عنه غيره... وأوّل كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي».

ثمّ يذكر تحت عنوان الكتب المصنّفة في الفقه الشيعي أسماء عديدة لمصنّفي الشيعة، فيقول: «هؤلاء مشائخ الشيعة الذين رووا الفقه عن الأئمّة ذكرتهم على غير ترتيب، ويذكر في الأثناء كتاب أبي خالد عمرو بن خالد

الواسطي، دون أن يحدّد تاريخ ظهورهم أو عناوين مصنّفاتهم[١].

وفي قائمة أعلام التابعين الذين ألّفوا في الفقه أسماء العديد من المصنّفين من الشيعة في هذه المرحلة من هذا الدور من أمثال[٢]:

* علي بن أبي رافع، التابعي، وقد كان كاتبا لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وتفقّه عليه، له كتاب في فنون من الفقه تكلّم فيه عن الوضوء والصلاة وسائر الأبواب.

* عمرو بن مقدام الملقّب بثابت بن هرمز، له كتاب جامع في الفقه يرويه عن الإمام زين العابدين عليّ ابن الحسين.

* عبدالله ـ أو عبيدالله ـ بن عليّ بن أبي شيبة، له كتاب كبير في الفقه.

* ربيعة بن سميع، ذكره النجاشي في أوّل كتابه في الطبقة الأولى من مصنّفي الشيعة، وذكر أنّ له كتاباً في زكاة النّعم، رواه عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه.

ونحن إذ نورد هذه الأخبار، لا نستبعد ما يراه الشيعة من تصدّرهم لحركة التأليف في هذا الدور من أدوار الفقه، بل نميل إلى القول بأنّ ما يعتقده الشيعة من سبقهم بتدوين الفقه تدوينا دقيقا مبوّبا، لا يجانب الحقيقة والواقع، ونسير مع المرحوم مصطفى عبدالرازق في رأيه بأنّ النزوع إلى تدوين الأحكام الشرعيّة كان أسرع إلى الشيعة لأنّ اعتقادهم العصمة في أئمّتهم أو ما يشبه العصمة كان حريّا أن يسوقهم إلى الحرص على تدوين أقضيتهم وفتاويهم، ذلك أنّ التشيّع تأثّر منذ بداية أمره بعناصر من غير العرب الأميّين الذين كانوا مجبولين على الحفظ نافرين من الكتابة والتدوين[٣].

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٢٧٥.

(٢) تاريخ الفقه الجعفري ص ١٣٣ و٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٥ وتاريخ الفقه الإسلامي لمحمد يوسف ص ١٨٩ و١٩٠، نقلا عن كتابي: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام لآية الله حسن الصدر، وأسماء مصنّفي الشيعة للنجاشي.

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلاميّة ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

# نشاط المرأة المسلمة في هذا الدور

أردت في خاتمة هذا الفصل أن ألقي الضوء على نشاط المرأة المسلمة في هذه الحقبة من تاريخ الفقه الإسلامي، وأن أقدّم للقارىء فكرة إجماليّة عن دورها الفعّال ومشاركتها الحقيقيّة في بناء صرح الفقه حتى تعلم المرأة اليوم أنّ النّساء قد كان لهنّ الدور المعتبر في تكوين الحركة الفقهيّة في صدر الإسلام، وأنّهنّ قد شاركن في نقل العلوم الشرعيّة تعلّما وتعليما، وأنّهنّ لم يكنّ حبيسات البيوت كما يحلو لبعض المغرضين أن يصوّروا حالة المرأة في الإسلام، بل لقد ثبت أنّ جماعة من النساء قد أرسلن إلى رسول الله ﷺ نائبة منهنّ وفدت على رسول الله وهي خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاريّة ـ وكانت من ذوات العقل والدين ـ فكانت ممّا قالت حين أتت الرسول ﷺ: «إنّي رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلّهنّ يقلن بقولي وعلى مثل رأيي، إنّ الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنّا بك واتّبعناك . . .» فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟**»[1].

هذا التحوّل النوعي الذي حدث في تاريخ المرأة مع ظهور الإسلام جعل النساء يطلبن من رسول الله ﷺ أن يجعل لهنّ يوماً يأتينه فيه ليتعلّمن ويتفقّهن، فوافق الرسول الأكرم على طلبهنّ، فقد روي عن أبي سعيد الخدري أنّ النساء قلن غلبنا عليك الرجال يا رسول الله فاجعل لنا يوماً من

(١) الاستيعاب ٤/٢٣٧ ـ ٢٣٨.

نفسك فوعدهنّ يوماً لقيهنّ فيه[١].

وهكذا لم يعزل الرسول الأكرم ﷺ المرأة عن حركة التاريخ، وإنّما جعل منها معلّمة ومتعلّمة شأنها شأن الرجل، باعتبار أنّ كلاً منهما هو موضع للخطاب وللتكاليف، فإذا بالمرأة عالمة وفقيهة، تستفتى فتفتي، حافظة للسنّة متصدّرة للفتيا، وتحال عليها القضايا التي تتعلّق بأحكام النساء فيجد السائل عندها علماً وفقهاً، وإذا بها مشاركة في بناء الحركة الفقهيّة، مساهمة بنصيب وافر في حركة التشريع الإسلامي وتدوين آثار الرسول ﷺ، حتى إنّ الرجال ليلتفّون حولها مستمعين إلى علمها ينهلون من معارفها، ولقد تتلمذ على بعضهنّ مشائخ العلماء وإلى قولهنّ رجع العلماء وبأحكامهنّ سلّم الفقهاء.

وليس من غرضنا في هذا المجال أن تستقصي جميع الأعلام من النساء اللاتي شاركن في حركة الفقه وتطوّرها خلال هذا الدور الذي هو دور عصر الصحابة والتابعين، وإنّما الذي نسعى إلى بيانه ونحاول إظهاره للقارىء هو الدور الفعّال الذي قامت به المرأة من خلال قيامها على نشاط الفقه وحرصها على نشره بين الأمّة، ولذلك فإنّي أكتفي في هذا المقام بذكر عدد يسير من نماذج حيّة أقدّمها للقارىء الكريم تكون بمثابة خلاصة موجزة حول نشاط المرأة المسلمة في هذا الدور الذي يمتدّ من قيام الخلافة الراشدة إلى الثلث الأوّل من القرن الثاني للهجرة، لعلّ أن تزول به من أذهان بعض المسلمين تلك الفكرة المدسوسة التي مفادها أنّ الإسلام قد فرض على المرأة قيودا جعلتها لا تحسّ بما يجري خارج حدود بيتها ولا تكاد تعي من أمر حياتها غير ذلك.

*** عائشة أمّ المؤمنين:**

كانت رضي الله عنها مقدّمة في العلم والفرائض والأحكام والحلال والحرام، وكانت من أكثر الصحابة حفظاً وفتيا، فكان مشيخة أصحاب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم.

رسول الله يسألونها عن الفرائض، استقلّت بالفتوى منذ زمن أبي بكر وعمر وهلمّ جرّا، وكانت تفتي في زمن عمر وعثمان وما بعد ذلك إلى أن ماتت سنة ٥٨هـ.

وكان الأكابر من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها فيجدون علمه عندها، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كلّ ما تعلّق بأحكام النساء أو بأحوال النبيّ البيتيّة، لا يضارعها في هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا من النساء، وإلى قولها رجع فقهاء الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه عبدالله وأبي هريرة وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن الزبير وجابر بن عبدالله وغيرهم، وحمل عنها من الفقه ما لم يحمل عن أحد سواها، وما أشكل على أصحاب رسول الله ﷺ شيء فسألوا عنه عائشة إلاّ وجدوا عندها منه علماً[1].

وقد ذكر لها في كتب السنّة أمثلة كثيرة من فتاويها وأجوبتها التي تنمّ عن نشاطها الغزير، من ذلك:

* أنّ أبا سلمة بن عبدالرحمٰن دخل هو وأخو عائشة من الرضاعة على عائشة فسألها عن غسل النبيّ ﷺ (صحيح البخاري، كتاب الغسل، وصحيح مسلم كتاب الحيض، وسنن النسائي كتاب الطهارة).

* وعن عطاء بن أبي رباح قال زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة (صحيح البخاري، كتاب المغازي).

* وعن شريح بن هانىء قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفّين (صحيح مسلم، كتاب الطهارة).

* وعن سعد بن هشام بن عامر أنّه أتى عبدالله بن عبّاس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عبّاس: ألا أدلّك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ، قال: من، قال: عائشة، فأتها فاسألها ثمّ ائتني فأخبرني

(١) انظر ما تقدّم من ترجمتها.

بردّها عليك (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها).

* وعن سعد بن هشام أيضاً أنّه وفد على أمّ المؤمنين عائشة فسألها عن صلاة رسول الله ﷺ (سنن النسائي، كتاب قيام الليل وتطوّع النهار).

* وقيل لعبدالله بن عمر إنّ أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من تبع جنازة فله قيراط من الأجر، فقال ابن عمر: أكثر علينا أبو هريرة، فبعث إلى عائشة فسألها، وفي رواية فأرسل ابن عمر خبّابا يسألها عن قول أبي هريرة ثمّ يرجع إليه فيخبره ما قالت (صحيح مسلم، كتاب الجنائز).

* وعن قدامة العامري أنّ جسرة بنت دجاجة العامريّة حدثته قالت: سمعت عائشة سألها أناس كلّهم يسأل عن النبيذ، يقول ننبذ التمر غدوة ونشربه عشيّا، وننبذه عشيّا ونشربه غدوة (سنن النسائي، كتاب الأشربة).

* أنّ الأسود بن يزيد دخل على عائشة أمّ المؤمنين فسألها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل (سنن أبي داود، كتاب الصلاة).

* أنّ أبا طلحة الأنصاري وأناس انطلقوا إلى عائشة يسألونها عن البيت الذي فيه كلب وتمثال هل تدخله الملائكة (سنن أبي داود، كتاب اللباس).

* وأرسل مروان بن الحكم أبا بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث إلى عائشة فسألها عن الصائم الذي يصبح وهو جنب (موطّأ مالك، كتاب الصيام).

* وعن قابوس عن أبيه قال: أرسل أبي امرأة إلى عائشة يسألها أيّ الصلاة كانت أحبّ إلى رسول الله ﷺ أن يواظب عليها (مسند الإمام أحمد).

* أنّ عبدالله بن أبي قيس مولى غطيف بن عازب أتى عائشة فسألها عن الركعتين بعد صلاة العصر (مسند الإمام أحمد).

* أنّ أبا موسى الأشعري قال لعائشة إنّي أريد أن أسألك عن شيء

وأنا أستحي منك، فقالت: سل ولا تستحي فإنّما أنا أمّك، فسألها عن الرجل يغشى ولا ينزل (مسند الإمام أحمد).

* وذهب عبدالله بن أبي موسى إلى عائشة فسألها عن الوصال وعن الركعتين بعد العصر، وسألها عن اليوم الذي يختلف فيه من رمضان، ولمّا خرج من عندها سأل عبدالله بن عمر وأبا هريرة، فكلّ واحد منهما قال: أزواج النبيّ ﷺ أعلم بذلك منّا (مسند الإمام أحمد).

* وعن علقمة بن أبي علقمة عن أمّه ـ وكانت مولاة لعائشة ـ أنّها قالت: كانت النساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة فيها الكرسف، فيه الصفرة من دم الحيض يسألنها عن الصلاة (صحيح البخاري كتاب الحيض، وموطّأ مالك، كتاب الطهارة).

* وعن معاذة أنّ امرأة سألت عائشة قالت: أتقضي إحدانا صلاتها أيّام حيضها؟ (سنن أبي داود، كتاب الطهارة، وسنن الترمذي، كتاب الطهارة).

* وعن إسماعيل بن أبي خلف أنّه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة، فسألها عبيد عن قراءة رسول الله ﷺ (مسند الإمام أحمد).

* وعن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر عن عائشة قال: سألها هل كان رسول الله ﷺ يرفع صوته من الليل إذا قرأ (مسند الإمام أحمد).

* وسئلت عن صلاة رسول الله في جوف الليل (سنن أبي داود، كتاب الصلاة).

* أنّ عبيدالله بن عبدالله بن عمر أرسل إلى عائشة يسألها، هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض، (موطّأ مالك، كتاب الطهارة).

* وعن الأسود ومسروق قال: أتينا عائشة نسألها عن المباشرة للصائم فاستحيينا فقمنا قبل أن نسألها، فمشينا لا أدري كم، ثمّ قلنا جئنا

لنسألها عن حاجة ثمّ نرجع قبل أن نسألها، فرجعنا فقلنا: يا أمّ المؤمنين إنّا جئنا لنسألك عن شيء فاستحيينا فقمنا، فقالت: ما هو، سلا ما بدا لكما (مسند الإمام أحمد).

* وعن أبان بن صمعة قال: حدّثني والدي عن عائشة أنّها سئلت عن الأشربة (سنن النسائي، كتاب الأشربة).

* وعن الحارث بن نوفل عن عائشة أنّها سئلت عن غسل المرأة من الجنابة (موطّأ مالك، كتاب الطهارة).

* وسئلت عن صوم رسول الله وسئلت عن نبيذ الجرّ وسئلت ما كان رسول الله يعمل في بيته وسئلت عن ركعتي الفجر وسئلت عن خلق رسول الله وسئلت عن صلاة رسول الله بالليل وسئلت عن القراءة في الركعتين قبل صلاة الفجر (مسند الإمام أحمد).

* وسئلت عن رجل طلّق امرأته البتّة فتزوّجها بعده رجل آخر فطلّقها قبل أن يمسّها، هل يصلح لزوجها الأوّل أن يتزوّجها، (موطّأ مالك، كتاب النكاح).

* وسئلت عن الرجل يصيب المرأة ثمّ يلبس الثوب فيعرق فيه (سنن الدارمي، كتاب الطهارة).

* وسئلت ما يحلّ للرجل من امرأته وهي حائض (سنن الدارمي، كتاب الطهارة).

* وسئلت عن المرأة تمسح على الخضاب (سنن الدارمي، كتاب الطهارة).

*** أمّ سلمة أمّ المؤمنين:**

هي أمّ المؤمنين هند بنت أبي أميّة، كانت موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبيّ ﷺ يوم الحديبية تدلّ على وفور عقلها وصواب رأيها توفيّت سنة ٥٩هـ وقيل سنة ٦١هـ، وهي آخر أمّهات المؤمنين وفاتاً.

روى عنها ابناها عمر وزينب وأخوها عامر وابن أخيها مصعب بن عبدالله ومكاتبها نبهان ومواليها عبدالله بن رافع ونافع وسفينة وابنه وأبو كثير وخيرة والدة الحسن البصري، وممّن يعدّ في الصحابة صفيّة بنت شيبة وهند بنت الحارث الفراسية وقبيصة بن ذؤيب وعبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام، ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وأبو وائل وسعيد بن المسيّب وأبو سلمة وحميد ولدا عبدالرحمٰن بن عوف وسليمان بن يسار وغيرهم[1].

وقد ذكر لها في كتب السنّة أمثلة كثيرة من فتاويها وأجوبتها التي تؤكّد مساهمتها في حركة الفقه، وإن كانت في ذلك أقلّ من عائشة، ومن الأمثلة على ذلك:

* عن سليمان بن يسار أنّ أبا سلمة بن عبدالرحمٰن، وعبدالله بن عباس اجتمعا عند أبي هريرة وهما يذكران المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال، فقال ابن عباس: عدّتها آخر الأجلين، وقال أبو سلمة: قد حلّت، فجعلا يتنازعان ذلك، قال: فقال أبو هريرة أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فبعثوا كريباً مولى ابن عبّاس إلى أمّ سلمة يسألها عن ذلك (صحيح مسلم وموطّأ مالك وسنن النسائي، كتاب الطلاق).

* وعن محمد بن إبراهيم عن أمّ ولد لإبراهيم بن عبدالرحمٰن بن عوف أنّها سألت أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ فقالت: إنّي امرأة أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر (موطّأ مالك وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه والدارمي، كتاب الطهارة).

* وبعث مروان بن الحكم عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام إلى أمّ سلمة يسألها، فقال: أتيت غلام أمّ سلمة نافعاً فأرسلته إليها فرجع إلي فأخبرني (مسند الإمام أحمد).

---

(١) الاستيعاب ٤/٤٥٤ - ٤٥٥ والإصابة ٤/٤٥٨ - ٤٥٩.

* وأرسل مروان بن الحكم إلى أمّ سلمة يسألها عن الوضوء ممّا مسّت النار (مسند الإمام أحمد).

* وكان مروان يقول: كيف نسأل أحداً عن شيء وفينا أزواج النبيّ (موطّأ مالك، كتاب الصيام).

* وأرسل معاوية بن أبي سفيان إلى أمّ سلمة يسألها هل صلّى النبيّ ﷺ بعد العصر شيئاً (مسند الإمام أحمد).

* وأرسل عبدالله بن عمرو أبا قيس - مولى عمرو بن العاص - إلى أمّ سلمة يسألها هل كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم (مسند الإمام أحمد).

* وعن عبدالرحمٰن بن هرمز قال: حدّثني: ناعم مولى أمّ سلمة أنّها سئلت: أتغتسل المرأة مع الرجل (سنن النسائي، كتاب الطهارة).

* وسئلت عن قراءة رسول الله ﷺ (مسند الإمام أحمد).

ولم يكن هذا النشاط مقتصرا على زوجات النبيّ ﷺ، أمّهات المؤمنين دون غيرهنّ من النساء، وإنّما كان هناك من النساء من يرجع إليهنّ في الأحكام في عصرهنّ، فمن ذلك:

* ما ورد عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أنّ أباه كتب إلى عمر بن عبدالله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على **سبيعة بنت الحارث الأسلمية** فيسألها عن حديثها وعمّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفته في أمرها وقد وضعت حملها بعد أن توفّي زوجها، فتعلّت من نفاسها وتجمّلت للخطّاب (صحيح البخاري، كتاب المغازي، وصحيح مسلم وسنن النسائي وسنن أبي داود كتاب الطلاق).

* وأرسل مروان بن الحكم عبدالله بن عتبة إليها يسألها عمّا أفتاها

به رسول الله ﷺ (مسند الإمام أحمد).

* وعن أبي بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث قال: أرسل مروان إلى **أمّ معقل الأسديّة** يسألها (مسند الإمام أحمد).

* وعن محمد بن عبيد بن أبي صالح المكّي، قال: حججت مع عديّ الكندي، فبعثني إلى **صفية بنت شيبة ابنة عثمان بن طلحة** - صاحب الكعبة - يسألها عن أشياء سمعتها من عائشة زوج النبيّ ﷺ.

* وأرسل مروان بن الحكم إلى **فاطمة بنت قيس** قبيصة بن ذؤيب يسألها الحديث الذي تحدّث به عن رسول الله، فحدّثته به، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلاّ من امرأة، سنأخذ بالعصمة التي كان الناس عليها، فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان، فبيني وبينكم القرآن، قال الله عزّ وجلّ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ الآية، قالت: هذا لمن كانت له مراجعة، فأيّ أمر يحدث بعد الثلاث، فكيف تقولون، لا نفقة لها إذا لم تكن حاملا، فعلام تحبسونها (مسلم كتاب الطلاق وسنن النسائي في كتابي النكاح والطلاق) وفي رواية لأبي داود أنّها استظهرت بقول الله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ حتّى ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الآية، ثمّ قالت: فأيّ أمر يحدث بعد الثلاث.

* ونهى عبدالله بن الزبير عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ وأنكر أن يكون الناس صنعوا ذلك مع رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبدالله بن عباس، فقال: وما علم ابن الزبير بهذا، فليرجع إلى أمّه **أسماء بنت أبي بكر** فليسألها، فبلغ ذلك أسماء فقالت: صدق ابن عبّاس، لقد أحلّوا وأحللنا وأصابوا النساء (مسند الإمام أحمد).

* وذكر مروان في إمارته على المدينة أنّه يتوضّأ من مسّ الذكر إذا أفضى إليه الرجل بيده، فأنكر عليه ذلك عروة بن الزبير، وقال: لا وضوء على من مسّه، فلم يزل عروة يماري مروان حتّى دعا مروان رجل من حرسه فأرسله إلى **بسرة بنت صفوان** فسألها عمّا سمعت من رسول الله (سنن النسائي، كتاب الطهارة).

* وعن زيد بن أسلم قال: كان عبدالملك بن مروان يرسل إلى **أمّ الدرداء** فتبيت عند نسائه ويسألها عن النبيّ ﷺ (مسند الإمام أحمد).

**وأمّ الدرداء**: هي خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي وتعرف بأمّ الدرداء الكبرى - إذ كان لأبي الدرداء امرأتان كلتاهما يقال لها أمّ الدرداء إحداهما رأت النبيّ ﷺ - وهي التي نعني في هذا السياق -، والثانية تزوّجها بعد وفاة النبيّ ﷺ وتعرف بأمّ الدرداء الصغرى -.

كانت أمّ الدرداء الكبرى من فضلى النساء وعقلائهنّ وذوات الرأي فيهنّ مع العبادة والنسك، حفظت عن النبيّ ﷺ وعن زوجها أبي الدرداء عويمر الأنصاري، وروى عنها جماعة من التابعين منهم ميمون بن مهران وصفوان بن عبدالله بن صفوان وزيد بن أسلم وأمّ الدرداء الصغرى، وكانت وفاتها بالشام في خلافة عثمان بن عفّان[١].

**وأسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس الأنصاريّة**، وهي بنت عمّ معاذ بن جبل، كانت تكنّى أمّ سلمة، وكان يقال لها خطيبة النساء، وهي من المبايعات، وكانت من ذوات العقل والدين، روى عنها ابن أخيها محمود بن عمرو الأنصاري ومهاجر بن أبي مسلم مولاها وشهر بن حوشب وكان أروى الناس عنها وإسحاق بن راشد وغيرهم، وهي وافدة النساء إلى رسول الله[٢].

**وزينب بنت أبي سلمة المخزوميّة** ربيبة رسول الله ﷺ، أمّها أمّ سلمة بنت أبي أميّة، كانت اسمها برّة فسمّاها الرسول ﷺ زينب، توفيت سنة ٧٣هـ.

كانت زينب محدّثة وفقيهة من أفقه نساء أهل زمانها، حفظت عن النبيّ ﷺ وروت عنه وعن أزواجه أمّها وعائشة وأمّ حبيبة وغيرهنّ، وروى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبدالله بن زمعة ومحمد بن عطاء وعراك بن مالك

---

(١) الاستيعاب ٤/٤٤٧ - ٤٤٨، الإصابة ٤/٢٩٥.

(٢) الاستيعاب ٤/٢٣٧ - ٢٣٨، الإصابة ٤/٢٣٤ - ٢٣٥.

وحميد بن نافع وعروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبدالرحمٰن وزين العابدين عليّ بن الحسين وآخرون، قال أبو رافع الصائغ: كنت إذا ذكرت امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أبي سلمة، وقال: وهي أفقه امرأة بالمدينة[١].

**وعمرة بنت عبدالرحمٰن: وهي عمرة بن عبدالرحمٰن بن أسعد بن زرارة الأنصاريّة، الفقيهة الأنصاريّة المدنيّة التابعيّة الثقة الحجّة الفاضلة العدل الضابطة لما يؤخذ عنها، أخت أبي أمامة أسعد بن زرارة، كانت عالمة، من أهل الفتيا بالمدينة، وسيّدة التابعيات، وكانت من أعلم الناس بحديث عائشة.**

كانت في حجر عائشة فأكثرت من الرواية عنها، ولذلك فإنّ عمر بن عبدالعزيز حين عزم على تدوين الحديث بعث بكتاب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عامله وقاضيه على المدينة يطلب منه جمع أحاديث الرسول، وتتبّع ما كان عند خالته عمرة بنت عبدالرحمٰن، وما ذاك إلاّ لما عرف عنها من ضبط ودقّة في الرواية، وممّا جاء في هذا الكتاب: اكتب إليّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ وبحديث عمرة فإنّي قد خشيت دروس العلم وذهابه.

توفيت سنة ٩٨هـ وقيل سنة ١٠٦هـ وقيل سنة ١٠٣هـ وهي ابنة سبع وسبعين سنة.

روى عنها عروة بن الزبير وسليمان بن يسار وابن شهاب الزهري وعروة بن دينار وأخوها محمد بن عبدالرحمٰن الأنصاري وابنها أبو الرجال وابن أخيها يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمٰن وابن ابنها حارثة ابن أبي الرجال وابن أخيها أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، وابنه عبدالله بن أبي بكر، ويحيى وسعد وعبد ربّه أولاد سعيد بن قيس الأنصاري وآخرون[٢].

---

(١) الاستيعاب ٣١٩/٤ ـ ٣٢٠، الإصابة ٣١٧/٤.

(٢) انظر: ما تقدّم من ترجمتها ص ٢٠٥.

**وحفصة بنت سيرين: أمّ الهذيل**: أخت محمد بن سيرين، وهي بصريّة تابعيّة لها روايات كثيرة وقد حفظت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة، وكانت فقيهة عالمة، من خيار النساء كانت مشهورة بالعبادة والفقه وقراءة القرآن، وكان إيّاس بن معاوية يقول: ما أدركت أحداً أفضّله على حفصة بنت سيرين، فقيل له: الحسن البصري ومحمد بن سيرين، فقال: أمّا أنا فما أفضّل عليها أحداً، وكان محمد بن سيرين إذا استشكل عليه شيء من القرآن أرسل إلى حفصة فسألها كيف تقرأ، وعدّت من سيّدات التابعيّات، حتى أنّ ابن أبي داود كان يقول: سيّدتا التابعيّات حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبدالرحمٰن وتليهما أمّ الدرداء الصغرى، ماتت حفصة سنة ١٠٠هـ وهي ابنة سبعين سنة.

قال عاصم الأحول: كنّا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقّبت به، فنقول لها: رحمك الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾[1] قال: فتقول لنا: أيّ شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ فتقول: هو إثبات الجلباب، توفيت سنة ١٠١هـ[2].

**ومعاذة بنت عبدالله العدويّة: أمّ الصهباء البصريّة**، من ربات العلم والفقه في الدين ومن أهل العبادة والزهد بالبصرة، روت عن عائشة أمّ المؤمنين وغيرها، وعنها روى أبو قلابة عبدالله بن زيد البصري، الذي كان رأسا في العلم والعمل، وقتادة وعاصم الأحول وإسحاق بن سعيد وأمّ الحسن البصري، وعن يزيد بن هارون قال: أخبرنا جعفر بن كيسان قال: رأيت معاذة محتبية والنساء حولها توفّيت سنة ١٠١هـ[3].

---

(١) سورة النور، الآية ٦٠.

(٢) شذرات الذهب ٢١٩/١، تدريب الراوي ٢٤٢/٢، البداية والنهاية ٣٠٢/٩، طبقات ابن سعد ٤٨٠/٨، تهذيب التهذيب ٤٣٨/١٢.

(٣) شذرات الذهب ٢١٨/١، تهذيب التهذيب ٤٥٢/١٢.

**وعائشة بنت طلحة التيمية: أمّ عمران**، أمّها أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصدّيق، مدنيّة تابعيّة ثقة، حدّث عنها الناس لفضلها وأدبها، وروت عن خالتها عائشة أمّ المؤمنين، وعنها روى ابنها طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمٰن وحبيب بن عمرو وابن أخيها طلحة بن يحيى بن طلحة وابن أخيها الآخر معاوية بن إسحاق وابن ابن أخيها موسى بن عبدالله بن إسحاق وفضيل بن عمرو وعطاء بن أبي رباح وعمر بن سعيد، وغيرهم[١].

**وقمير بنت عمرو الكوفية** امرأة مسروق، وقد روت عن زوجها عن عائشة أمّ المؤمنين، وعنها روى الشعبي ومحمد بن سيرين وابن شبرمة، ولها عند أبي داود حديثها عن عائشة في المستحاضة، وعند النسائي حكاية عن مسروق[٢].

وهكذا تصدّرت المرأة للإفتاء في هذا الدور، وساهمت بنصيبها في حركة التشريع التي انتقلت من الصحابة إلى التابعين إلى تابعيهم، فكان منهنّ الأسوة الصالحة والعالمة الفاضلة التي يأخذ عنها من عاصرها، وعدّ منهنّ المئات في هذا الدور، وليس من غرضنا في هذا الفصل استقصاء عددهنّ ولا ذكرهنّ جميعا، وإلاّ فقد حفل كتاب الطبقات لابن سعد بترجمة النساء المسلمات المبايعات، والنساء اللواتي لم يروين عن رسول الله ﷺ وروين عن أزواجهنّ وغيرهنّ[٣].

وإنّما قصدنا هو أن نلفت نظر القارىء إلى دور بعضهنّ ممّن كان لهنّ الأثر البارز في حركة الفقه وتطوّرها.

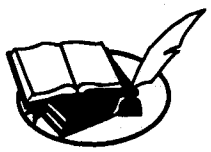

(١) تهذيب التهذيب ٤٣٦/١٢، ابن سعد ٤٦٧/٨.
(٢) تهذيب التهذيب ٤٤٦/١٢.
(٣) طبقات ابن سعد ٢٢٢/٨ ـ ٤٩٨.

# استخلاص ونتائج

نصل في نهاية هذا الدور إلى تقرير جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

ـ ١ ـ أنّ الفضل في تأسيس هذه المراكز الفقهيّة وإقامة معالمها وبناء صروحها يعود بالدرجة الأولى إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين توزّعوا في الأمصار فتكوّنت بفتاويهم حركة الاجتهاد في هذا الدور.

ـ ٢ ـ أنّ اجتهادات الصحابة وفتاويهم كانت متّحدة في بعض الأحيان، ومختلفة في غالب الأحوال، وأنّ هذا الاختلاف هو الذي قضى بظهور المدارس الفقهيّة التي انطبعت بطابع مؤسسيها، حتى عرف البعض بالتشديد والبعض بالترخيص، كما عرف البعض بالتوقّف عن الإفتاء في حين عرف البعض بالجرأة في ذلك، حتى لقد روي عن ابن عمر أنّه كان يعيب على ابن عباس جرأته على تفسير القرآن، في حين روي عن ابن عباس أنّه كان يعيب على ابن عمر توقّفه عن الإفتاء فيما لم يسمع فيه شيء.

ـ ٣ ـ أنّ الصحابة لم يكونوا جميعا مجتهدين، وإنّما كان منهم العامة الذين لا يتقدمون لفتوى ولا يقطعون بحكم إلاّ بعد أن يسألوا أهل العلم منهم، وكان منهم من هو أهل للفتوى يسأل فيفتي، وأنّ أهل الفتوى أنفسهم كانوا بين مكثر ومقلّ ومتوسّط.

ـ ٤ ـ أنّ الصحابة الذين كانوا قد تفرّقوا في الأمصار لم يعدم حبل

الاتّصال بينهم، وكانوا يعودون إلى بعضهم البعض في حلّ القضايا والمسائل الطارئة، فكان عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت يستفتي بعضهم من بعض، وكان عليّ بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري يستفتي بعضهم من بعض، وكان عبدالله بن مسعود وأبو الدرداء يسألان عليّ بن أبي طالب، وكان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، ونحو ذلك من الشواهد التي مرّت بنا.

وقد ورث أعلام التابعين هذه السنّة الحميدة والخصلة المجيدة عن أعلام الصحابة، فكان التابعون يرحلون إلى سائر الأمصار لطلب العلم ولا يكتفون بالأخذ عمّن نزل بينهم من أصحاب رسول الله، فكان عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أحد فقهاء المدينة ممّن تلقّى العلم عن ابن عباس، وكان طاووس اليماني فقيه أهل اليمن، من أشدّ الأتباع اقتداءا بابن عباس، وكذا هو حال أغلب التابعين الذين حملوا فقه الصحابة، لذلك فإنّ مسألة تأثير الصحابي في مركز دون آخر وفي مصر دون آخر إنّما هو بحسب طول مقامه بذلك المركز وبحسب كثرة الأتباع الذين أخذوا عنه وتفقّهوا عليه.

- ٥ - أنّ فقهاء التابعين الذين تكوّنوا في هذا الدور بفقهاء الصحابة قد تأثّروا بمناهج أساتذتهم في استنباط الأحكام واستخراج المسائل وتقرير الفتاوى، الأمر الذي جعل حركة الاجتهاد التي تأسّست بالصحابة تتعمّق وتتجذّر في هذا الدور مع أعلام التابعين.

- ٦ - أنّه بالرغم من ظهور الرحلة في طلب العلم والأخذ عن الصحابة المقيمين بالأمصار المختلفة فإنّ ذلك لم يمنع كلّ جمع من التابعين بمصر من الأمصار من الافتخار بأساتذتهم، فكان أهل المدينة لا يعدلون بزيد بن ثابت أحدا، وكان أهل الكوفة يرون أنّ عبدالله بن مسعود قد انتهى إليه علم أصحاب رسول الله ﷺ، وكان أهل مكّة يرون أنّ أكرم المجالس وأكثرها فقها وعلماً هي مجالس عبدالله بن عباس ويرون أنّه قد جمع العلم كلّه.

- ٧ - أنّ الموالي كان لهم الدور الكبير في نشر العلم وإنماء الفقه

تعلّما وتعليما حتّى صار القائمون على الفقه في أكثر البلدان من الموالي، ولم يعدم من علمهم مركز من المراكز الفقهيّة في سائر البلاد الإسلاميّة فكان عطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكّة، وكان طاووس بن كيسان فقيه أهل اليمن، وكان يحيى بن أبي كثير فقيه أهل اليمامة، وكان إبراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة، وكان الحسن البصري فقيه أهل البصرة، وكان مكحول فقيه أهل الشام، وكان عطاء الخراساني فقيه أهل خراسان، وكان بالمدينة المنوّرة نافع مولى ابن عمر، وسليمان بن يسار، وزيد بن أسلم، وغيرهم كثير.

ـ ٨ ـ أنّ المؤلفات الفقهيّة التي كتبت في المرحلة الأولى من هذا الدور كانت عبارة عن ورقات غير مبوّبة في مسائل شتى، وإنّما تعورف عليها بأنّها كتب طبقا لما هو جاري عليه الاصطلاح آنذاك من تسمية بعض المسائل المجموعة بالكتاب.

ـ ٩ ـ أنّ كلاّ من أهل الشيعة وأهل السنّة قد حرصا على ادّعاء السبق في تدوين الفقه وجمع مسائله، فالشيعة عنوا عناية جادة وقويّة بتأكيد سبقهم في تدوين الفقه وسائر العلوم الإسلاميّة، وبالمثل فإنّ أهل السنّة حرصوا على تأكيد موقفهم من أنّ أوّل كتاب فقهي بالمعنى الحقيقي للكتاب وقع تدوينه على أيدي علماء السنّة، وكأنّ تسليم أحد الفريقين للآخر بدعوى السبق في بداية تدوين الفقه وسائر العلوم الأخرى يعطي حقّ الوصاية لفرقة على أخرى، أو يجعل الحقائق الدينيّة مِلْكاً لها على حساب الفرق الأخرى.

ولذلك نقول بأنّه وإن كان التوصّل إلى معرفة الأمر الحقّ في السابق والمسبوق بتدوين الفقه يفيدنا في مجال النقد التاريخي للفقه الإسلامي، فإنّ ذلك لا يعطي لأيّ كان من الفرق الحقّ في ادّعاء امتلاك الحقائق المطلقة، وتكفير ما سواها أو تبديعها ما لم تتعدّ الضوابط الشرعيّة والأصول الكليّة في فهم الأحكام الشرعيّة.

ورغم ما لهذا الأمر ـ أي معرفة السبق بالتدوين ـ من أهميّة في تاريخ

الفقه الإسلامي من خلال الوقوف على بدايات التدوين، والوصول إلى قول فصل فيه، فإنّي أهيب بالعلماء العاملين أن يذروا التعصّب والانغلاق المذهبي، وتناول بعض الصحابة بالقدح، وأن يعلموا أنّ بقاء النعرة المذهبيّة وأنّ التمسّك بكثير من القضايا الثانويّة والتشديد عليها لا يوصل إلاّ إلى قطع عرى الأخوّة الإسلاميّة.

- ١٠ - أنّ نشاط المرأة المسلمة قد شمل فيما شمل بالإضافة إلى مهمّتها التربويّة السامية داخل البيت، مهمّة الإفتاء وتعليم الأحكام، ممّا جعلها مشاركة للرجل ومساهمة معه في سير الحركة الفقهيّة والتشريعيّة في هذا الدور من تاريخ الفقه الإسلامي، الذي هو عصر الصحابة والتابعين.

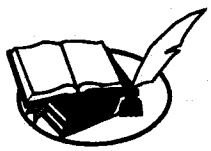

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


| | |
|---|---|
| *** الدور الثاني: دور اجتهاد الصحابة والتابعين، وظهور المراكز الفقهية** | **١٠٦ ـ ٣٣٤** |
| تمهيد | ١٠٦ ـ ١٠٧ |
| المرحلة الأولى: عصر الخلفاء الراشدين | ١٠٨ ـ ١٤٢ |
| مصادر الفقه في هذا الدور | ١١١ ـ ١١٤ |
| منهج الصحابة في رواية الحديث | ١١٥ ـ ١٢٧ |
| منهج الصحابة في استنباط الأحكام الفقهية | ١٢٧ ـ ١٢٩ |
| من اجتهادات الصحابة في هذه المرحلة | ١٣٠ ـ ١٤٢ |
| المرحلة الثانية: عصر صغار الصحابة وكبار التابعين | ١٤٣ ـ ٣٣٠ |
| مظاهر العناية بمصادر الفقه في هذه المرحلة | ١٤٧ ـ ١٦٥ |
| مراكز الفقه في هذا الدور وأشهر القائمين عليها من الصحابة والتابعين | ١٦٦ ـ ٣٠٨ |
| * المدينة المنوّرة | ١٦٦ ـ ٢١٧ |
| * مكّة المكرّمة | ٢١٧ ـ ٢٣٢ |
| * الكوفة | ٢٣٢ ـ ٢٦٠ |
| * البصرة | ٢٦٠ ـ ٢٧٩ |
| * الشام | ٢٨٠ ـ ٢٨٨ |
| * مصر | ٢٨٩ ـ ٢٩٢ |
| * اليمن | ٢٩٢ ـ ٢٩٦ |
| * إفريقية التونسية | ٢٩٧ ـ ٣٠٦ |
| * خراسان | ٣٠٦ ـ ٣٠٨ |
| حركة تدوين الفقه في هذا الدور | ٣٠٩ ـ ٣١٧ |
| نشاط المرأة المسلمة في هذا الدور | ٣١٨ ـ ٣٣٠ |
| استخلاص ونتائج | ٣٣١ ـ ٣٣٤ |